الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الخامسة والثلاثون
رجب وشعبان ورمضان ١٤٤٢ هـ
شباط وآذار ونيسان ٢٠٢١م

٤١٤
٤١٥
٤١٦

إقامة الخلافة على منهاج النبوة هي الطريق الوحيد لتجديد الدين — محور ١

حزب التحرير حزب وحيد في طلب الاستخلاف والقيام بالتجديد — محور ٢

تفاعل الأمة مع مشروع الحزب ... وعقبات يعمل على تذليلها — محور ٣

محاربة الغرب لمشروع حزب التحرير في إقامة الخلافة — محور ٤

الإسلام هو المشروع الحضاري الوحيد المؤهل لقيادة العالم نحو الخلاص — محور ٥

كلمة الوعي

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾

إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا

الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

المحور الأول: إقامة الخلافة على منهاج النبوة هي الطريق الوحيد لتجديد الدين

- بين يدي العدد ٥
- كلمة الوعي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ ٨
- مائة عام والمسلمون بلا جنة يتقى به ويقاتل من ورائه ١٢
- عظمة التشريع الإسلامي ٢٠

المحور الثاني: حزب التحرير حزب وحيد في طلب الاستخلاف والقيام بالتجديد

- حزب التحرير يشق طريقه نحو تحقيق غايته ،والأمة الإسلامية محل العمل وموضع الأمل في عملية التغيير ٣١
- إكرام الله لأهل نصرة نبيه ﷺ دافع للقيام بواجب النصرة اليوم ٣٩
- نداء لأهل النصرة (قصيدة) ٤٦

المحور الثالث: تفاعل الأمة مع مشروع الحزب... وعقبات يعمل على تذليلها

- في الذكرى المئويّة لهدم الخلافة... عقباتٌ في طريق الخلافة، وطرقُ إزالتِها ٤٨
- الأمة قادرة على التغيير، وإمكاناتها لا حصر لها ٥٢
- أزمةُ الثورات مرحلية عابرة، وستحقق أهدافها قريبًا بعون الله (الثورة التونسية نموذجًا) ٥٥
- منزلة العلماء منزلة تكليف وتشريف... فأين علماء اليوم المسلمين من قضية إقامة حكم الله في الأرض اليوم؟!) ٥٩

٤١٤
٤١٥
٤١٦
السنة الخامسة والثلاثون
رجب وشعبان ورمضان ١٤٤٢هـ
شباط وآذار ونيسان ٢٠٢١م

ثمن النسخة

لبنان	٦٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٩٠ ريال
تركيا	٣$ أميركي
باكستان	٣$ أميركي
أستراليا	٧,٥$
أميركا	٧,٥$
كندا	٧,٥$
ألمانيا	٧,٥ يورو
السويد	٤٥ كرون
بلجيكا	٣ يورو
بريطانيا	٣ يورو
سويسرا	٦ فرنك
النمسا	٣ يورو
الدانمرك	٤٥ كرون

المحتويات

المحور الرابع: محاربة الغرب لمشروع حزب التحرير في إقامة الخلافة

- الشرق الأوسط الحديث... بين مشروع التقسيم ومشروع الخلافة على منهاج النبوة ٦٦
- أمريكا والحروب السياسية الحديثة ٧٤
- (الإسلاموية) هي نموذج الغرب لإبعاد المسلمين عن إقامة الخلافة والحكم بما أنزل الله ٨٣
- التطبيع مع كيان يهود والحكم الشرعي فيه ٨٦
- خطورة تحويل الصراع مع يهود إلى صراع طائفي مع إيران وخطورته ٩٢
- دور وسائل الإعلام في خدمة الاستعمار ومحاربة مشروع تحرر الأمة ونهضتها ٩٥

المحور الخامس: الإسلام هو المشروع الحضاري الوحيد المؤهل لقيادة العالم نحو الخلاص

- فشل آخر للنظام الديمقراطي الرأسمالي: التعامل مع جائحة كورونا جلب الشقاء على البشرية ١٠٢
- الرأسمالية تترنح والإسلام هو البديل ١١٠

أبواب ثابتة:

- شهر رمضان شهر شحذ الهمم ١١٧
- أخبار العالم الإسلامي ١٢١
- مع القرآن الكريم: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ ١٢٥
- رياض الجنة: التجديد وعد من الله لا يخلف، يقوم به اليوم من يحيي الله بهم الدين، ويقيمه في حياة المسلمين ١٢٧
- فبهداهم: قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ١٣١
- حدائق ذات بهجة: رسالة من دارس جديد في صفوف حزب التحرير: طريقي في البحث والتعرف على حزب التحرير ١٣٦
- كلمةأخيرة: أردوغان والإخوان... يخرج عن ودِّه ولا يخرج عن عمالته ١٣٨
- غلاف أخير: لماذا ترفض فرنسا الكشف عن مكان نفايات نووية دفنتها بالجزائر؟! ١٤٠

المحور الأول:

إقامة الخلافة على منهاج النبوة
هي الطريق الوحيد لتجديد الدين

- *بين يدي العدد*
- كلمة *الوعي*: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾
- **مائة عام والمسلمون بلا جنة يتقى به ويقاتل من ورائه**
- **عظمة التشريع الإسلامي**

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي العدد:

إن مجلة الوعي ،كأحد روافد حزب التحرير الثقافية، وأحد نشاطاته الدعوية، وكعادتها من كل عام، تصدر عددًا خاصًا، في ذكرى هدم الخلافة، والتي جعلها الحزب ذكرى له وللأمة معه ليحثَّها فيه على إعادة ما اندرس من تعاليم الإسلام، وإقامة ما انهدم: **خلافة إسلامية راشدة تكون على منهاج النبوَّة،** وأعظِمْ بها من مهمة، وإنه لشرف عظيم لنا أن يهدينا الله لأن تكون هذه مهمتنا وشاغلتنا وغايتنا، وصناعتنا وبضاعتنا؛ ولكن هذا العدد تأتي معه مناسبة أخرى، وهو أن هدم الخلافة الإسلامية قد مضى عليها مئة عام هجرية بالتمام والكمال، وهو ما يذكرنا بالحديث الصحيح الذي رواه أبو داود عن النبي ﷺ:«**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**» رواه أبو داود، وصححه السخاوي في «المقاصد الحسنة» والألباني في «السلسلة الصحيحة».

نعم، **مئة عام،** وكفرُ (فصل الدين عن الحياة) يميد بباطله ويلقي بثقله وكلكله على صدر الأمة، حتى ضاقت من ظلمه النفوس وضنكت الحياة وأصبح شعار التخلص منه شعار الأمة وعنوان ثوراتها عليه... **مئة عام**، والإسلام يتعرَّض فيها لعملية محو ومحق ومكر وكيد من الغرب لا تكلُّ ولا تملُّ؛ ولكنها، بفضل الله وحده، لم تسفر عن نصر له؛ وهذا يدل على أن الإسلام ما زال حيًا في نفوس أهله، وأن عنده القدرة على حسم الصراع الحضاري في النهاية لمصلحته... **مئة عام** والأمة في إثم عظيم، لأنها ضيَّعت حق ربها عليها بالحكم بما أنزل وفصَّل وأحكم...

بيدَ أن الذي يبعث الأمل في الأمة أن هناك حزبًا منها وفيها، هو **حزب التحرير،** قد قام يدعوها لبِرِّ هذا الأمر، وهيَّأ الله له أن يكون أمين هذه الأمة في هذا الفرض وحارسها، وما عليها إلا أن تعمل معه ليسقط عنها هذا الإثم العظيم، خاصة وأنه قد قطع، بعون الله وهدايته وتوفيقه شوطًا طويلًا في الطريق؛ حتى أصبح على مشارف التغيير ينتظر الفرج والنصر والظهور من الله وحده.

نعم، يصدر هذا العدد، وتحيط بنا هاتين المناسبتين، باذلين جهدنا أن نجعله عددًا ممتازًا

يساهم في دفع الأمة للسير مع الحزب على طريقة رسول الله ﷺ في إقامة هذا الفرض العظيم، متمثلين قوله تعالى للرسول ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

في هذا الإطار، جاءت مقالات الوعي في هذا العدد الخاص مقسَّمة على المحاور التالية:

المحور الأول، وجاء بعنوان: **(إقامة الخلافة على منهاج النبوَّة هي الطريق الوحيد لتجديد الدين)**

وقد اندرجت موضوعاته تحت العناوين التالية: **(بين يدي العدد)** ومن ثم كلمة العدد الأولى بعنوان: **(حزب التحرير يسعى لأن يكون مجدِّد العصر بالعمل لإقامة الخلافة الراشدة الثانية)** ومن ثم تليها المواضيع التالية: **(مئة عام والمسلمون بلا إمام جُنَّة يتَّقى به ويُقاتَل من ورائه) (عظمة التشريع الإسلامي).**

المحور الثاني، وجاء بعنوان: **(حزب التحرير حزب وحيد في طلب الاستخلاف والقيام بالتجديد)**

لقد كان من عادتنا أن ننقل صورة موجزة عن فعاليات حزب التحرير في المناسبة في مختلف مناطق عمله؛ ولكن بما أن هذه السنة كانت فعاليات واسعة ومؤثرة قرَّ الرأي أن يترك الأمر لإصدار خاص بها يصدر من الإعلامي المركزي للحزب يستوعب النشاط ككل. أما موضوعات هذا المحور فقد اندرجت تحت العناوين التالية:

(حزب التحرير يشق طريقه نحو تحقيق غايته، والأمة الإسلامية محل العمل وموضع الأمل في عملية التغيير) (إكرام الله سبحانه لأهل نصرة نبيِّه ﷺ دافع للقيام بواجب النصرة اليوم) (قصيدة: نداء لأهل النصرة).

المحور الثالث، وجاء بعنوان: **(تفاعل الأمة مع مشروع الحزب... وعقبات يُعمل على تذليلها)**

ويندرج تحتها مواضيع على الأمة أن تهتم بها لتكون منخرطة في العمل منخلعة من الإثم، هذا وقد جاءت عناوين مقالاتها على النحو التالي: **(في الذكرى المئويّة لهدم الخلافة... عقباتٌ في طريق الخلافة، وطرقُ إزالتِها) (الأمة قادرة على التغيير، وإمكاناتها لا حصر لها) (أزمةُ الثورات مرحلية عابرة، وستحقِّق أهدافها قريبًا بعون الله - الثورة التونسية نموذجًا) (العلماء وتقصيرهم في مهمة الاستخلاف). (منزلة العلماء منزلة تكليف وتشريف فأين علماء المسلمين**

اليوم من قضية إقامة حكم الله في الأرض)

المحور الرابع، وجاء بعنوان: **(محاربة الغرب لمشروع الحزب)**

وقد تناولت مقالاته المواضيع التي تتعلق بخطط الغرب الماكرة والمجرمة ضد أمر الله بوجوب إقامة الخلافة الراشدة، وفي الوقت نفسه أشارت هذه المقالات إلى فشل الغرب فشلًا مركَّبًا: فشلٍ ذاتي لحضارته، وفشلٍ في حربه على الإسلام؛ بالرغم من كل المكر والإجرام اللذين يرتكبهما بحق الأمة في كل العالم، وأنه أبعد ما يكون عن الانتصار، وفي سياق ذلك تطرقت إلى بعض مظاهر حربه على الإسلام وبعض أساليبه وأدواته التي يستعملها للانتصار، وما هو بمنتصر. وهذه العناوين: **(الشرق الأوسط الحديث... بين مشروع التقسيم ومشروع الخلافة على منهاج النبوة) (أمريكا والحروب السياسية الحديثة) (الإسلاموية) (التطبيع مع كيان يهود والحكم الشرعي فيه) (تحويل الصراع مع يهود إلى صراع طائفي مع إيران، وخطورته) (دور وسائل الإعلام في خدمة الاستعمار ومحاربة مشروع تحرر الأمة ونهضتها)**

المحور الخامس، وجاء بعنوان: **(الإسلام هو المشروع الحضاري الوحيد المؤهل لقيادة العالم نحو الخلاص)**

وقد تناول مقالين، الأول بعنوان: **(فشل آخر للنظام الديمقراطي الرأسمالي: التعامل مع جائحة كورونا جلب الشقاء على البشرية)** وذلك كنموذج حديث عن فشله وما جره هذا الفشل على العالم كله بمن فيهم شعوبهم. أما الثاني فقد جاء خاتمة وكان بعنوان: **(الرأسمالية تترنَّح، والإسلام هو البديل...)**

ثم بعد ذلك، وضعنا مقالًا متعلقًا بشهر رمضان للمناسبة...

ثم بعد ذلك نشرنا فيه **الأبواب الثابتة** التالية:

(أخبار العالم الإسلامي في العالم) (مع القرآن الكريم) وجاء بعنوان: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ**﴾. **(رياض الجنَّة)** وجاء بعنوان: «**التجديد وعد من الله لا يخلف، يقوم به اليوم من يحيي الله بهم الدين، ويقيمه في حياة المسلمين**» **(فبهداهم اقتدِهْ)** وتناول قصة إسلام سلمان الفارسي ﷺ وأتبعناه بمقال **(قصة دخول شاب)** وهومقال شبيه لقصة إسلام سلمان الفارسي مما يحدث في العصر الحديث، **ومن ثم** (كلمة٢) **وجاءت بعنوان: «أردوغان والإخوان: يخرج عن وده ولا يخرج عن عمالته» وخاتمة المقالات كان** (غلاف٢) بعنوان : «**لماذا ترفض فرنسا الكشف عن مكان نفايات نووية دفنتها بالجزائر؟!**» . ■

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾

يتطلَّع المسلمون إلى التغيير، وهذا التطلع مبني على أساس العودة إلى دينهم كمشروع حكم وكمنهج حياة كما أراده الله، وهذا ما يعي عليه الغرب ويستنفر كل إمكاناته ويستعمل كل مكره وإجرامه لمنعه؛ وعليه يقوم صراعٌ حضاريٌّ وعسكريٌّ شديدٌ في المنطقة بين الإسلام والغرب يسعى المسلمون فيه بكل كدٍّ وجدٍّ وإصرار للوصول إلى إظهار هذا المشروع امتثالًا لأمر الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وعندما نقول المنطقة، لا نقصد بذلك منطقة الشرق الأوسط فقط، بل هي وكل مناطق فيها للمسلمين وجود، سواء في الصين، أم في الهند، أم في تايلند، أم في بورما، أم في أفغانستان، أم في منطقة آسيا الوسطى... ولكن تبقى منطقة الشرق الأوسط هي في موقع القلب والعقل في هذا الصراع. وهذا الصراع ليس حديث المنشأ، بل هو ممتد من فجر الإسلام إلى قيام الساعة؛ ولكنه يأخذ أشكالًا مختلفة، وهو اليوم يأخذ شكل أن الأمة مسلوبٌ سلطانُ الإسلام منها، وهي تريد أن تستعيده، والغرب يعمل على منعه.

أما الغرب، فإنَّ حضارته التي تسود في العالم اليوم، وهي، كما نرى ونسمع، قد جرَّت على البشرية حروبًا ومآسي وأزمات لا تُحصى، وأزْرَت بالمستوى الإنساني حتى وصلت به إلى الحضيض، على كل صعيد، وفي العالم أجمع؛ وبات الجميع يتطلعون إلى التخلص منه.

وأما الإسلام، فقد حكم وساد من قبل، وكان تاريخه مشرِقًا يفخر به المسلمون، ويمتدحه المنصفون من غير المسلمين. وهو بوصفه مبدأ وحضارته إنسانية، فإنه ما زال بعقيدته وأحكامه صالحًا كما كان من قبل لأن يحكم العالم وأن يعيد سيرته الأولى. فالإسلام عندما سقطت دولته **منذ مائة سنة** لم يسقط بسبب فساد تصوُّره للحياة وفشل أحكامه ومعالجاته لمشاكل الإنسان، بل على العكس من ذلك؛ ولكن فلأن المسلمين قد ضعف فهمهم للإسلام وأساؤوا تطبيقه؛ ما أدى إلى سقوط دولته، فسقوطها كان سببه قصور المسلمين ولم يكن قصور الإسلام، بينما نرى

أن الرأسمالية هي فاشلة بتصوُّرها للحياة وبأحكام معالجاتها لمشاكل الإنسان، وشتَّان ما بين الأمرين. **فالإسلام**، كان وما زال هو الصالح، وما على المسلمين إلا أن يُحسنوا فهمه وإيصاله إلى واقع الحياة وبالتالي أن يُحسنوا تطبيقه. **وأما الرأسمالية**، فإنها قد أثبتت فشلها، سواء في عقيدتها القائمة على الحل الوسط، أم في **معالجاتها الاقتصادية** القائمة على تحكم حفنة من الأغنياء بثروات العالم، وقيامهم بعملية نشر الفقر في العالم والقضاء على التنمية المستدامة في مختلف البلاد في العالم عن طريق فرض الديون الخارجية الربوية على دول العام، ووضع يدهم على مقدرات الشعوب وثرواتها والتحكم بها، ومنع الدول من امتلاك القدرات العلمية والصناعية التي تمكنهم من الاستقلال الاقتصادي عنها... **أم على الصعيد الاجتماعي**، فإن الرأسمالية بأحكامها القائمة على الحريات العامة تعتبر هي المسؤولة عن انتشار الرذيلة والفساد، وشيوع الأنانية، والتفكك الأسري والخواء الروحي؛ حتى باتت شعوبهم تشكو مما هي فيه وتريد الخروج منه، ولا تملك لنفسها سبيلًا...

من هنا كان الإسلام هو المبدأ الصالح الوحيد الذي بإمكانه إخراج الناس والشعوب، بمن فيها الشعوب الغربية نفسها، من جور الرأسمالية إلى عدل الإسلام، ولعلَّ ما نراه من إقبال أفراد يتعدى عددهم عشرات الآلاف سنويًا على الإسلام في عقر داره، لهو خير دليل على قولنا هذا.

وهناك أمر لا بد من ذكره، وهو أننا عندم نقول إن الإسلام هو المبدأ الصالح الوحيد لقيادة البشرية فكريًا وعمليًا، لا نقول ذلك لأن الرأسمالية فشلت وبالتالي فإن الإسلام هو البديل هكذا من غير أهلية له في ذلك... ولا لأن الإسلام قد حكم من قبل ونجح وكانت دولته هي الدولة الأولى في العالم هكذا فقط لأنها إرث جميل، أو من باب التغنِّي بالأمجاد، وبما أنه قد نجح في ذلك من قبل فإنه سينجح اليوم... كلَّا؛ بل لأن الإسلام هو قبل كل شيء هو دين ربَّاني، وأحكامه من لدن الخالق المدبِّر، العليم الخبير الذي يعلم ما خلق، وبالتالي كما أن له الخلق فإنَّ له الأمر، وعليه فإن الإسلام يملك التصوُّر الصحيح عن الكون والحياة والإنسان قطعًا ومن هذا المنطلق؛ لذلك كانت أحكامه تعالج حقيقة مشاكل الإنسان معالجة صحيحة قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك: ١٤] ومن هنا كانت أحكامه تخالف أحكام الرأسمالية القائمة على (فصل الدين عن الحياة) مخالفة جذرية، فما من مشكلة يواجهها العالم اليوم إلا ويملك الإسلام حلَّها، بدءًا من الفكر الأساسي الذي يقوم على عقيدة عقلية تنضبط بها بالفطرة

السليمة و توجد الاطمئنان عند المؤمن بها، وتبعد عنه القلق والاضطراب في حياته بما يملك من معالجات تفصيلية توافق غرائزه كلها وبشكل متَّزن، فلا تكون على حساب بعضها، وعلى هذه المعالجات تستقيم حياة الفرد من كل جوانبها، وتتحقق القيم الروحية والخلقية والإنسانية والمادية لديه جميعها وبشكل متوازن، وتقيم له دولة ترعى شؤونه، وهذه الدولة تقيم له **حياة اجتماعية** مستقرَّة ملؤها الود والرحمة، فلا زنا، ولا شذوذ، ولا ضياع نسل، ولا علاقات جنسية خارج الزواج، ولا تفكك أسري... بل زواج وعفَّة وتماسك أسري وتكافل اجتماعي... **وفي الاقتصاد،** توجد له الدولة الكفاية في حاجاته الأساسية، وتمنع كل ما يؤدي إلى تجمع المال رأسيًا وعموديًا في أيدي فئة من الأغنياء، بل تعمل على تفتيت الثروة أفقيًا لتطال أوسع شريحة من الناس، نرى ذلك في أحكام المواريث، وفي أحكام شركات المضاربة التي تجعل الفقير صاحب الخبرة شريكًا للغني صاحب الثروة، ونراه في أحكام الملكيات العامة التي توزع أموال المناجم والنفط الطائلة على الرعية كلها، وهذا غير موجود إلا في الإسلام، وفيه، وفيه... **وسياسته الخارجية** التي ترعاها دولته، **دولة الخلافة،** تقوم على نشر المبدأ وإدخال الناس في رحمة الإسلام وعدله، لا على استعمار الشعوب ونهب خيراتها، دولة تعامل رعيتها بالسواسية، ولا تفرق بين المسلمين وغيرهم في النظام العام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ فكلمة الناس تشمل المسلمين وغيرهم من رعايا الدولة الإسلامية. لقد مضى على سقوط الدولة الإسلامية **مئة سنة** عانت فيها شعوب العالم، وعلى رأسهم الشعوب الإسلامية، ويلات الرأسمالية، على مختلف الصعد، حتى بات مِن أهلها مَن يتوقع قرب انهيارها وانهيار منظومتها الدولية، وتحدث به الكثيرون منهم، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ فهناك تصريحات لمفكرين وباحثين غربيين يتوقعون هذا السقوط من غير أن يذكروا البديل، وهناك تصريحات لبعضهم يتوقَّعون فيها الإسلام كبديل... إذًا، **يوجد** في الواقع اليوم المبدأ الرأسمالي الذي أثبت فشله على كل صعيد... **وتوجد** لدى شعوب العالم حاجة ماسة للتغيير، وليس فقط لدى المسلمين... **ويوجد** المبدأ الصالح لقيادة الناس، وهو الإسلام؛ فهذا كله يشير إلى أن مستوى الصراع الحضاري في العالم قد وصل إلى حالة مثالية بين مبدئين متناقضين: مبدأ الإسلام القائم على العبودية لله وحده، ومبدأ (فصل الدين عن الحياة). وتقوم بين قطبين: دول غربية وعلى رأسها أمريكا ومعها

دول العالم الفاعلة في المسرح الدولي وبين الأمة الإسلامية ويقودها **حزب التحرير** الذي يجتهد لأن يكسب مع الأمة هذا الصراع بكسب رضى الله عنه في عمله قبل كل شيء، فينطبق عليه أنه ثلة الخير، وأنه تلك الطائفة المنصورة التي تسير على طريقة الرسول ﷺ فيقيم الله سبحانه وتعالى به خلافة الخير في آخر هذا الزمان.

إن ما تناولناه من هذا الصراع ليس حديث الولادة، بل نسأل الله أن تكون دورة التغيير قد اكتملت، وولادة خلافة الخير التي تحكم بما أنزل الله قد أذنت لربها وحُقَّت . وإنه إذا كان من طبيعة التغيير الكوني الذي يصاحبه تغيير حضارة وزوال دول وتغير في مواقع دول... أن يكون بطيئاً ويحتاج إلى تغييرات عميقة في الأمة حتى يتحقق؛ إلا أننا نرى عجلة التغيير اليوم تسير بشكل سريع، وباتت متوقعة حتى من أعدائه الذين لا يفتؤون يحذِّرون العالم من حدوثه.

نعم، إن الأمة كلها من أدناها إلى أقصاها، قد جمعت بينها المصيبة بما تعانيه من ضنك الحياة نتيجة بعدها عن التحاكم لشرع الله في شؤون حياتها، ونتيجة الحملة الرأسمالية الكافرة عليها، وباتت على رؤية رجل واحد تدرك أن لا منجى ولا ملجأ لها إلا إلى الله. وكذلك فقد بات الحزب على قدرة واستطاعة على القيام بأمر الله، إذا ما أتى، وأن يقوم بحقه بعد تلك السنوات الطويلة الشديدة التي قضَّاها شبابه في غمارها، والأمر لم يعد يحتاج سوى إلى ثلة خير من المؤمنين من أهل القوة من المسلمين، من الذين يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، من الذين يكتوون من هذا الظلم الواقع عليهم مثلهم مثل أمتهم، فيمدون أيديهم إلى حزب التحرير ويعطونه صفقتها، وينصرونه، أو لنقل وينصره الله بهم، وينطبق عليهم وصف (أنصار الله)في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾.

إن الثقة بنصر الله، والأمل بوعده سبحانه وببشرى رسوله الكريم لا يتزعزعان، وكما كان التدخل الرباني موجودًا مع كل نصر كان يأتي من الله لرسله، من جعل النار بردًا وسلامًا على سيدنا إبراهيم، ومن شق البحر لسيدنا موسى، ومن إيمان الأنصار في ساعة من نهار في المدينة مع مصعب، وحفظه للرسول الأكرم في طريق هجرته... فإن النفس مشتاقة لترى أي نوع من هذا التدخل الرباني ينتظرنا... وعلى الله قصد السبيل. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

مائة عام والمسلمون بلا جُنَّة يُتَّقى به ويقاتَل من ورائه

عبد الخالـق عبـدون علــي
عضو المكتــب الإعلامـــي
لحزب التحرير - ولاية السودان

الإسلام هو الدين الخاتم الذي أنزله رب العالمين على نبيه الأمين محمد ﷺ ليعرِّف الناس بربهم حق المعرفة، ولينظِّم حياة الناس على الأرض، مسلمهم وكافرهم، بالأحكام الشرعية التي تتناول مختلف شؤون حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية. ومن المعلوم أن النظام السياسي في الإسلام هو الطريقة الشرعية الوحيدة لتطبيق الإسلام بكل أحكامه؛ وعلى ذلك كان حكم وجود الدولة الإسلامية هو الوجوب الشرعي، ومن دونها يتعطَّل هذا التطبيق، ومن دونها يتحوَّل الإسلام إلى دين كهنوتي روحي يقتصر على العبادات وأحوال الأحكام الفردية الشخصية كما هو حاصل اليوم، وكما خطَّط الغرب، أسوة وإلحاقًا بكل من الدين النصراني واليهودي، وهو مستعدٌّ لأن يرتكب كل إجرام لتغيير هذا الواقع المفروض على المسلمين، وهذا ما تعامل به الغرب مع ثورات الربيع العربي؛ حيث فهم أنها محاولة جادة من الناس للتخلُّص من ربقة استعماره وإحلال الحضارة الإسلامية مكانه... فهذا هو الإسلام الذي تعتبر الدولة الإسلامية جزءًا منه ولا ينفصل عنه، وهذا هو السبيل الوحيد الذي يؤدي لنهضة المسلمين، وفي الوقت نفسه يضع حدًّا للحضارة الغربية المتوحِّشة التي يكتوي العالم كل العالم منها.

لقد ورد في السيرة النبوية أن محمدًا ﷺ وصحابته الكرام كافحوا مدة ثلاثة عشر عامًا في مكة المكرمة لإقامة الدولة الإسلامية وهاجروا إلى المدينة المنورة بعد ذلك ليقيموا الدولة الإسلامية الأولى، وكانت هجرتهم تعني الانتقال من دار الكفر في مكة إلى دار الإسلام في المدينة حيث الحكم والأمان والإيمان، وهناك طُبِّق الإسلام عمليًا في حياة الناس، وكان من أعمالها الجهاد وإدخال القبائل في حكم الإسلام ونشره بحسن تطبيقه، وكان من نتائج كل ذلك هو انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية وتوحُّد القبائل تحت رايته وانصهار شعوبها في بوتقة الأمة الواحدة وهي الأمة الإسلامية، وكان النبي محمد ﷺ هو أول حاكم للدولة الإسلامية، وخلفه أبو بكر في رئاسة الدولة بعد أن بايعه المسلمون خليفة عليهم بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، حيث عُرفت الدولة بعد ذلك باسم دولة الخلافة الراشدة، بعد أن كانت دولة النبوة.

فالخلافة هي رئاسة عامة للمسلمين جميعًا في الدنيا، وهي تطبق الشريعة على رعاياها وتحمل الدعوة الإسلامية للبشرية كافة عن طريق الدعوة والجهاد وحسن التطبيق. ونظام الخلافة نظام فريد لا يماثله أي نظام حكم آخر في العالم، فهي ليست دولة كهنوتية، بل هي دولة مبنيَّة على عقيدة سياسية روحية توفِّر الأمن والأمان والاطمئنان للذين يعيشون في كنفها، وتضمن لهم سدَّ حاجاتهم الأساسية بصرف النظر عن عرقهم ودينهم أو أي اعتبار آخر.

وعلى مر العصور التي عاشتها دولة الخلافة كانت الخلافة زهرة العالم، والشمس الساطعة بين الأمم، والمنارة التي كان يهتدي بها سكان المعمورة أجمعين. هذا ولم تنهض البشرية وتزدهر مثلما ازدهرت ونهضت تحت قيادة الخلافة، ولم تنعم البشرية بالأمن والسلام كما نعمت به في ظلِّ دولة الخلافة، وقد تربَّعت دولة الخلافة على مركز سيادة العالم لأكثر من ثلاثة عشر قرنًا من غير منازع، وقادت العالم سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا وروحيًا وثقافيًا، حتى ألغيت في الثامن والعشرين من رجب ١٣٤٢هـ على يد عميل الاستعمار الإنجليزي، اليهودي الأصل، مصطفى كمال، وكنتيجة لإلغاء دولة الخلافة مُزِّقت الأمة شرَّ ممزق، وخسر المسلمون من يدافع عن حياتهم وعن عِرضهم وعن أموالهم لأنهم فقدوا الجُنة والدرع الحصين، كما وصفه ﷺ بقوله: «**إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ**» صحيح مسلم. وبهدم الخلافة فقدنا الراعي الذي يرعى شؤوننا ويحل مشاكلنا ويحمي بيضتنا... فصارت الأمة الإسلامية بعد زوال الخلافة يتيمة بعد فقدِ خليفتها، ونهبًا لكل طامع، ومقطَّعة الأوصال منهوبة مقهورة مذلولة، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على عظم هذا المركز وأهميته في الإسلام. لقد كان يومُ هدم الخلافة يومَ إسقاط راية الإسلام، وإزاحته عن التحكم في المسرح الدولي، وتنحية القرآن والسنة جانبًا، ووضع دساتير وقوانين الكفر بدلًا من ذلك، فكان طبيعيًا أن تتفرق الأمة الإسلامية شذر مذر، وأن تصبح الدولة الواحدة دويلات هزيلة تستجدي أمنها ورعايتها من عدوِّها، وأن تضيع مقدساتها فلسطين وغيرها، وأن يحكمها الأنذال الأرذال، وينتصب للقيادة فيها التافهون والعملاء، يعبثون بمقدساتها وثرواتها، وبأعراضها ودمائها، ويبيعون قضاياها لعدوِّها، فكانوا هم الخنجر المسموم بيد أعدائها... وكان طبيعيًا أن تتوالى الفواجع عليها والتي تتجاوز الوصف والتصوُّر، تتولَّى كبرها دولُ الكفر جمعاء، وهي الآن بقيادة أمريكا تفعل بالمسلمين الأفاعيل.

وسوف نتناول جزءًا من جرائم الكفار، عليهم اللعنة، بحق المسلمين، والتي يشيب لهول ذكرها الأطفال، ونحن لو أردنا أن نتناولها كلها فلن تكفينا المجلدات لإجرامهم وبلطجتهم. وتناولها إنما يجب أن يذكِّرنا بفرضية إقامة الخلافة، فهي الوحيدة التي تضع حدًّا للمآسي التى تترى على المسلمين ولا

تتوقف أبدًا.

ففي روسيا، استطاع الروس، بزوال الخلافة، أن يبتلعوا أجزاءً كبيرة من بلاد المسلمين خلال القرن الثاني عشر للهجرة، مثل القرم ومغول الشمال وتركستان والقوقاز... وبمجرد دخولهم لأي من هذه المناطق، كان الروس دائمًا ما يرتكبون أبشع المجازر ضد المسلمين، والتي فاقت في بشاعتها محاكم التفتيش بالأندلس! فكانوا يراسلون الإسبان ليتعلَّموا منهم طرق التنكيل بالمسلمين، وكانوا في القرم يبدؤون بالقتل العشوائي وهتك الأعراض، ويتفنَّنون في تعذيب المسلمين، وكان الروس يعتبرون اعتناق أي ديانة غير الديانة النصرانية الأرثوذوكسية جريمة تستحق عقوبة الإعدام، فاضطر المسلمون إلى كتمان إسلامهم، وتوريثه لأبنائهم سرًّا، كما كان الحال مع المورسكيين بعد سقوط الأندلس، الذين كانوا يُنَصِّرون المسلمين عن طريق اختطاف أطفالهم، وتربيتهم في مدارسهم النصرانية، لينشؤوا بعزلة عن أهاليهم ودينهم الأصلي، فمن أصل خمسة ملايين مسلم في القرم، لم يتبقَّ فيها اليوم إلا ما يقارب نصف المليون مسلم فقط!

أما تركستان ففي عام ١٢٩٣هـ خرجت من الحكم الإسلامي عندما أطبق الروس السيطرة على أغلب مناطقها، باستثناء تركستان الشرقية، التي سيطرت عليها الصين، وما زالت إلى اليوم تعاملهم بعنصرية ووحشية وترتكب ضدهم المجازر المهولة، فما إن دخل الروس تركستان حتى واصلوا ما بدؤوه في القرم من جرائم بشعة، وكلما قامت ثورة إسلامية، انقضَّ عليها الروس (ثم الشيوعيون لاحقًا)، وأخمدوها بأبشع الطرق، ومع سقوط الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٩١م، استقلَّت الولايات المختلفة في إقليم تركستان، وتكوَّنت دول مثل أوزبيكستان وطاجيكستان وغيرهما، ولكن ما زالت روسيا قائمة إلى اليوم على إيجاد نفوذ لها في هذه الدول، حتى واجهت هذه الدول مشاكل زيادة الوافدين الروس إليها، فوصلت نسبتهم في كازاخستان مثلًا إلى أكثر من ربع السكان، وبات المسلمون فيها اليوم أقلية.

كذلك فرض السوفيات تعليم الفكر الماركسي، وحظروا تعليم الإسلام في المدارس، وقاموا بفرض اللغة الروسية ومنع الحروف العربية. ومنذ عام ١٩٢٢م وحتى ١٩٩١م، كان من أبرز سياسات السوفيات تشريد وتهجير المسلمين من أراضيهم، حتى هاجر الكثير من مسلمي تلك المناطق إلى البلاد الإسلامية المختلفة، أما من تبقَّى منهم فكان يوزَّع على مختلف المدن السوفياتية ليكونوا أقلية أينما عاشوا. بالإضافة إلى ذلك كان السوفيات يوطِّنون الروس في البلاد الإسلامية الضعيفة التي تقع تحت سيطرتهم، وينتزعون ملكيات الأراضي الزراعية من مسلمي تلك المناطق ويهدونها للروس، فيُمسي المسلم فقيرًا والروسي سيدًا عليه، وكانوا أيضًا يُوَطِّنون غير الروس في البلاد الإسلامية، مثل توطين اليهود في القرم. ومن أبشع ما فعله السوفيات تهجير

شعوب مسلمة بأكملها مثل «القرم والشيشان والباشكير وغيرهم» إلى مناطق يستحيل العيش فيها، مثل (سيبيريا) المعروفة بجوِّها شديد البرودة، حتى أُبيد في عهد ستالين أكثر من ١١ مليون مسلم بهذا السبب. كما اعتاد السوفيات على هدم المساجد وتحويل بعضها إلى كنائس، والبعض الآخر إلى إسطبلات للخيول، وغيرها إلى مسارح ودور للخمر. وكانوا أيضًا يسرقون الأموال من الأوقاف الإسلامية ويصادرونها بأكملها، وكانوا يحوِّلون المدارس الإسلامية والقرآنية إلى دور للتنصير. وفوق كل ذلك، كانوا يخصّون المسلمين بضرائب عالية جدًا، عامِلين على خفض مستواهم المعيشي، بالإضافة إلى التجنيد الإجباري لهم، إلا من يرتدُّ عن دين الإسلام.

ومن الظواهر التي عانى منها مسلمو الاتحاد السوفياتي في الأعوام الأخيرة قبل سقوطه إفرادهم بالمعاملة السيِّئة وغير العادلة، فكان السوفيات يَمنعون المسلمين من أداء فريضة الحج، ويمنعونهم من جمع الزكاة، وحتى من ارتداء الحجاب للنساء، وأجبروا المسلمين على العمل لساعات إضافية خلال شهر رمضان ليشقوا عليهم دينهم. بالإضافة إلى ذلك فرض الروس تعليم الفكر الماركسي وحظروا تعليم الإسلام في المدارس، وقاموا بفرض اللغة الروسية ومنع الحروف العربية لطمس الثقافة الإسلامية، وحرصوا على التعليم المختلط لما فيه من فساد للأخلاق، واستخدموا الآلة الإعلامية للسخرية من الدين الإسلامي للتصغير من شأنه ومن شأن المسلمين، وكانوا أيضًا يحرصون على زرع الفتن بين مسلمي الاتحاد السوفياتي لتفريق كلمتهم، وكانوا يقسِّمونهم إلى وحدات صغيرة لتسهل السيطرة عليهم، كل ذلك بحجة أن «الدين أفيون الشعوب»، وأنهم «لا يؤمنون بأي دين» إلا أنهم خصّوا المسلمين بهذا الاضطهاد والبطش دون غيرهم. ولسوء حظ الروس، كان الأفغان وما زالوا من أكثر الشعوب تمسُّكًا بالإسلام، ومن أكثرهم عداءً لأعدائه. وفي عام ١٩٧٣م، تمكَّن محمود داود بالتنسيق مع الروس من الانقلاب على الحكم الملكي في أفغانستان، ثم في عام ١٩٧٨م، قام الحزب الشيوعي بقيادة محمد غلاب بالانقلاب عليه، وما إن تمكن الشيوعيون من أفغانستان حتى بدؤوا في عدوانيتهم للإسلام مجددًا، فقتلوا في أول يوم من الانقلاب أكثر من ١٥ ألف مسلم، وقُتل أمام محمد داود أبناؤه الـ٢٩، ثم قُتل هو وباقي أفراد أسرته، ثم بدأ الشيوعيون بالالتفاف حول موسكو والمناداة بالشيوعية العالمية، وفتحوا بعد ذلك الأبواب أمام الجيش الروسي لاحتلال أفغانستان بحجة «حماية النظام»، فسيطر الروس على كابول وعلى باقي أقاليم أفغانستان. وفي عام ١٩٨٠م، أُبيد ما يقارب المليون مسلم على يد الروس في أفغانستان، وقوبل ذلك بالمواقف المخزية للحكومات في بلاد المسلمين، وهذا ديدنهم إلى اليوم أخزاهم الله.

أما فرنسا، فقد مارست جرائمها الوحشية ضد المسلمين؛ فقد جمعت ٤٠٠ عالم مسلم،

وقطعت رؤوسهم بالسواطير؛ أثناء احتلالها تشاد عام ١٩١٧م («تشاد» للمؤرخ محمود شاكر، ص: ٧٣). وحينما دخلت فرنسا مدينة الأغواط الجزائرية عام ١٨٥٢م أبادت ثلثي سكانها حرقًا بالنار في ليلة واحدة. وأجرت فرنسا ١٧ تجربة نووية في الجزائر في الفترة من (١٩٦٠ – ١٩٦٦)م، وقد أسفرت عن عدد غير محدد من الضحايا يتراوح بين ٢٧ ألفًا و١٠٠ ألف. وحين خرجت فرنسا من الجزائر عام ١٩٦٢م كانت قد زرعت وراءها عددًا من الألغام أكثر من عدد سكان الجزائر وقتها (١١ مليون لغم)، واحتلت فرنسا الجزائر لمدة ١٣٢ سنة، أباد خلالها الفرنسيون مليون مسلم في أول ٧ سنوات بعد قدومهم، ومليون ونصف المليون في آخر ٧ سنوات قبل رحيلهم، وقدَّر المؤرخ الفرنسي جال جوركي أن مجموع الذين قتلتهم فرنسا في الجزائر منذ قدومها عام ١٨٣٠م حتى رحيلها عام ١٩٦٢م، هم ١٠ ملايين مسلم. واحتلَّت فرنسا تونس مدة ٧٥ عامًا، والمغرب ٤٤ عامًا، وموريتانيا ٦٠ عامًا، واحتلت السنغال (٩٥٪ من سكانه مسلمون) لمدة ثلاثة قرون.

أما بالنسبة لأمريكا؛ ففي أفغانستان مارست أمريكا أشكالًا مروِّعة من الإبادة الجماعية، فهناك آلاف الوثائق التي تتحدث عن جرائم الاحتلال في أفغانستان، والمذابح بحق المدنيين والتي ارتكبتها قوات الغزو الأمريكي في عدد من مديريات أفغانستان، والحقيقة أكبر من الظاهر، ولا شك بأن الحقيقة الكاملة عن جرائم الإبادة التي ترتكبها قوات الاحتلال في أفغانستان أكبر مما يتم تسريبه ونشره. لقد كشفت الوثائق المسرَّبة عن حجم وكيفية قيام قوات الاحتلال بقتل مئات المدنيين، إن لم يكن الآلاف، في حوادث لم يتمَّ الإعلان عنها، وإن ما نشرته، (الغارديان البريطانية) و(نيويورك تايمز الأمريكية) و(دير شبيغل الألمانية) من ملفات وسجلات بلغ عددها ٩٠ ألفًا، ليس سوى قطرة من بحر جرائم الإبادة المرتكبة بحق الشعبين الأفغاني والعراقي، ولا سيما الفلُّوجة.

وكانت صحف ألمانية قد نشرت بدورها في وقت سابق صورًا لجنود يحتضنون جماجم ضحاياهم. وما ينطبق على الجنود الأمريكان ينطبق أيضًا على الفرنسيين، والبريطانيين، والإيطاليين، والدنماركيين، والإسبان وغيرهم، فالمدنيون يُقتلون بالجملة، غيلة وحقدًا وانتقامًا، فقد قتلوا في يوم واحد ٤٥ مدنيًا أفغانيًا جملة واحدة في هجوم صاروخي ارتكبته قوات الاحتلال في إقليم هلمند، وتحديدًا في بلدة سانجين، جنوب أفغانستان، وقد اعترفت قوات الاحتلال بالجريمة، وقد أثبت موقع (Global Research) الكندي أن حروب الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية تسبَّبت في مقتل أكثر من ثلاثين مليون إنسان حول العالم. من ناحية أخرى أثبتت دراسة مهمة أجرتها جهة رصينة أخرى أن «الحرب على الإرهاب» (أي الإسلام) التي تقودها الولايات المتحدة قد قتلت ما يصل

إلى مليوني شخص، لكن هذا الرقم يمثل جزءًا بسيطًا من المسؤولية الغربية أو من الأرقام عن الوفيات في العراق وأفغانستان وبصورة أقل في باكستان (ثم بعد ذلك في ليبيا وسوريا والصومال، على مدار العقدين الماضيين، وطبعًا هذه الأرقام لا تشمل ما يقتله كيان يهود من أهل فلسطين)، فقد أصدرت منظمة أطباء من أجل المسؤولية الاجتماعية ((PSR) Physicians for Social Responsibility)، ومقرُّها واشنطن العاصمة، دراسة تاريخية خلصت إلى أن عدد القتلى بعد ١٠ سنوات من «الحرب على الإرهاب» (الإسلام) منذ هجمات ١١ أيلول/سبتمبر هو ١,٣ مليون شخص على الأقل، ويمكن أن يصل العدد إلى ٢ مليون؛ إلا أنه تم حجب هذه الحقائق الواردة في الدراسة بالكامل تقريبًا من قبل وسائل الإعلام الناطقة باللغة الإنجليزية. وفي منتصف عام ٢٠٠٦م، نشرت مجلة (لانسيت الطبية البريطانية) دراسة أكدت فيها أن حوالى ٦٧٠ ألف عراقي قتلوا بعد الاحتلال وبسببه، وتعرضت هذه الدراسة لهجوم إعلامي كبير في بريطانيا والولايات المتحدة، وتم التشكيك بالأرقام التي أوردتها (حسب إحصائيات الولايات المتحدة بعد سنتين من هذه الدراسة، فإن الرقم ربما يكون أكثر من ٣٠ ألف قتيل بقليل) ومع مرور الأيام بدأت الحقائق تظهر، وأصبح الرقم الذي أوردته مجلة (لانسيت) يبدو الأقرب للدقة، ثم جاءت هذه الدراسة الأخيرة لتثبت أن الحرب والهجمات التي شنتها الولايات المتحدة على العراق، والوفيات التي تسبَّب بها الحصار الظالم واللاإنساني للفترة من ١٩٩١م إلى ٢٠٠٣م أودت بحياة ١,٩ مليون عراقي، ثم من عام ٢٠٠٣م وصاعدًا، قتل حوالى مليون شخص آخر، أي أن أكثر من ٣ ملايين عراقي لقُوا حتفهم على مدى عقدين من الزمان على يد الولايات المتحدة أو بسبب سياستها، حسب هذه الدراسة. وتراوحت بشاعة الطرق التي قتل فيها هؤلاء الضحايا ما بين دفن عشرات الآلاف من الجنود الأحياء في خنادقهم، وقتل أكثر من مليون وثمانمائة ألف شخص بالحرمان من الغذاء والدواء، وصولًا إلى استهداف المدنيين الأبرياء بغارات عشوائية مكثفة. أما جرائم التعذيب في السجون (أبو غريب نموذجًا) فحدِّثْ ولا حرج، وطبعًا ما جرى ويجري في العراق وسوريا وليبيا واليمن ولبنان، من سياسة دعم ونشر الإرهاب والإرهابيين لتدمير هذه الدول فهي سياسة وممارسة لا تحتاج لدليل لإثباتها. أما الأموال التي سرقتها أمريكا من العراق فقد كتب محرر (دار ضفاف) عن دار ضفاف للطباعة والنشر في بغداد صدر الجزء التاسع والعشرون (٢٧٩ صفحة) من موسوعة جرائم الولايات المتحدة الأمريكية ترجمة وإعداد الباحث (حسين سرمك حس)، ذكر الباحث حسين سرمك في مقدمة هذا الجزء معلومات لا تصدق وتصيب أي عراقي بالألم والمرض والغضب والقهر: (كان المُخطَّط لهذا الجزء أن يكون جزءًا واحدًا موحّدًا يتناول قضيتين مترابطتين: الأولى هي سرقة أكثر

من ٦٠ مليار دولار (بعض الباحثين يضيف إليها ٢٠ مليار دولار من مبيعات النفط في ظلِّ الاحتلال) من الأموال العراقية التي كانت تحت وصاية الولايات المتحدة (وبالتالي فهي المسؤولة عن مصيرها قانونيًا) في صندوق تنمية العراق. أمّا الثانية فهي ضياع عشرات المليارات من الدولارات من أموال العراق في ما سُمّي بـ«عملية إعادة إعمار العراق» من خلال الفساد الفاحش من رشى واختلاسات وهدر وإساءة استخدام للمال من قبل المسؤولين الأمريكيين في سلطة الائتلاف المؤقتة (برئاسة بول بريمر) التي حكمت العراق في السنة الأولى التي تلت الاحتلال البغيض.

أما في سوريا الأبية؛ فقتلى وجرحى ومفقودون ومعتقلون ومهجَّرون بالملايين. هذا وقد سرَّب المصوِّر «سيزار» آلاف الصور التي تفضح جرائم قتل وتعذيب السوريين في معتقلات النظام، وتدخل الثورة السورية عامها العاشر بأعداد مضاعفة من النازحين والقتلى، فبحسب أحدث تقرير للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين بالأمم المتحدة لعام ٢٠٢٠م، فإن عدد النازحين السوريين خلال كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير بلغ أكثر من ٩٠٠ ألف، منهم ٣٠٠ ألف منذ بداية الشهر الماضي، وذلك جرَّاء الحملة العسكرية الأخيرة التي قادها النظام السوري بدعم روسي إيراني على محافظتي حلب وإدلب، وتمكن خلالها من السيطرة على مناطق استراتيجية، وفتح الطريق «إم ٥» الدولي الذي يصل العاصمة دمشق بحلب والساحل. وتتضارب أرقام عدد القتلى الذين سقطوا على أيدي قوات النظام السوري وحلفائه منذ اندلاع الثورة السورية، ويقول ياسر الفرحان رئيس الهيئة الوطنية للدفاع عن المعتقلين والمفقودين في الائتلاف السوري المعارض للجزيرة نت، إن الشبكة السورية لحقوق الإنسان وثَّقت مقتل أكثر من ٢٢٢ ألف شخص في سوريا منذ آذار/مارس ٢٠١١م وحتى بداية آذار/مارس ٢٠٢٠م، فيما تقول منظمة هيومن رايتس ووتش إن أكثر من ٤٠٠ ألف شخص قتلوا في سوريا منذ ٢٠١١م، ويشير الفرحان إلى أن هذه الأرقام تعبر عن جزء من الحقيقة، فبالرغم من الفرق المتخصصة والميزانيات المخصصة لدى منظمات التوثيق، فإنها لا تستطيع رصد جميع الانتهاكات في سوريا بسبب اتساع رقعتها وتزايد شدتها، فضلًا عن صعوبات الوصول إلى كافة المناطق.

ما كان المسلمون ليتعرضوا لمثل هذه الضربات المميتة والانتهاكات الوحشية لو أن لهذه الأمة خليفة (جُنّة) يدافع عنها ويقاتَل من ورائه ويُتَّقى به تحت ظلِّ نظام الخلافة، فبغياب الخلافة أصبح الكافر متحكِّمًا في جميع مفاصل حياة المسلمين، بل ويتدخل في أدق تفاصيل حياتها آمرًا وناهيًا، وبين الفينة والأخرى نرى مبعوثًا من بلاد الكفر في بلادنا يجوب فيها شرقًا وغربًا بلا رقيب، وبغياب الخلافة غاب عنا خلفاء أبطال أمثال هارون الرشيد الذي خاطب نكفور بكلب الروم، وغاب

عنا أمثال القائد صلاح الدين قاهر الصليبيين، وسيف الدين قطز قاهر التتار. الخلافة التي كانت تسيِّر الجيوش الجرارة من أجل امرأة واحدة انتُهك عرضها، فما بالنا بالملايين التي أزهقت أرواحهم وانتهكت أعراضهم؟! الخلافة دولة تحمي المسلمين ومقدساتهم وتحمي بيضتهم، فإلى العمل الجاد لإعادتها.

إن أمر الخلافة عظيم، وشأنها جليل، وتركها وترك العمل لها يرتِّب على المسلمين أعظم الذنوب والآثام، ويكفي في هذا قول رسول الله ﷺ: «**وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» رواه مسلم، والبيعة لا تكون إلا لخليفة، فوجوده هو الذي يوجد في عنق المسلمين البيعة، فاعملوا مع **حزب التحرير** الذي يصل ليله بنهاره من أجل هذه القضية المصيرية التي نذر نفسه لها. إن **حزب التحرير** الذي تعلمونه جيدًا منذ عشرات السنين هو الرائد الذي لم يكذبكم يومًا، ولم يتنازل أو يتراجع عن هدفه هذا قيد أنملة، بل بقي كالجبال الراسيات يصل ليله بنهاره ليبيِّن للأمة هذا الفرض الضائع بل تاج الفروض، فَبِهِ وحده تقام الفروض على وجهها، فمنْ ذا الذي يقود الجيوش التي تحرر الأقصى إلا الخليفة؟ ومن ذا الذي يرفع الظلمَ والقتلَ الذي يقع على المسلمين في مشارقِ الأرض ومغاربها إلا الخليفة؟ ومن ذا الذي يطبقُ كتاب الله الذي تعطّل لمائة عام، فيحيي أحكامه ويطبِّق دستوره ونظامه؟ ومن ومن ومن... إلا الخليفة ودولة الخلافة؟! ولذلك ليس عجبًا أن يجعل **حزب التحرير** العمل للخلافة صناعته وبضاعته، وسيبقى كذلك إلى أن تتحقَّق بشرى رسول الله ﷺ لهذه الأمة «**ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**» مسند الإمام أحمد، وسيبقى يطلب من الأمة وجيوشها العمل معه لإقامة دين الله في الأرض بإقامة الخلافة على منهاج النبوة.

إن **حزب التحرير** سائر، بعون الله وتوفيقه، في هذا الطريق حتى تقام الخلافة، فَهلُمَّ أيها المسلمون للعمل معنا لإقامة دين الله في الأرض، هلمَّ يا جيوش المسلمين وضعوا أيديكم بأيدينا لإقامة هذا الفرض العظيم، وثِقوا بالله القوي العزيز واعلموا أن نصر الله قريب. إن الأمة لن تيأس من روح الله ونصره، وبين يديها بشارات تستنهض الهمم، وتطمئن لها القلوب المؤمنة بنصر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾.

فها هي الأمة قد خرجت من كبوتها، وبين يديها، ومن أمامها، **شباب حزب التحرير**، بقيادة العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة، يصلون ليلهم بنهارهم، بخطًى ثابتة نحو تحقيق قضية الأمة المصيرية، باستعادة عزها وسلطانها، بإعلانها خلافة راشدة على منهاج النبوة، وما ذلك على الله بعزيز. قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

عظمة التشريع الإسلامي

د. محمد ملكاوي

يقول نوح فيلدمان في كتابه (انهيار وظهور الدولة الإسلامية): «الدولة الإسلامية في حقيقتها هي دولة شريعة ذات رؤية موجهة بنظام القانون. وتاريخيًا كان دستور الدولة، وهو غير مكتوب كما هو الحال في بريطانيا، يجعل من الدولة الإسلامية دولة قانون. وكان نظام الدولة مبرَّرًا بالقانون، وكانت الدولة تدار بالقانون أي بالشريعة». ويقول فيلدمان أيضًا: «الدعوة لإقامة الدولة الإسلامية هي في واقعها دعوة لإقامة التشريع والقانون الإسلامي. وحين ينظر المسلمون إلى الدول التي تحكمهم يجدون أنها تحكم بقوة السلطان وليس بقوة القانون. في حين إن الدولة الإسلامية المنشودة هي دولة قانون تحكم بالقانون وتوجد تحت ظل القانون».. ويقول فيلدمان كذلك: «كثير من الناس يظنون أن الشريعة في الإسلام لا تعني أكثر من غطاء الرأس للنساء والعقوبات الصارمة. والحقيقة أن الشريعة في الإسلام هي تنظيم شؤون الفرد والمجتمع في جميع مناحي الحياة بناء على قانون يستنبط من القرآن والسنة».

إن الغاية الرئيسية من القانون والدستور وبالتالي التشريع الذي ينتج القانون والدستور هو تحقيق العدل. يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾. وتحقيق العدل التشريعي يقتضي أركانًا عدة أهمها:

١- تنزُّه المشرِّع عن الهوى.

٢- العلم المحيط بأحوال الناس.

٣- العلم بالمشكلة التي تقتضي التشريع.

٤- سلطان القانون/التشريع على سلوك الإنسان.

وجميع الشرائع في الدنيا تعمل بشكل أو بآخر على تحقيق هذه الأركان جميعها أو بعضها. وعظمة التشريع الإسلامي تكمن في أن الإسلام يحقق جميع هذه الأركان وبشكل منتظم، بينما تعجز باقي الأنظمة عن تحقيق أي من هذه الأركان على وجه مقبول.

فالدولة المدنية مثلًا التي بشَّر بها جان جاك روسو وفولتير والتي ظهرت بأشكال مختلفة من الديمقراطية، حاولت حل مشكلة النزاهة وانتفاء الهوى في التشريع عن طريق إشراك أكبر عدد من الناس في صياغة القانون أو الأصل الذي يستند إليه القانون، فجعلوا الإرادة الجماعية هي التي يصدر عنها القانون، وهم بذلك ظنوا أن الهوى والميل الذي يصاحب الأفراد من الممكن أن ينتفي أو يقل على أقل تقدير. وقالوا أيضًا إن القانون الذي يصدر عن إرادة الجماعة له السلطان نفسه على كل فرد من أفراد الجماعة؛ لأن إرادة الجماعة هي إرادة كل فرد منهم، وإرادة الفرد على نفسه مضمونة، ما يجعل طاعة القانون والتشريع طبيعية. أما العلم بأحوال الناس، فقد قالوا إن

القانون الذي يصدر عن المجموع بالضرورة يحيط بأحوال المجموع، وإن المشكلة التي يعالجها القانون هي واقع محسوس يحصل العلم به من قبل المشرع طبيعيًا.

والحقيقة أن الإرادة الجماعية المسؤولة عن التشريع لا تحقِّق أيًّا من الأركان الأربعة سالفة الذكر. فالواقع العملي يقول إن عملية التشريع عند أرباب الدولة المدنية تنشأ عند شخص أو لجنة تشريع قليلة العدد، وهذه اللجنة هي مجموعة أفراد، لكل فرد منهم إرادته وعلمه وعقله وله عواطفه وهواه وميله. وإذا جمع هؤلاء في لجنة أو مجموعة عمل فإن الهوى لا ينتفي ولكنه يتعدد وتصبح القضية هي التوفيق بين هوى هذا وذاك، وبالتالي فإن الحل الوحيد لإخراج أي قانون أو تشريع هو الحل الوسط والالتقاء عند نقاط التقاء لدى مجموع الأفراد. وانتفاء الهوى والميل يستحيل عند المجموع كما يستحيل عند الفرد. أما استحالته عند الفرد فلأن الفرد لا يمكن أن يتجرد من مشاعره وميوله لأنها جزء منه. واجتماع الأفراد لا ينزع منهم الهوى والميل بل يجعل الهوى والميول أكثر، ما يقتضي عملية التوفيق. ومن هنا فإن التشريع القائم على إرادة الجمهور أو الإرادة الجماعية لا يمكن أن يكون مجردًا عن الهوى والميل، وبالتالي فإن الركن الأول والأهم لتحقيق الغاية من التشريع منتفٍ تمامًا. وليس أدل على ذلك من واقع التشريع الذي نشاهده اليوم في الدول التي تمارس أشكال الديمقراطية المختلفة ولعهود طويلة في أمريكا وأوروبا.

فأمريكا كانت قد أصدرت قانونًا يتعلق بمنع إنتاج وبيع الخمور سنة ١٩٢٠م، ثم عادت وألغت هذا القانون عام ١٩٣٣م. وفي الحالتين كان إصدار أو إلغاء القانون حسب ميول ورغبات الأطراف التي شاركت في صياغة القانون. وكذلك قانون حيازة السلاح في أمريكا، فلا يزال القانون خارج إطار التشريع بالرغم من المطالبة به بشكل دائم من جماعات تنادي بحظر ملكية السلاح. ولا تزال شركات إنتاج السلاح وجماعات الضغط التابعة لها قادرة على عدم تمرير القانون، في الوقت الذي تعجز فيه جماعات حقوق الإنسان عن تمرير القانون. وكذلك على مستوى القوانين الدولية التي تصدر عن المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن، فقضية الميول التي تفرضها الدول الأقوى واضحة. وأكثرها وضوحًا القوانين المتعلقة بمكافحة التلوث والتي لا تزال تمنع أمريكا صدورها بقوتها وعنجهيتها.

أما العلم بأحوال الناس والمشاكل التي تعالجها القوانين الصادرة من لجان التشريع في الدول الديمقراطية، فإنها لا تتعدَّى العلم بالواقع المعاصر للناس، ولا يمكن أن تصل إلى أحوال الناس في المستقبل وكيف يمكن أن تؤول إليه. وكذلك فإن التشريع يعالج الوقائع ولا يعالج الأسباب التي تدفع للوقائع والعمل والسلوك. وبالتالي فإن كثرة التغيُّر والتبدُّل في

القانون والتشريعات في الدول التي تحكمها قوانين الديمقراطية أكثر من أن تحصى.

أما سلطان القانون على النفس البشرية فإن ما تسمى الإرادة الجماعية قد ثبت أنها لا سلطان لها على النفس البشرية. فالنفس البشرية لا تخضع بشكل طبيعي لإرادة القانون لكون القانون صدر عن مجموعة تمثل الأفراد. وقانون مكافحة الخمور في أمريكا أثبت بطلان نظرية العقد الاجتماعي برمته؛ حيث ثبت أن تعاطي الخمور والإتجار بها قد زاد في فترة منعه عن الفترة التي سبقته. فأين سلطان القانون على النفس؟ وقد برَّر دعاة منع الخمور بأن الدولة لم تصدر قوانين صارمة بحق المخالفين!!

والقوانين والتشريعات التي كانت تصدر إبان العهد الاشتراكي/الشيوعي في الاتحاد السوفياتي لم تكن أحسن حالًا. ومثلها التشريعات التي تصدر في الدول التي يحكمها أفراد بالقوة العسكرية؛ وتكفي نظرة سريعة إلى قوانين وفرمانات السيسي في مصر ليُعلم تخلّف التشريع في مثل هذه الدول عن تحقيق أي ركن من أركان العدل.

أما التشريع الإسلامي فالأمر مختلف تمامًا؛ فهو يحقق جميع الأركان الضرورية لإنتاج العدل، وهنا تكمن عظمة التشريع في الإسلام.

التنزُّه عن الهوى

إن أهم ركن من أركان تحقيق العدل هو انتفاء الهوى والتنزُّه عن الميل. والتشريع الإسلامي قائم على أن المشرع أي مصدر التشريع الوحيد هو الله تعالى. وقد جاءت آيات كثيرة جدًا تبيِّن وتوضِّح وتركِّز على أن الله تعالى متفرد واحد أحد لا شريك له، ليس له ولد ولا والد، وهو مستغنٍ بنفسه غير محتاج لأحد، حيث إن الهوى والميل يأتي من الولد والوالد والشريك والحاجة والنقص والمحدودية. فالخالق المدبر جل وعلا أحد صمد، لم يلد ولم يولد، وليس له كفوٌ أحد. والله تعالى يقول: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَآجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٧٢﴾.

العلم المطلق

والمشرِّع في الإسلام، وهو الله تعالى، عالم بأحوال الناس، سواء في الحاضر أم الماضي أم المستقبل. يقول الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾. وهو عالم الغيب، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض.﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾.

فالمشرع الذي لا تغيب عنه شاردة ولا واردة لا يمكن لتشريعه أن يصيبه الخلل بسبب قلة العلم أو الجهل الذي يعتري البشر بسبب نقصهم وعجزهم الطبيعي. وعلم الله تعالى المطلق يشمل علمه بواقع الإنسان وما

يصلحه وما لا يصلح له. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾.

السلطان على النفس

إن من أهم أركان التشريع المفضي إلى العدل هو وجود السلطان الطبيعي على النفس البشرية، والذي يجعلها تقبل بالتشريع وتعمل على تنفيذه وتطبيقه بشكل طبيعي، ولا تحتاج إلى قوة السلطان المادي لتنفيذ القانون إلا في حال عدم امتثال بعض النفوس لسلطان القانون الطبيعي. وسلطان التشريع في الإسلام مصدره أن الله تعالى، وهو مصدر التشريع هو رب وإله، ومدبِّر وصاحب الأمر في الدنيا والآخرة، وأنه يحيي ويميت ويرزق بغير حساب. والله تعالى يقول: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾. ويقول ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾. ويقول تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾.

قضايا في التشريع

فلننظر إلى بعض الأمثلة من التشريع الإسلامي التي تُظهر عظمته، ولنبدأ من أكثر القضايا جدلية وهي التي تتعلق بالمرأة وحقوقها.

المرأة في التشريع الإسلامي

نظر المشرِّع في الإسلام على أن المرأة هي نوع إنساني كما هو الرجل، ونظر إليها على أنها أمٌّ تنجب أطفالًا وتقوم بإرضاعهم حتى عامين، وأنها زوجة في أسرة.

أما أنها إنسان ونوع من النوعين الإنساني فواضح من تحديد النوع وتبيينه في كل ما يتعلق بعلاقة الإنسان (ذكرًا أو أنثى) بربه، والذي يجعل للمشرع سلطانًا على نفس المرأة كما له سلطان على نفس الرجل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾.

والمشرِّع قد جعل علاقة النوعين بعضهما ببعض علاقة زواج، وجعل الغاية من التشريعات المتعلقة بهذه العلاقة منصبة على استمرار النوع الإنساني بشقيه الذكر والأنثى. فجعل الزواج هو محور العلاقة، ومنع كل

علاقة تحول دون استمرار النوع من خلال الزواج. فمنع الزنا وكل ما يؤدي أو يقود إليه، فمنع الاختلاط لغير حاجة، وفرض سترًا لمفاتن المرأة التي قد تفسد طريق استمرار النوع من خلال علاقة الزواج، وهكذا تجد جميع التشريعات المتعلقة بالمرأة وعلاقتها بالرجل تقود حتمًا إلى استمرار نوع الإنسان والذي هو غريزة مفطور عليها الرجل كما المرأة. ومن ذلك منع المثلية الجنسية.

أما قضية الميراث التي يطرقها كثير من المشكِّكين في التشريع الإسلامي، فقد جعل الإسلام للمرأة حقا في الميراث؛ بنتًا، وزوجًا، وأمًا، وأختًا أحيانًا. والإسلام حين شرع ميراثًا محددًا للمرأة فإننا نجد أن جميع الشرائع المعروفة في الدنيا لم تجعل نصيبًا محددًا للمرأة في الميراث، وجعلتها خاضعة لإرادة الشخص المورِّث؛ فله أن يعطي وله أن يمنع. ومن ناحية أخرى فإن المشرِّع الإسلامي حين وضع قوانين الإرث نظر إلى قضيتين في آن واحد؛ **القضية الأولى:** المرأة كجزء من الأسرة وأحد نوعي الإنسان في العلاقة الاجتماعية، فأفرد لها حقًا ونصيبًا في الإرث. **والقضية الثانية** هي توزيع الثروة ومبحثها في العلاقات الاقتصادية وحل المشكلة الاقتصادية. فقوانين الإرث والميراث هي أحد وسائل توزيع الثروة بشكل طبيعي في المجتمع. والمرأة من هذه الناحية مسؤوليتها في النفقة والإنفاق على الغير أقل من مسؤولية الرجل. وبالتالي فإن توزيع الثروة على الوجه الذي جاء به التشريع الإسلامي قد أخذ بعين الاعتبار المرأة بوصفها الإنساني فأفرد لها نصيبًا من الثروة، وبوصفها جزءًا من النظام الاقتصادي فجعل نصيبها أقل من نصيب الرجل المسؤول عن النفقة... **وهنا مظهر عظمة التشريع الإسلامي**

التشريع المتعلق بالاقتصاد

من أهم مظاهر عظمة التشريع في الإسلام تلك التشريعات المتعلقة بالاقتصاد والمال. فجميع التشريعات جاءت تعالج قضايا أساسية تتعلق بالإنسان نفسه وبحاجاته وغرائزه ودوافعه للعمل، ولم تأتِ مجرد قوانين تحكم تصرفاته. وجاءت منصبَّة على علاج مشكلة فقر الأفراد حتى لا يبقى فرد في المجتمع مفتقرًا لسد حاجاته الأساسية كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن. فحديث رسول الله ﷺ «**وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمْ امْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى**» وقوله «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**» يدلُّ على أن الإسلام وتشريعاته جاءت منصبَّة على توفير الأمن والغذاء والكساء واللباس والصحة لكل فرد. وبالتالي فقد جاء التشريع الإسلامي في الناحية الاقتصادية منصبًا على علاج مشكلة أساسية حددها الشرع نفسه. ولتبيين ذلك أكثر نسوق أمثلة من التشريع المتعلِّق بالاقتصاد التي توضِّح كيف أن التشريع جاء منصبًا على أساس المشكلة الاقتصادية وليس

على التصرف الشخصي وواقعة الحال كما هي التشريعات الموجودة في ظل أنظمة الدولة المدنية والديمقراطية.

الملكية العامة وملكية الدولة

بعد أن منَّ الله بالنصر على المسلمين في معركة بدر وغنم المسلمون غنائم كثيرة، برزت للمرة الأولى في الدولة الإسلامية الناشئة قضية الأنفال، وجاء المسلمون يسألون رسول الله ﷺ عن توزيع الغنائم. فجاء التشريع على النحو التالي ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١﴾، فبيَّن حقيقة ملكية الأنفال بأنها ملكية للدولة باعتبار الرسول هو الحاكم ورأس الدولة، وترك تفصيل عملية توزيع الغنائم للدولة نفسها، ورسول الله ﷺ هو الرسول وولي الأمر. ثم جاء تشريع آخر في سورة الحشر يتعلق بالغنائم غير المنقولة كالأرض وجعلها ملكية عامة للمسلمين على مدى الزمن، وبين سبب التشريع بأنه الحيلولة دون تجمُّع الثروة بأيدي القلة الأغنياء. فكان التشريع منصبًا على مشكلة توزيع الثروة وعدم حصرها والعمل على تداولها فقال سبحانه: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٧﴾. ثم أتبع ذلك ليبيِّن أن ملكية الأرض التي ضُمَّت إلى دار الإسلام عن طريق الحرب تعود للأمة الإسلامية جميعًا، وأن الحاكم هو مسؤول عنها بوصفه ولي أمر المسلمين وراعي شؤونهم وليس بوصفه مالكًا لها، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٠﴾. فقد فهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن هذه الآيات قد دلَّت على أن الأرض المملوكة عن طريق الحرب هي للمسلمين كافة، ورفض توزيع أرض السواد على أفراد المسلمين.

وهكذا نجد أن التشريع الإسلامي لم يأتِ منصبًّا على تصرُّف بعينه وإن كان التصرف يدخل ضمن التشريع، بل جاء منصبًّا على قضية أساسية من قضايا الإنسان كالحاجة إلى الطعام والشراب والمسكن والتطبيب، أو على حاجة للمجتمع وقوامه كالملكية العامة التي يشترك بها الناس بوصفهم جزءًا من مجتمع، أو حاجة الدولة بوصفها راعية لشؤون الناس.

الأسرى

ومثل أحكام الغنائم والملكية العامة، كذلك حكم الأسير الناتج عن الحرب. فقد جاء التشريع الإسلامي بحكم يتعلق بالتعامل مع أسرى الحرب بقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ فبيَّن الشرع أن الغاية من الحرب ليست إبادة العدو والقضاء على أفراده فردًا فردًا، بل الغاية هي إحراز النصر والتمكُّن، فإذا حصل ذلك النصر الذي عبر عنه بالإثخان، فلا بد من أخذ الأسرى. والأسير في هذه الحالة، إما أن يطلق سراحه دون مقابل (منًّا)، وإما مقابل فدية. فالسبب في أخذ الأسرى ابتداء هو تشريع لغاية الحرب والقتال، وبأن هذه الغاية ليست القضاء على الناس وإبادتهم وحرقهم وإتلاف أرواحهم. وجاءت أحاديث كثيرة تفصل في ذلك منها: **«كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذَا أَمَّرَ أَمِيرًا علَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ في خَاصَّتِهِ بتَقْوَى اللهِ، وَمَن معهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قالَ: اغْزُوا باسْمِ اللهِ، في سَبيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَن كَفَرَ باللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا».**

الربا والكنز

ومن أعظم ما جاء في التشريع الإسلامي ذلك المتعلق بالربا والكنز. فتحريم الربا قد انصبَّ على تحريم نمو المال من ذات المال. فالمال لا ينمو وحده هكذا بدون إنتاج. والربا وسيلة من وسائل تكثير المال بالمال. فقال تعالى في سورة الروم: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾. ومثل هذا التشريع عالج قضيتين أساسيتين في الاقتصاد؛ إحداها استقرار المال والنقد حتى لا يتضخم المال دون سبب، والثانية ضمان استمرار عجلة الإنتاج؛ لأن الطريقة الوحيدة لنماء المال هي الإنتاج. وفي الوقت نفسه حرَّم كنز المال، أي منع الوسيلة الأخرى التي تعطل الإنتاج في المجتمع وهي كنز المال وإخراجه من دورة الإنتاج.

التشريع المتعلِّق بالحكم

وتظهر عظمة التشريع الإسلامي كذلك في التشريع المتعلِّق بالحكم. فقد انصبَّ التشريع في الحكم على قضيتين أساسيتين؛ أولاهما السيادة، وثانيهما الرعاية. فالسيادة ليست لأي أحد من البشر مهما كانت مرتبته. فالوحيد الذي له حق السيادة الذي لا يرد له تشريع ولا قانون، وله حق الطاعة المطلقة هو الله تعالى. وبالتالي فإن التشريع الإسلامي قد رفع كل أنواع الحصانة والحماية عن أي شخص في الدولة مهما كانت صفته، وليس هناك أحد خارج إطار القانون بما في ذلك الخليفة ومجلس الأمة وغيرهم. قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ وقال سبحانه: ﴿مَا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾». أما الحاكم فهو راعٍ يرعى الشؤون ويحاسب على هذه الرعاية. فقد قال رسول الله: «**الْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**». والحاكم إنما يحكم بشرع الله وينصح لرعيته ويدافع عنهم ويحمي أموالهم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ أَتَى بِغَيْرِهِ فَعَلَيْهِ إِثْمُهُ**». والطاعة لولي الأمر مشروطة بطاعة الله وليست مطلقة في كل شيء. والنزاع بين الحاكم والمحكوم أمر وارد وله طريقة للتعامل معه؛ فلا يؤجل الخصام حتى تنتهي ولاية الحاكم كما هو الحال عند الدول في العالم الديمقراطي، بل يفصل في الخصام دون تأخير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾». فجاءت هذه الآيات لتؤكد على أن أصل التشريع ومصدره هو الله تعالى، وأن الحاكم مستخلَف في هذا الأمر وهو مسؤول أمام الله تعالى ويحاسبه الناس على ذلك. وجاءت كل الأحكام المتعلقة بالعلاقة بين وليِّ الأمر والناس منصبة على هذه الحقائق المتعلقة بالسيادة المطلقة لله تعالى والرعاية التامة للرعية. ومن عظمة التشريع الإسلامي في هذه الناحية أنه لم يكتفِ بتبيين حق السيادة وحق الرعاية، بل عمل على إيجاد آلية واضحة للحفاظ على جوهر الحكم هذا، ومن ذلك الطلب بإنشاء أحزاب سياسية تكون مهمتها محاسبة الحاكم وأطره على الحق أطرًا. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾. وقول رسول الله ﷺ: «**كَلَّا، وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ**» رواه أبو داود، والترمذي. وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: إني سَمِعت رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**» رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة. فكل هذه التشريعات جاءت تؤكد أن الحاكم، أي وليّ الأمر، ليس إلا راعيًا مسؤولًا عن رعية، ومستخلف في عباد الله، ومؤتمن على شرع الله. فلا يجمع مليارات الدنانير، ولا يصدر القوانين التي تضمن استمرار حكمه وتوريث

الحكم من بعده لأبنائه، فالدولة ليست مزرعة له ولأبنائه ومحاسيبه. بل الدولة هي مؤسسة لرعاية شؤون الناس جميعًا حسب تشريع يصدر من صاحب الحق الأوحد بالتشريع الذي لا ينازعه هوى، وليس بينه وبين أحد من عباده نسب ولا قربى.

العقوبات

ومن أعظم ما تميَّز به التشريع الإسلامي هو نظام العقوبات، والذي جاء بمجموعه نظام زواجر للناس عن مخالفة القوانين والتشريعات ونظام جوابر لجبر ما ينكسر بسبب المخالفات. ففي الوقت الذي جاء التشريع متلازمًا مع العقيدة والإيمان بالله تعالى وبربوبيته التي تجعل له الحق الأوحد في التشريع، ما يجعل للتشريع سلطانًا ذاتيًا على النفوس تؤدي إلى الالتزام الطبيعي والذاتي بالأحكام والقوانين، في الوقت نفسه أقر التشريع الإسلامي بوجود المخالفين والذين يفقدون أثر السلطان النفسي ولو مرحليًا، فجاء بتشريعات لزجر هؤلاء عن المخالفة والمعصية ولجبر ما قد ينشأ عن معصيتهم من أذى مادي للغير أو عقاب في الآخرة.

فالمشرع حين أنزل قوانين وأحكامًا تؤدي إلى حفظ غريزة النوع، فشرع الزواج وشرع أحكام اللباس والاختلاط والخلوة وصلة الرحم والنفقة وغيرها؛ مما يحفظ النوع البشري بقوانين محكمة، في الوقت نفسه جاء بتشريع زاجر لكل من يعمل على خرق هذا النظام المحكَم. فجاء بعقوبة الزنا واللواط الصارمة، واشترط لها، أي للعقوبة، ظروفًا محكمة. فالعقوبة صارمة ورادعة وهي في الوقت نفسه جابرة للذنب إن رافقتها التوبة عن المعصية.

والمشرِّع جاء بأحكام وقوانين للمحافظة على الملكيات بأنواعها: ملكية الفرد، وملكية الدولة، والملكية العامة من الناس، وهذه القوانين مكَّنت كل فئة من امتلاك ما يحق لها من ملكيات، ثم جاء الشرع بقوانين صارمة لزجر كل من يعتدي على هذه الملكيات بالاعتداء أو السرقة أو الإفساد؛ فكانت عقوبة السرقة رادعة بالدرجة الأولى ثم هي جابرة للذنب إن كانت العقوبة قد تبعتها توبة للمعتدي؛ ما يحفِّز المعتدي على التوبة وعدم الإقدام على التعدي على حق الآخرين مرة أخرى. ولا يخفى على المتتبع لأحوال المجتمعات الحالية أن السارق يعود ليسرق والقاتل يعود ليقتل، وليس أدل على ذلك من أن أجهزة الأمن حين تواجه بقضية اعتداء فإنهم أول ما يستدعون للتحقيق أصحاب السوابق عندهم. أما في التشريع الإسلامي فآخر ما يتبادر للذهن عن مسبب الجرم هم أصحاب السوابق؛ لأن العقوبة في الإسلام زاجرة وجابرة للذنب، فالمجرم يعلم أن ذنبه مجبور إن هو أقلع عن الجريمة.

وهكذا جميع أحكام العقوبات جاءت مكمِّلة للتشريع المتعلق برعاية شؤون الفرد والجماعة، ولم تأتِ نشازًا ولا عارضًا غير منسجم مع باقي التشريعات. فغريزة البقاء

عند الفرد حفظها التشريع الإسلامي بشكل تام، سواء بأحكام توزيع الثروة عن طريق الملكية العامة أم الميراث، أم النفقة، أم العمل أم غيره، ثم حافظ عليها بتشريع عقوبات صارمة لمن يتعدَّى على بقاء الإنسان، سواء بالاعتداء على حياته أم ملكيته. وكذلك غريزة النوع، وغريزة التدين. وهكذا شرع الإسلام قوانين وأحكامًا لعلاج قضية الإنسان الأساسية المتعلقة بحاجاته وغرائزه كما شرع قوانين تمنع الاعتداء على أيٍّ من حقوقه.

خاتمة

إن أحد أهم أسرار انتشار الإسلام في السابق وتوسُّع رقعة الدولة ودخول الناس في الإسلام أفواجًا هو ما لمسه الناس مباشرة من عدالة التشريع الإسلامي. وإن هذا العدل ليس نظريةً تُكتب ولا خطبًا تُلقى ولا كلامَ إنشاء يُتلى في المحافل، بل هو أمر محسوس ملموس يُحسه من عايشه ويدركه من بحث عنه. فهذا رسول كسرى يصف حكم عمر بن الخطاب قائلًا: «حكمتَ فعدلتَ فأمنتَ فنمتَ». ويخاطب رجل من المسلمين عمر سائلًا إياه عن البرود اليمانية لِمَ يلبس عمر ثوبًا أطول من أثواب العامة؟ فيجيبه عمر ويبين له من أين جاءت الزيادة، فيقول الرجل سمعًا وطاعة. ولما فتحت الأمصار، لم يهرب الناس من جيوش المسلمين بل أقبلوا عليهم يرحبون بهم لأن عدلهم قد سبق ذكره خيولَهم، وأصبح عدل التشريع الإسلامي مثلًا وواقعًا محسوسًا.

ومن هنا فإن أول ما يحكم على دولة الإسلام ودولة الخلافة الإسلامية من كونها تمثل حقيقة الإسلام أو لا هو ما يلمسه الناس من عدالة التشريع وعظمة التشريع الذي يمارَس على الناس. فالناس لا يعنيهم ما في بطون الكتب وما سطَّره التاريخ عن عمر وأبي بكر والمعتصم والمأمون... إنما يعنيهم ما يصل إليهم من أمن وأمان، ومن إشباع للحاجات، ومن رعاية لشؤون الناس. فنتيجة التشريع الإسلامي وتطبيق أحكام الله عز وجل لا يمكن أن تكون إرهابًا للعامة، ولا فرارًا من جنود الدولة، ولا خوفًا من العقوبات الصارمة، ولا هجرات بالآلاف من الأقليات أو غيرهم. بل إن المظهر الرئيس والطابع الذي يطبع الدولة من أول يوم تظهر فيه هو مظهر الرحمة والعدل والنزاهة الذي تميزت به شريعة الإسلام العظيمة.

وبالتالي فإنه مهما حاول الغرب وأتباعهم من أن ينالوا من الإسلام أو يظهروه بمظهر الفظاعة والرعب والظلم، فإن الإسلام أرقى وأعظم، ولا يزال عصيًا على كل ظالم متجبِّر، أو كافر مستكبر، أو جاهل ذي عقل متحجِّر.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾. ■

المحور الثاني:

حزب التحرير حزب وحيد
في طلب الاستخلاف والقيام بالتجديد

- حزب التحرير يشق طريقه نحو تحقيق غايته، والأمة الإسلامية محل العمل وموضع الأمل في عملية التغيير
- إكرام الله لأهل نصرة نبيه ﷺ دافع للقيام بواجب النصرة اليوم
- نداء لأهل النصرة (قصيدة)

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب التحرير يشق طريقه نحو تحقيق غايته
والأمة الإسلامية محل العمل وموضع الأمل في عملية التغيير

أبـو حنيـفـة - الأرض المباركة فلسطين

في سياق بحث عملية تغيير واقع المسلمين والانتقال بهم من واقع كفر يخضعون بحسبه لأنظمة كفر إلى واقع إسلامي يتحاكمون فيه إلى شرع الله تبارك وتعالى، يحسن بنا أن ندخل من بوَّابة الأمة الإسلامية التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ وبقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ حيث دلَّت الآيتان على خيرية أمة الإسلام في كل زمان ومكان، وعلى وسطيتها أي عدالتها على الناس كافة، وأن هذه الخيرية وتلك العدالة خبر في معنى الطلب فيه أمر جازم للأمة بوجوب تصَدُّرها للأمم، وإخضاعها أي الأمم لسيادة الإسلام وسلطان المسلمين. ولا يُتصور أن تتصدَّر الأمة الإسلامية غيرها من الأمم ما لم تستردَّ هي سلطانها المفقود، وتقيم خلافتها على منهاج النبوة؛ لأن الخلافة هي التعبير العملي لمقتضى خيرية الأمة وشهادتها على الناس، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فالأمة الإسلامية والحال كذلك قادرةٌ على تغيير واقعها الفاسد تغييرًا أساسيًّا شاملًا يستند إلى عقيدتها فكرةً وطريقة، وقادرةٌ على تغيير واقع البشرية ككل بحمل رسالة الإسلام إلى الناس كافة بالدعوة والجهاد، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

ولولا أن الأمة قادرة على إنفاذ ما كلفها الله به لما كان لهذا التكليف معنًى؛ إذ لا يُتصور تكليف العباد بما لا طاقة لهم به، وما كان فوق الوُسع، فهذا ممتنع ولا يستقيم، قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾. ولولا أنها أيضًا كذلك لما كان لوعد الله سبحانه المسلمين بالنصر والاستخلاف مَعنًى، فالله تعالى وعد المسلمين بالاستخلاف في الأرض في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ

أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴿٥٥﴾﴾ فأخبرَ بِوعدِهِ المسلمينَ بالاستخلاف في الأرض، وتمكين الإسلام الدينِ الذي آمنوا به، وتحقُّق الأمن بعد الخوف. وكذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ فيها توكيد لنزول النصر بلام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة، وفيها كلمة ﴿مَن﴾ اسم موصول مِن صِيغ العموم الدالة على استغراق جميع مَن ينصر الله من المسلمين، فالنصر الـمُؤكَّد بلام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة في الآية للمسلمين كل المسلمين. وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالنَّصْرِ وَالسَّنَاءِ وَالتَّمْكِينِ...»** صحيح ابن حبان.

لقد كان لا بدَّ من التقديم لهذا البحث بما أسلفنا بيانه أعلاه من استطاعة الأمة على تغيير واقعها، واستحقاقها وعد الله لها بالاستخلاف في الأرض لسببين:

الأول: ما أصاب كثيرًا من أبناء المسلمين اليوم من يأس وإحباط من قدرة الأمة على تغيير واقعها، والانفكاك من هيمنة أعدائها عليها؛ فاضطربت الحالة النفسية لدى المسلمين، بعد أن تكالب عليها مَن بأقطارها من قوى الشر التي رمتها عن قوس واحدة، وبات أكثر الناس مستسلمًا لِلوهَنِ الذي أخلدهم إلى الاعتراف والتسليم بالفجوة الهائلة بين المسلمين وبين أعدائهم الذين بسطوا سيادتهم على كل بلاد المسلمين عبر حكام أقل ما يُقال فيهم أنهم خونة عملاء.

الثاني: استفزاز أبناء الأمة، ورفع الحالة الإيمانية فيهم، وإشعال جذوة طاقاتها الهائلة لأخذ زمام المبادرة، فتستدرك الأمة ما فاتها من نكوص على أعقابها شَلَّ هِمَّتها على مدى قرن من الزمان.

لقد كان لهيمنة أفكار الكفر الباطلة من ليبرالية واشتراكية وحريات وأيديولوجيات من مشارب شتَّى، اقتحمت على المسلمين جوانب حياتهم من كل باب؛ كان لها نتائج مدمِّرة على الأمة الإسلامية أصابت عصب طاقتها الفكرية في مقتل، وارتكست بها إلى حضيض التبعية للكافر المستعمر في كل شيء؛ فالقول ما تقوله أمريكا، والفصل لكل أزمة عاصفة بالأمة ما تُمليه أمريكا ودول الكفر على الحكام العملاء من مشاريع سياسية وبرامج استعمارية تكرِّس النفوذ والهيمنة للكافر المستعمر، وتفرض رؤًى اقتصادية تحرم المسلمين من كل ما جعله الله لهم حلالًا طيِّبًا مما أفاءت به الأرض من كنوز وثروات ليس لها حدٌّ ولا عدٌّ، وتشرف على مناهج ثقافية مدروسة قَدَّمت الفكر الوضعي الدَّخيل، وأخَّرت الوحيَ الربَّاني الأصيل! هكذا تردَّى حال الأمة الإسلامية إلى أسوأ حال وأردى مآل القهقرى، وشلَّ حيويَّتها الحضارية من أمة تصدرت قيادة العالم على كافة الصُّعُد، إلى شعوب مُكبَّلة وراء جدران وهمية ابتدعها الكافر المستعمر أطلق عليها

اسم الوطن الـمُفدَّى، وألقاب ومسمَّيات من الزعامات المأجورة، والرويبضات المأمورة، والقيادات المجرورة... وحول هؤلاء ثُلة فساد وإفساد، كالقطيع الذي لا تجد فيه راحلة واحدة وسط صحراء تعُجُّ بالهائمين على وجوههم لا يجدون ما يركبون!

لقد أصبحت الدار التي تُؤوي المسلمين منذ هدم دولة الخلافة الإسلامية في ٢٨ رجب ١٣٤٢هـ دار كفر، ظهرت فيها أحكام الكفر ودساتيره بفعل قوى أعداء الأمة والمِلَّة ظهورًا قهريًّا على حساب أحكام الإسلام التي أُقصِيت تمامًا عن موضع التطبيق في الحياة والدولة والمجتمع. وكان واجبًا على المسلمين حينئذ أن ينهضوا بسلاحهم نهضة رجل واحد في وجه الكفار وعملائهم من الأتراك والعرب للحفاظ على كيان الأمة، دولة الخلافة، من أن يقع بنيانها، وتهوي أركانها، وتخبو نيرانها... عملًا بالحديث الشريف فيما رواه البخاري في صحيحه عن عُبادةَ بنِ الصّامِت قال: «**دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**». إذ إن ظهورَ الكُفر البَواحِ أو الصُّراحِ موجِبٌ لخروج الأمة كل الأمة على الحاكم الذي يُظهر أحكام الكفر في بلاد المسلمين ظهورًا بائنًا، ولكن المسلمين لم يفعلوا شيئًا من ذلك؛ فمرَّت المؤامرة ومُرِّرت بِحبكةِ حاقد عرف كيف يلعب لعبته القذرة. لقد كان صمت الأمة المطبَق بل ودوران شعوبها مع دولاب المؤامرة حيث دار قاصمة الظهر التي انتقلت بالمسلمين من دار الإسلام إلى دار الكفر؛ فأصبح المجتمع الذي يعيش فيه المسلمون مجتمعًا غير إسلامي استحوذ الكفر عليه من قمة الهرم إلى قاعدته.

إن دار الكفر كما عرَّفها الفقهاء تعني الدار التي لا يتحاكم المسلمون فيها إلى شرع الله، أو هي الدار التي تُطبَّق فيها أنظمة الكفر حتى ولو كان جُلُّ أهلها من المسلمين. ومن اللزوم الذهني لمصطلح دار الكفر أن تطغى أفكار الكفر الدخيلة، والمشاعر القومية والوطنية والعصبية، وتُسلَّط على أبناء المسلمين تحت وطأة الحكم الجبري البوليسي الكاتم على أنفاس الشعوب الإسلامية. فهذه ركائز ثلاث يقوم عليها كل مجتمع، الأفكار والمشاعر والأنظمة، وتغيير المجتمع كل مجتمع يقضي بتغيير هذه الركائز الثلاث أولًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ...﴾.

إن دقةَ العمل لتغيير واقع المسلمين من دار كفر إلى دار إسلام تقضي بوجوب بلورة منهجية جلِيَّة تُقدِّم أحكام طريقة التغيير في ساحة العمل الإسلامي تأصيلًا وتفصيلًا، فعملية التغيير هذه ليست أعمالًا عشوائية يتلقَّفها آحاد المسلمين كما لو كانت وجبة سريعة؛ ولكنها أعمال منضبطة فكرًا وسلوكًا بمنهجية تنبثق عن عقيدة الأمة، والتي هي أصل كل فكر

فرعي متعلق بسلوك أبناء المجتمع في معترك الحياة، إن كان فكرًا يعالج سلوك الفرد كفرد، أو فكرًا يعالج سلوك المجتمع كمجتمع. إن هذه المنهجية عملية تغيير راسخة في ثقافة الأمة المستمَدَّة من الوحيين: كتاب الله وسنة رسوله وما أرشدا إليه من إجماع الصحابة والقياس المعلَّل بعلة شرعية؛ لذا يجب أن يكون جليًّا لكل عاملٍ لإنهاض الأمة وساعٍ لنهضتها، أن يعلم أن عملية التغيير هذه طريقة شرعية بحتة متبرِّئة من أي ارتباط بالقوى الدولية والإقليمية والمحلية، ومتجرِّدة من حظوظ النفس وداعية الهوى والخضوع لإملاءات العقل، ومتنصِّلة من إملاءات الواقع تحت أي ظرف، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾.

والحاصل أن الشارع الحكيم الذي تكفَّل بالأخذ بأيدي الأمة إلى حيث يكون التغيير الصحيح الجذري، جعل هذا التغيير أحكامًا عملية تفصيلية تتردَّد حين السير ما بين قُطبين يتجاذبان عملية التغيير، وهذان القُطبان هما: الحزب السياسي الذي يعمل في الأمة ومعها، والأمة بكافة طاقاتها. فالقطب الأول وهو الحزب يتمثل دوره بتبنِّي الفكرة وحملها على بصيرة حملًا سياسيًّا رعويًّا مستهدفًا في طريقته ومنهجه ثلاث فئات: **الفئة الأولى: الأنظمة الحاكمة،** يُكافحها كفاحًا سياسيًّا لحملها على أن تبادر هي إلى التغيير، وإلا فتغييرها هي وإزالتها باعتبارها ركيزة الكافر المستعمر، والعقبة الكؤود أمام عملية التغيير. **والفئة الثانية: الأمة،** يدعوها إلى تبني فكرته واحتضانها إجمالًا لا تفصيلًا؛ فتصبح فكرته في أوساط المجتمع رأيًا عامًّا منبثقًا عن وعي عام يُمهِّد الأرضية الصلبة للانتقال بالفكرة نقلة نوعيَّة إلى حيث يكون التطبيق العملي الجذري الشامل للفكرة في المجتمع. **والفئة الثالثة: أهل النصرة** الذين يدعوهم الحزب لاحتضان الفكرة وحمايتها والقفز بها إلى سدة الحكم. وهنا تبرز العلاقة السببية ما بين قطبي عملية التغيير: الحزب بما يحمله من مشروع نهضوي من جهة، والأمة بفعَّالياتها المختلفة من أحزاب وسياسيين وعلماء ومفكرين وأهل رأي ومؤثرين وأهل نصرة من جهة أخرى. وإذا كان الحزب في موقعه هذا يقوم مقام المرسِل، فإن الأمة بكافة طاقاتها وفعَّالياتها الواسعة والضيِّقة تقوم مقام المستقبِل؛ لذا فالعلاقة بين قطبي عملية التغيير علاقة سببية تكاملية تعاضدية تقوم على وشيجة الإيمان والتسليم المشترك بالفكرة وما ينبثق عنها من أفكار ومعالجات هي روح الأمة وسر حيويَّتها وأملها الوحيد في التغيير المنشود.

وجنبًا إلى جنبٍ، جعل الشرع عملية التغيير خاضعةً لنواميس كونية وسنن اجتماعية ثابتة لا تتغيَّر ولا تتبدَّل ولا تتطوَّر، وأن هذه النواميس وتلك السنن تُحاذي حركة الحزب

والأمة وعملية التغيير وتهيمن عليها؛ كَيلا تخرج عن إطار ما تقتضيه النواميس والسنن من موجبات تكون بالنسبة لعملية التغيير الضامن لصحة المسيرة، واستمرارها، وحتمية بلوغها الغاية.

يقول الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله في نشرة مؤرخة في ١٩٧٤/٢/٢٧م: "وإقامة دولة أي دولة، في جماعة أي جماعة، لها قوانين ونواميس، وهي أن تتقبَّل تلك الجماعة أو الفئة الأقوى فيها للمفاهيم والمقاييس والقناعات التي تقوم عليها تلك الدولة، وما لم تتقبَّل تلك المفاهيم والمقاييس لا يمكن أن تقوم فيها الدولة، ولو تسلَّط عليها متسلِّطون، وتولَّى السلطة فيها أقوياء. فالأصل في إقامة الدولة هو تقبُّل الجماعة أو الفئة الأقوى لتلك المفاهيم والمقاييس والقناعات... انتهى".

فقد ثبَّت الله سبحانه سُنَّةً ملازمة لحركة الأمة وسلوكها على وجه يجعل الأمة قريبة أو بعيدة من بلوغ عملية التغيير المنشود، إن كان سلوكًا مُدبِرًا عن الفكرة الإسلامية، أو مُقبِلًا عليها. فإن الله تبارك وتعالى لا ينصر الأمة إن هي أدارت ظهرها لدينه مقابل استقبالها لكل فكرة وافدة عليها من شرق أو غرب، وما كان الله لينصر أمةً تستبدل الجبت والطاغوت بالوحي والملكوت. قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ فالله السميعُ المُطَّلعُ على ما في نفوس المسلمين إذا غيَّروا وبدَّلوا نِعمة الله بُعدًا عن دينه وشريعته، العليمُ بما تضمره النفوس من ميول ذهبت بالمسلمين بعيدًا عن أوامره جلَّ وعلا، لا يمكن أن ينزل نصره على مدبرٍ عنه مقبلٍ على سواه. يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾. وإذا كانت الأفكار والمشاعر والأنظمة ركائز التغيير في المجتمع، فإن على المسلمين أن تثور مشاعرهم غضبةً لدين الله وحرمات المسلمين، لا أن تثور غضبةً للقومية والوطنية والعصبية الَمقيتة. وأن يرَوا في أفكار الإسلام ومعالجاته المنقِذ لهم من كل عاديات الفتن التي دَهَمت عليهم من كل باب، كلما انجلت فتنة، غشيتهم أختها... وإنَّ عليهم أن يثور حَنَقُهُم على حكامهم الموالين لأعدائهم، فيتحرَّكوا لخلعهم وإسقاط هذه الأنظمة بأزلامها ودساتيرها والمناهج الأيديولوجية التي أُسِّست عليها من أول يوم، بهذا فقط تقترب الأمة من استحقاقها الموجب لتنزيل نصر الله عليها حسب تلك السنن.

هذا فيما يتعلق بالأمة ككل، أما فيما يتعلق بالحزب الذي تبنَّى الفكر الدعويَّ علمًا وعملًا، فقد خضع هو الآخر لسنن ونواميس تواكب سيره وعمله، وتُظلِّل حركته التحرُّرية في الأمة ومعها، ليس له أن يتقدَّمها أو يتأخَّرها، ومن هذه السنن وتلك النواميس:

أولًا: سُنة الإيمان بالفكرة والانطلاق بها في المجتمع، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ فالحزب بعد اعتناقه للفكرة، يمضي في طريقه على بصيرة ووعي وإخلاص لله تبارك وتعالى، جاعلًا فكرَهُ وعمله وغايته على خط واحد مستقيم، وفق منهجية منضبطة في أعمالها، منتظمة في جزئياتها. فكل فكر لا ينتج عملًا، يُعتبر فكراً فلسفيًّا، وكل عمل لا يُفضي إلى تحقيق غاية، يُعتبر حركةً لولبية تنتهي بأصحابها إلى الفشل والاندثار.

ثانيًا: سنة الثبات على الدعوة، وتوطيد النفس على تحمُّل الأذى في سبيل الفكرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿قالَ موسى لِقَوْمِهِ اسْتَعينوا بِاللَّهِ وَاصْبِروا؛ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ؛ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ﴾ وعنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرتِّ قَالَ: «**شَكَوْنَا إِلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ وَهُو مُتَوسِّدٌ بُردةً لَهُ في ظلِّ الْكَعْبةِ، فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصرُ لَنَا؟ أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَد كَانَ مَنْ قَبْلكُمْ يؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ لَهُ في الأَرْضِ فيجْعلُ فِيهَا، ثمَّ يُؤْتِى بالْمِنْشارِ فَيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجعلُ نصْفَيْن، ويُمْشَّطُ بِأَمْشاطِ الْحديدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذلكَ عَنْ دِينِهِ، واللَّهِ ليتِمَنَّ اللَّهُ هَذا الأَمْر حتَّى يسِير الرَّاكِبُ مِنْ صنْعاءَ إِلَى حَضْرمْوتَ لاَ يخافُ إِلاَّ اللهَ والذِّئْبَ عَلَى غنَمِهِ، ولكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**» رواه البخاري.

ثالثًا: سنة الأذى والتنكيل والملاحقة؛ إذ يتعرض حملة الفكرة لأصناف المحن والفتن من قتل وتعذيب وملاحقة، وتشهير بهم، وبث دعايات مغرِضة باطلة؛ لثنيهم عن دعوتهم، وصرف الناس عنهم، قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾.

رابعًا: سنة التمحيص، ذلك أن ثبات الدعوة وشبابها على ما هم عليه، دون أن يغيِّروا أو يبدِّلوا؛ فيه تكفير لذنوبهم، وتنقية لسرائرهم من شوائب الدنيا ومتاعها، وتزكية لنفوسهم من موبقات محبطة للعمل، قال سبحانه: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

خامسًا: سنة التمييز وتنقية الصفوف، ومن سنن الله في الدعوات الصادقة أن يتعرض أصحابها لمغريات يقدمها لهم الطواغيت؛ تحملهم على ترك دعوتهم، أو التنازل عن ثوابتها وغاياتها التي لا تلتقي مع الباطل في مكان وسط يُرضي الطرفين، ويُبقي الفريقين كل في موقعه دون أن يدفع أحدهما الآخر؛ فيعمد أهل الباطل حينئذ إلى طرح رؤًى وحلولٍ وسطية أو تقديم إغراءات مادية؛ فيتساقط أكثر العاملين على الساحة، وينماز الحزب المبدئي عن هؤلاء باعتصامه بمنهجه على ما بيَّنه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ

تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

سادسًا: سنة الاستيئاس من الاستجابة للدعوة، فما من دعوة صادقة إلا وتُبتلى بإعراض الناس عنها؛ لأن حملتها يقدمون للمجتمع فكرًا يراه أبناؤه غريبًا على عقولهم، بعيدًا تحقُّقُه في زمانهم؛ نتيجة لعوامل متعدِّدة، أبرزها هيمنة الشعور بالعجز لدى سواد الناس في المجتمع أمام قوة الباطل. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾.

سابعًا: سنة التمكين والاستخلاف، بعد اجتياز الحزب لمحطَّات سيره مؤمنًا بفكرته، عاملًا بوعي وإخلاص لإيجادها في المجتمع، ثابتًا عليها أمام العواصف؛ يسمو الحزب إلى المرتقى الذي يؤهله لبلوغ غايته التي وعد الله عباده العاملين الصادقين إياها، عندها يتنزل نصر الله عليهم من حيث لا يشعرون، قال سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

لقد قطع حزب التحرير أشواطًا طويلة عبر سبعة عقود أو يزيد من عمر دعوته التقيَّة النقيَّة، قاصدًا كل باب يلِجُ من خلاله إلى فعاليَّات الأمة وطاقاتها؛ لتحميلها فكرة الخلافة؛ فتتبناها الأمة أو من تتحقق بهم الكفاية من أبنائها المخلصين القادرين على إحداث التغيير الجذري بإقامة الخلافة. وقد تعاقب على الدعوة في سبيل ذلك ثلاث قيادات للحزب لم تخرج واحدة منها عن أحكام الطريقة قيد شعرة، **بدءًا** من قيادة التأسيس والبِذار التي حصرت الدعوة في بضع بلدان إسلامية رجاءة أن ترتكز الخلافة فيها أو في واحدة منها، **مرورًا** بقيادة التوسع والانتشار التي وسَّعت نطاق العمل ليشمل أكثر من أربعين بلدًا عربيًّا وأعجميًّا وغربيًّا، **وصولًا** إلى قيادة الاستنصار الحالية التي استأنفت المسيرة طارقةً المجتمع من غير باب يتراءى للحزب أنه سينفذ من خلاله إلى المجتمع. وهنا يحسن بنا أن نؤكِّد على حقائق جديرة بالذكر:

الأولى: إن الحزب تعرَّض منذ نشأته إلى هزَّات عنيفة جدًا استهدفت حركته الدعوية أملًا في خنق فكرته، وإحباط عمله، ووأد غايته؛ إذ تعرض الحزب لكافة صنوف الأذى والقمع الجسدي والمعنوي من قتل وتعذيب وتضييق، وتعتيم إعلامي، وتشويه فكري، وتضليل سياسي... فكان من جراء ذلك؛ ابتعاد كثير من أبناء الأمة، خصوصًا المؤثرين منها، عن الحزب وشبابه؛ لِما رأَوه من سُعار عداوة الأنظمة ومن ورائها دول الغرب الكافر على الدعوة وشبابها.

الثانية: إن الحزب مستمر في دعوته لا

يَقيل ولا يَستقيل، لا يَغمض له جفن، ولا تفتُر له عزيمة... فلم تفلح أعمالُ الكفار والحكام ومن هو في حكمهم العدائيةُ في ثنيِ الحزب وشبابه عن دعوتهم، بل إن دعوة الحق قد اجتازت أهوالًا مزلزلة، حتى بات الحزب القوة السياسية الأولى في العالم، باعتراف القاصي والداني، للدرجة التي ألجأت قادة الدول الكبرى على البوح بقوة الحزب، والتحذير من فكرته، وما حربُ أمريكا على العراق وأفغانستان، وما تكالبُ قوى الشر كافة على ثورة الشام؛ إلا جرَّاء ارتعادهم من هاجس الخلافة الذي بات يؤرق كُبراءَهم قبل غِلمانهم الحكام العملاء.

الثالثة: إن طاقات الأمة الإسلامية هائلة وفاعلة، بيد أنها مبعثرة لا تنتظم في مكان واحد، فهي بحاجة إلى تجميع في مكان وزمان ملائمين، وتخطيط عميق ينتهي بتفجير مزلزِل يُطيح بالكفر وأذنابه بضربة واحدة - فقط ضربة واحدة - لا تبقي للكافر المستعمر في بلاد المسلمين صافر نار. وتجميع طاقات الأمة والتخطيط لها عمل جليل القدر، عظيم الأجر، تتربَّص به القوى الشيطانية، ويترصَّده أبالسة الإجرام عن اليمين وعن الشمال، ومن الخلف ومن قُدام، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

لقد بات حزب التحرير بما يحمله من مشروع نهضة وتغيير مصدره الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والأمة الإسلامية، أمة الخيرية والشهادة على الناس، بطاقاتها المادية والبشرية والاستراتيجية الهائلة... بات الفريقان قاب قوسين أو أدنى من بلوغ الغاية، إقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة. وقد ساهمت عقود العمل السبعة الماضية في إكساب الحزب خبرة جبارة في سبر أغوار الأمم والدول، ورصد مكامن القوة والضعف فيها... وكذلك ساهمت في حمل الأمة على تغيير مشاعرها وأفكارها، من مشاعر كهنوتية ووطنية وعصبية هابطة إلى مشاعر عقائدية مبدئية دائمة، ومن أفكار كفر علمانية واشتراكية باطلة إلى أفكار صحيحة من جنس ثقافة الأمة وعقيدتها. كما ساهمت في تصويب البوصلة إلى وجهة خلع الأنظمة العميلة، وما ثورات الأمة على الأنظمة في تونس ومصر وليبيا واليمن والشام... وما اشتداد الهجمة على الإسلام واستعار أوارها مؤخرًا إلا دليل صارخ على أن الأمة لم تعد تثق بحكامها، بل وأصبحت ترى فيهم سبب ما هي فيه من ضنك وشقاء، وأنها، أي الأمة، باتت على وعي على خبث القوى الاستعمارية وعداوتها للذين آمنوا، وأن هذه العداوة عداوة عقدية متجذِّرة في نفوسهم منذ بعثة الرسول صلوات ربي وسلامه عليه، وإلى يومنا هذا، وحتى تقوم الساعة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُبلِّغنا يوم النصر؛ فتنجلي هذه الغمة عنا وعن الأمة، اللهم آمين آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

إكرام الله سبحانه لأهل نصرة نبيه ﷺ دافع للقيام بواجب النصرة اليوم

يوسف أبو مصعب

الأرض المباركة فلسطين

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ»، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟»، قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امرأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» قَالَ : فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا» (رواه أحمد).

ينطوي الحديث السابق على بيان بفضل الأنصار على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيان مدى حبه وتقديره لهم لما قدَّموه في خدمة الإسلام ونصرة دعوته والتمكين له وتثبيت أركانه، فقال: « أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ،

وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ» وقال: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».

لقد قدم الأنصار لهذه الدعوة ما أبت قريش وزعماؤها وقبائل العرب وقادتها تقديمه، والذين قصدهم النبي عليه الصلاة والسلام من قبل بحثًا عمن ينصر هذه الدعوة ورسولها، ويجعل من أرضه مرتكزًا لدولة الإسلام الأولى ومن نفسه سندًا وناصرًا لها. فبهم نصر الله الدين، وأقيمت دولته، وأصبح للمسلمين المستضعفين من يدفع عنهم أذى المشركين ويرد عنهم كيد المنافقين. فإن كان المهاجرون أول من صدَّق وآمن، فإن الأوس والخزرج (الأنصار) هم أول من آوى ونصر، فكان فضلهم على المسلمين عظيمًا استحقوا به كل هذا الرضى والمديح من الله ورسوله والمؤمنين.

فقد امتدحَهم الله في كتابه، وأثنى عليهم، وقارنهم بالمهاجرين، فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾.

لقد بلغ حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار مبلغًا عظيمًا حتى تمنَّى أن لو كان واحدًا منهم، وقد بوَّب البخاري في صحيحه: (باب: حبُّ الأنصار من الإيمان). والأحاديث التي أثنى النبي صلى الله عليه وسلم فيها على الأنصار مشيرًا إلى فضلهم ومنزلتهم كثيرة، منها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو أن الأنصار سلكوا واديًا أو شِعبًا لسلكتُ في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ امْرأً من الأنصار**» فقال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما ظلم بأبي وأمي! آووه ونصروه» (رواه البخاري).

- جعل النبي صلى الله عليه وسلم حبَّهم علامةً على الإيمان، وبغضهم أمارةً على النفاق، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**» (رواه البخاري).

- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**» (رواه البخاري).

- قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بأيام أوصى بهم فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية بردٍ، قال: فصعد

المنبر، ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعَيْبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**» (رواه البخاري).

- ويكفي في فضلهم وحبِّ النبي صلى الله عليه وسلم لهم دعاؤه بالمغفرة لهم، ولأبنائهم، وأبناء أبنائهم، ونسائهم، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار، ولنساء الأنصار**» (رواه البخاري).

والأنصار اسم سَمَّى الله به الأوس والخزرج وحلفاءهم في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وإنما سُمُّوا الأنصار لنصرتهم للإسلام ولرسوله؛ ولذلك تمنَّى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينسب إلى نصرة الدين لولا مانع الهجرة، وهذا يدلُّ على عظيم منزلتهم وفضلهم في كونهم إنما نسبوا لأمر عظيم؛ وهو نصرة دين الإسلام. وأشهر الأنصار -رضي الله عنهم- سعد بن مُعاذ، وسعد بن عُبادة، وأُبي بن كعب، ومُعاذ بن جبل، وأسيد بن حضير، والبراء بن معرور، وأسعد بن زرارة، وأنس بن النضر، وأنس بن مالك، وحسان بن ثابت، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وابنه جابر بن عبد الله -رضي الله عنهم أجمعين.

هؤلاء هم الأنصار أهل الكرم والبذل والسخاء، فقد جادوا بمهجهم وأرواحهم وأبنائهم وأموالهم في سبيل نصرة الدين وإعزازه، فقد والَوا وعادَوا في هذا الدين، ومن أجله قطعوا علائقهم بالبعيد والقريب، ورمتهم العرب بسبب هذه النُّصْرة للدين عن قوس واحدة، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

فهؤلاء الأوس والخزرج ومعهم سادتهم وقادتهم يسارعون بلا تردد ولا إبطاء، وبلا شرط أو قيد، فيبايعون النبي على الإسلام في العقبة الأولى، ثم جاءوه يبايعون على النصرة في العقبة الثانية.

روى الإمام أحمد بسنده عن جابر قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول: «**من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة**» حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر كذا قال فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنْك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يُظهرون الإسلام ثم ائتمروا جميعًا، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف، فرحل إليه منا سبعون رجلًا حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله نبايعك، قال: «**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في**

الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة» قال: فقمنا إليه فبايعناه.

وهذا الصحابي سعد بن معاذ رضي الله عنه، الأوسيُّ الأنصاريُّ الأشهليُّ، صحابيٌّ من أهل المدينة، سيدُ الأوس، أسلم على يد مصعب بن عمير الذي أوفده الرسول صلى الله عليه وسلم للدعوة في المدينة قبل الهجرة، قال ابن إسحاق: «لما أسلم وقف على قومه، فقال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا فضلًا، وأيمننا نقيبةً، قال: فإن كلامكم عليَّ حرام، رجالكم ونساؤكم، حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما بقي في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وأسلموا».

وعندما خرج المسلمون إلى بدر لملاقاة المشركين واستشار النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار، قال سعد: «آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يارسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلَّفَ منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوًا غدًا، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك فينا ما تقرُّ به عينك، فسرْ بنا على بركة الله». فسرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله، وحمل سعد لواء الأوس في المعركة وأبلى بلاءً حسنًا.

أصابه في الخندق سهم في ذراعه فقطع أكحله (عرق من وسط الذراع) فقال سعد: «اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم آذوا نبيك وكذَّبوه وأخرجوه، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقرَّ عيني من بني قريظة»، ولما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة طلبوا منه أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية. فجاء سعد رسول الله مستندًا على حمار له، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال: «**قوموا إلى سيدكم فقاموا إليه فأنزلوه**» فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**احكم فيهم**» قال: «فإني أحكم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري»، فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله ورسوله، فلما قتل آخر رجل منهم انفجر الدم من عرقه»، واحتضنه النبي صلى الله عليه وسلم: «فجعلت الدماء تسيل على رسول الله وجعل أبو بكر وعمر يبكيان ويسترجعان» وتوفي على إثرها فحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسيله ودفنه، ولما انصرف من جنازته ذرفت دموعه حتى بلَّت لحيته، وندبته أمه فقال صلى الله عليه وسلم: «**كل نادبة كاذبة إلا نادبة سعد**». وأهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير جعل الصحابة يتعجبون من لينه وحسنه، فقال صلى الله عليه وسلم: «**مناديل سعد في الجنة أحسن من هذا**». توفي وهو ابن سبع وثلاثين سنة، بعد ٦ سنوات في الإسلام نال بها هذا المقام الرفيع.

قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم،

عن الحسن البصري، قال: كان سعد بادنًا، فلما حملوه، وجدوا له خفة، فقال رجال من المنافقين: والله إن كان لبادنًا، وما حملنا أخف منه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «**إن له حمَلة غيركم، والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتز له العرش**».

وهذا ابن خالته (أسعد بن زرارة) رضي الله عنه، الأنصاريُّ الخزرجيُّ النجاريُّ، قديمُ الإسلام، أسلم باكرًا وشهد العقبتين، وكان نقيبًا على قبيلته، ولم يكن في النقباء أصغر سنًّا منه، ويقال: إنه أول من بايع ليلة العقبة.

قال ابن إسحاق: «فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه، وإنجاز موعوده له، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينا هو عند العقبة لقي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا».

قال: «**أمن موالي يهود؟**» قالوا: نعم، قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم؟**» قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظل زمانه نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلمَّا كلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنَّكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدَّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعنهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا. قال أبو نعيم إنه - أي أسعد بن زرارة - أول من أسلم من الأنصار من الخزرج.

كان يسعى مع سيدنا مصعب بالمدينة، ويتضح ذلك في قصة إسلام سيدنا أسيد بن حضير وسيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنهما وعنه وعن صحابة رسوله صلى الله عليه وسلم جميعًا.

كان عميق الفهم مذ حداثة سنه، ويظهر ذلك من موقفه في بيعة العقبة الثانية، يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: فقمنا نبايعه -أي رسول الله صلى الله عليه وسلم- فأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين، فقال: رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطيِّ إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله عز وجل، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر عند الله، قالوا: يا أسعد بن زرارة أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها، فقمنا إليه رجلًا رجلًا يأخذ علينا بشرطه العباس ويعطينا على ذلك

الجنة.

ذكر الواقدي أنه مات على رأس أشهر من الهجرة رواه الحاكم في المستدرك من طريق الواقدي عن أبي الرجال، وفيه جاء بنو النجار فقالوا: يا رسول الله مات نقيبنا فنقب علينا، فقال: «**أنا نقيبكم**» .

وقال البغوي إنه أول من مات من الصحابة بعد الهجرة، وإنه أول ميت صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وروى الواقدي من طريق عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: أول من دفن بالبقيع أسعد بن زرارة، وهذا قول الأنصار.

وأُسَيْدُ بن حُضَير بن عبد الأشهل الأنصاريُّ رضي الله عنه، فارس قومه ورئيسهم، فأبوه زعيم الأوس، وواحد من كبار أشراف العرب في الجاهلية. يُعدّ أسيد رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وكان إسلامه رضي الله عنه على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ -رضي الله عنهم أجمعين.

ذهب أسعد بن زرارة يومًا ومعه مصعب بن عمير إلى بستان من بساتين بني عبد الأشهل، أحد بطون الأوس، فجلسا فيه، واجتمع حولهما عدد من الذين أسلموا، فرآهما سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وهما يومئذ سيِّدا بني عبد الأشهل، ومن سادة الأوس أيضًا، فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، فهو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدمًا فأخذ أسيد بن حضير حربته، ثم أقبل إليهم، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدُقِ الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف عليهما متشتِّمًا فقال: ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أوَتجلس فتسمع، فإن رضيتَ أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره؟ فقال: أنصفت، ثم ركَّز حربته، وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: والله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين. قالا له: تغتسل فتطهر، وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين. ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن اتَّبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، وهو سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته، وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلًا، قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي، قال له سعد: ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك،

فقام سعد مغضبًا مبادرًا؛ تخوفًا للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيتَ شيئًا، ثم خرج إليها فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما، فكان معه ما كان مع أسيد رضي الله عنه.

كان لأسيد بن حضير موقف عظيم مع الرسول عليه الصلاة والسلام لما بلغه مقالة عبد الله بن أبي حين إقفاله من غزوة بني المصطلق، قال ابن إسحاق: فلما استقلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالجيش) وسار لقيه أسيد بن حضير فحيَّاه بتحية النبوة وسلَّم عليه ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة (وقت الظهيرة) ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أوما بلغك ما قال صاحبكم؟**» قال: وأيُّ صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أُبَيّ قال: وما قال؟ قال: «**زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ**» قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، وهو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله، اِرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكًا.

هذه بعض مواقف للرجال الذي نصروا الإسلام ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، فكان لهم السبق في إعطاء النصرة لإقامة دولة الإسلام الأولى، فحقَّق الله على أيديهم مراد نبيه عليه الصلاة والسلام، وهي تنطق بفضلهم ومكانتهم، وهي تزيل الغرابة عن تلك المكانة التي نالوها عند الله ورسوله والمؤمنين.

إن هذا الفضل لهو حافز لكل صاحب قوة من المسلمين اليوم أن يفعل كما فعل الأنصار الأوائل، وأن ينصر الدين ودعاة الخلافة - **حزب التحرير** - كما نصر الأوس والخزرج رسول الله عليه الصلاة والسلام، فأقاموا دولة أصبحت ملء سمع الدنيا وبصرها لقرون عدة.

إن الأمة الإسلامية اليوم وهي تعيش في أسوأ أيامها وبعد مائة عام هجرية على هدم دولة الخلافة، تتلمَّس طريقها نحو الخلاص من الحكم الجبري الذي يجثم على صدرها وتتطلع إلى اللحظة التي تستعيد فيها سلطانها فتحكم بكتاب ربها وسنة نبيها، وتستعيد مكانتها التي أرادها الله لها «**خير أمة أخرجت للناس**»، هذه الأمة المكلومة المنكوبة فيها حزب مخلص حمل على عاتقه الوصول إلى الغاية، وهو يقودها في مشروعها لإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، ويبحث بين أهل القوة من المسلمين من ينال شرف نصرة هذا الدين فيرضى عنه ساكنو الأرض والسماء، ويخلد اسمه في سجل الشرف كما خلدت أسماء الأوائل من الصحابة الكرام.

فإلى ذلك الشرف الرفيع والمقام الكريم الذي ينتظركم ندعوكم أيها القادة والضباط في بلاد المسلمين، ولا تخشوا إلا الله، وعليه توكلوا وهو ناصركم، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين. ■

ومن يحذو عزيزاً حذوَ سعدِ

نافذ الجعبري – الأرض المباركة

سلامًا من شغافِ القلبِ أُهدي ... لأبطالٍ قياداتٍ وجندِ
أبلِّغُكم رسالةَ كلِّ حرٍ ... يُعاني القهرَ في زمنِ التردّي
فكم في الأرضِ من خنساءَ باتت ... تواري قهرَها حينًا وتُبدي
وكم طفلٍ يبيتُ بغيرِ مأوى ... وكم عينٍ تكابدُ مرَّ سُهدِ
وأقصانا يئِنُّ بلا مجيبٍ ... ويلعنُ كلَّ رِعديدٍ ووغدِ
ترى الأخيارَ يحكمُها شِرارٌ ... تجاهرُ بالضلالِ ولا تَهِدّي
تباهي بالفسوقِ بلا حياءٍ ... تسومُ النّاس من غلٍّ وحقدِ
فلا عِرضٌ سليمٌ من أذاهُم ... ولا مالٌ يصانُ من التَعدّي
زعاماتٌ يُسيِّرُها هواها ... وتقبعُ في غياباتِ التردّي
وتستجدي رضا الأسيادِ عنها ... وما حَفِلت بإلٍ أو بعهدِ
وشرعُ اللهِ قد أقصَوهُ ظلمًا ... وقد حكموا العبادَ بشرعِ عبدِ
غدَونا في الورى كغُثاءِ سيلٍ ... غداةَ غدا العرينُ بغيرِ أُسدِ
مضى قرنٌ بأعوامٍ عجافٍ ... فهل لكريمِ عيشٍ من مَرَدِّ
فهبوا للعُلا فالخيرُ فيكم ... ولا تصغوا لخَبٍّ مستبِدِّ
بحبلِ اللهِ فاعتصموا سراعًا ... فإنَّ حبائلَ الشيطانِ تُردي
أعيدوا سيرةَ الأبطالِ فينا ... أقيموا صرحَ علياءٍ ومجدِ
كريمُ النفسِ ما انفكَّت يداهُ ... على الأزمانِ بالمعروفِ تُسدي
يُضحّي بالنفيسِ ولا يبالي ... ويبذلُ في المكارمِ كلَّ جهدِ
دروبُ العزِّ غايةُ كلِّ حرٍّ ... فمن منكم سيقبلُ بالتحدّي
ومن لمدارجِ العلياءِ يسعى ... ومن يحذو عزيزًا حذوَ سعدِ

المحور الثالث:

تفاعل الأمة مع مشروع الحزب...
وعقبات يعمل على تذليلها

- في الذكرى المئويّة لهدم الخلافة... عقباتٌ في طريق الخلافة، وطرقُ إزالتِها
- الأمة قادرة على التغيير، وإمكاناتها لا حصر لها
- أزمةُ الثورات مرحلية عابرة، وستحقق أهدافها قريبًا بعون الله

(الثورة التونسية نموذجًا)

- منزلة العلماء منزلة تكليف وتشريف...

(فأين علماء اليوم المسلمين من قضية إقامة حكم الله في الأرض اليوم؟!)

بسم الله الرحمن الرحيم

في الذكرى المئويّة لهدم الخلافة... عقباتٌ في طريق الخلافة، وطرقُ إزالتِها

حمد طبيب - بيت المقدس

مئة عام مرَّت على أمة الإسلام وهي بدون خلافة، وأحكام الله عز وجل معطَّلة. ومنذ ذلك التاريخ وهي في تردٍّ وانحطاطٍ في كافة المجالات؛ حيث أصبحت أذلَّ الشعوب على وجه الأرض، تُستباح دماؤها صباح مساء، وتُسلب أموالها، وتُغزى في عقر ديارها، وتُغتصب أقدس مقدساتها في أرض الإسراء والمعراج، وأصبحت في ذيل الأمم قاطبة في المجال العلمي والاختراعات، وأفقرَ الشعوب مع أن بلادها هي أغنى البلاد و أصبحت كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والمـاء فــوق ظهـورهــا محمــولُ

كل هذا حصل، وما زال يحصل في آمة الإسلام؛ بعدما كانت تَغزو ولا تُغزى، وتَحكُم ولا تُحكَم، ويأتيها طلاب العلم من كل أرجاء الأرض إلى جامعات قرطبة وإشبيلية. وبعد أن كان يقف خليفتها يخاطب غيمة في السماء: «أمطري أيتها الغيمة حيث شئتِ فإن خراجك عائد إلينا»!! ويقفُ قائدها على حافة الأطلسي قائلًا: «لو أعلم أيها البحر أناسًا خلفك لخضتك بسنابك خيلي لأبلِّغ دعوة الله» وتطوفُ الزكاة بلادها فلا تجد من يأخذها، ويخاطبُ خليفتها امرأة ظُلمت على حدود الروم: «لبيكِ أيتها المرأة؛ فسوف أسيّرُ جيشًا أوله عندك على حدود الروم، وآخره في بغداد»!!

لقد وقفت الأمة على آقدامها - رغم كل ما أصابها من جراح - بعد هدم الخلافة بفترة قصيرة؛ أي خلال فترة الاستعمار العسكري في بدايات القرن الماضي؛ فأخذت تكافح وتنافح ضد الاستعمار؛ من منطلق عقائدي كراهيةً للكفر والكافرين وحبًّا للجهاد والاستشهاد؛ فبرزت عدة حركات تحرُّرية لطرد الاستعمار مثل حركة عمر المختار، والحركة المهدية والسنوسية وغيرها... إلا أن هذه الحركات قد ضُلِّلت وحُرِفت عن مسارها الصحيح في التحرُّر والانعتاق، وظلّت أهدافها في إطار التخلص من الاستعمار دون النظر إلى مستقبل الأمة السياسي، وإلى سبب الاستعمار العسكري،

وإلى إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل هدم الخلافة.

خلال هذه المرحلة؛ أي في أواسط القرن الماضي، برز في الأمة حزب مبدئي هو **حزب التحرير**؛ درس كل الحركات السابقة، الدينية والوطنية والقومية، واستفاد من أخطائها، فأرجع المسار إلى الطريق الشرعي القويم، وأعاد القطار إلى سكَّته التي خرج عنها قبل هدم الخلافة؛ أي وضع برنامجًا عمليًّا على أساسٍ شرعيٍّ فكريٍّ لعودة الخلافة، ولإزالة كل المظاهر والآثار المترتِّبة على هدمها، وفي الوقت نفسه أنار للأمة حقيقة الحركات العميلة المرتبطة بالاستعمار العسكري الذي طرد من بلادها، وبيَّن لها أن طريق التحرُّر لا تكون فقط بطرد الاستعمار العسكري، وإنما أيضًا بقلعه من جذوره نهائيًا، وإحلال الإسلام كنظام حياة مكانه.

- **لقد وضع الحزب الأمة أمام الحقائق التالية:**

١- بيَّن لها بأن قضيتها المصيرية التي نشأت عنها كل المشاكل هي غياب حكم الإسلام، في ظل دولة واحدة تجمع الأمة الإسلامية جميعًا.

٢- إن كل ألوان الاستعمار السياسي والاقتصادي والعسكري نتجت بسبب غياب حكم الإسلام، وغياب المخلصين من أبنائها عن قيادتها، وتولِّي عملاء الاستعمار قيادتها؛ حيث استُبدل الاستعمار السياسي بالاستعمار العسكري.

٣- إن طريق نهضة الأمة الإسلامية هو طريق واحد لا يتعدد، وهو النهوض على أساس فكرها، وأن كل طريق سوى ذلك يرتبط بقوى الاستعمار السياسي ويبعدها عن هدفها في النهوض.

٤- إن الالتفاف حول المخلصين من أبنائها المرتبطين بعقيدتها وأحكام دينها هو فقط ما يقودها إلى برِّ الأمان، وإن كل الحركات الأخرى تبعدها عن هدفها وتزيد ارتباطها بالاستعمار، سواء أكانت وطنية أم قومية أم حتى إسلامية، ولا تلتزم بالمنهج الصحيح للسير بها إلى برِّ الأمان، وإنما تسير بها نحو الهاوية السحيقة.

إن الأمة الإسلامية قد قطعت شوطًا طويلًا في طريق نهضتها نحو إعادة خلافتها لكنها لم تصل بعد إلى الهدف، رغم أنها حقَّقت الكثير من النجاحات في السير والتصدي للاستعمار المناهض لهذا النهج التحرُّري؛ ولكنها ما زالت تواجه الكثير من العقبات الكأداء داخليًا وخارجيًا؛ تعوّق خط سيرها؛ ولكن لا تمنعه من المضي والسير قدمًا إلى الأمام.

- **فما هي العقبات التي تواجه مشروع الأمة النهضوي التحرري نحو الخلافة؟ وما هي طرق التصدي لهذه العقبات وإزالتها من طريقها؟**

وقبل الإجابة عن السؤال نقول: إن الغرب الكافر، ومعه عملاؤه من الحكام، قد أظهروا خوفهم من مشروع الخلافة، والسبب هو أنهم يدركون تمامًا معنى فتح أوروبا، والحروب الطويلة مع الدولة الإسلامية، وحروب البلقان

ووسط آسيا والصين، وغيرها من البلاد... ويدركون معنى ضياع ثروات وأسواق البلاد الإسلامية من بين أيديهم، ويدركون معنى وجود دولة مبدئية تطبق نظامًا ربانيًا أمام مبادئهم الهابطة الساقطة، وخاصة في ظلِّ التهاوي المبدئي الذي يعانون منه.

ومما ورد في هذا المجال أي تخوفهم من الخلافة، ما صدر من تصريحات عديدة على ألسنة الساسة والقادة والمفكرين الغربيين؛ نذكر منها على سبيل المثال:

تصريح رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير في المؤتمر العام لحزب العمال بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٦م، حيث قال: «لا يمكن أن تكون هناك مفاوضات حول إعادة دولة الخلافة، ولا مجال للنقاش حول تطبيق الشريعة الإسلامية».

أما الرئيس الأمريكي الأسبق بوش الابن فقال في مؤتمر صحفي في البيت الأبيض في ٢٠٠٦/١٠/١١م: «إن وجود أمريكا في العراق هو لمنع دولة الخلافة؛ التي ستتمكن من بناء دولة قوية، تهدد مصالح الغرب، وتهدد أمريكا في عقر دارها...».

هذا غيض من فيض مما بدا على ألسنتهم، وما تخفي صدورهم ومخططاتهم أكبر بكثير ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.

إن العقبات التي تواجه مشروع الخلافة؛ منها داخلي يتعلق بالأمة، ومنها خارجي يتعلق بدول الكفر وسياساته ومشاريعه:

- **أما العقبات الخارجية فيمكن إيجازها ضمن النقاط التالية:**

١- الحرب الشرسة من الغرب وعملائه ضد مشروع الخلافة.

٢- استغلال الفكرة نفسها، أي فكرة الخلافة، حيث استغلَّت أمريكا تنظيم الدولة بطريق ماكر، وحاولت من خلاله تشويه صورة الخلافة في نظر المسلمين.

٣- سياسات التضليل السياسي التي يقوم بها الغرب؛ عن طريق بعض الحركات الإسلامية، وخاصة في تركيا وباكستان وتونس ومصر.

٤- الحكَّام المتلبِّسون بلباس الإسلام ويحاربون مشروع الخلافة بطريق خبيثة ويظهرون أنهم على خطى الأمجاد مثل أردوغان تركيا.

- **وأما العقبات الداخلية أو ما يتعلق بالأمة نفسها فمنها:**

١- إن حصول الوعي العام بشكل شامل في البلاد الإسلامية على مشروع الخلافة، وعلى المشاريع التضليلية ضده مطمئن، وهو يحتاج إلى المزيد.

٢- تشتُّت العمل الإسلامي في جماعات متعددة بعيدة عن الهدف الصحيح، ومنها للأسف حركات لا تتبنَّى الفكر الإسلامي، بل الديمقراطية الغربية مثل حركة النهضة في تونس.

٣- إدخال بعض الجماعات في موضوع العمل العسكري وتشتُّت الجهد وتأليب القوى العسكرية ضدهم؛ كما حصل من الحركات

في مصر، على امتداد عقدين من الزمن.

٤- من يتسمَّون بالعلماء ودورهم التضليلي الكبير في صرف الأمة عن الهدف، ومحاربة الجماعات المخلصة؛ وخاصة المشايخ في الأزهر والحرمين والزيتونة.

٥- عدم انخراط الأمة بالشكل المطلوب في العمل الحزبي للنهضة، والقيام بواجب التغيير؛ وذلك بسبب ضعف الفهم من جانب والخوف من جانب آخر.

هذه أبرز العقبات في طريق مشروع الخلافة.

- **أما طريقة التصدي لها وتجاوزها فتكمن في الأمور التالية:**

أولًا: بجعل العقيدة الإسلامية أساسًا في حياة الأمة، وجعل كل عمل أو تصور منبثقًا من هذه العقيدة، وإبراز ناحية الخوف من الله عزّ وجلّ والحساب والثواب، وأن ما يصيب الإنسان لا يمكن أن يخطئه.

والأمر الثاني: كشف كل المشاريع التضليلية؛ سواء من الغرب أم من عملائه، وربطها بما يجري في بلاد المسلمين من خراب ودمار وحرب على الإسلام.

والأمر الثالث: التركيز على موضوع إيصال الأمة إلى درجة الوعي العام حول مشروع الخلافة، والعقبات التي تواجهه.

والأمر الرابع: تجييش الأمة عقائديًا ضد مشاريع الكفر بكافة أشكالها وألوانها، وتجييشها لمناصرة مشروع الخلافة في الوقت نفسه، وتعريفها بحزب التحرير - على وجه الخصوص - وبما وضعه من منهج قويم، ومن استعدادية كاملة لقيادة الأمة.

والأمر الخامس: كشف ضلالات العلماء؛ ممن يدورون مع الحكام، وتوعية الناس أن هناك صنفًا حذَّر منه الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وهم علماء الحكام، وتحذير الأمة من السير معهم أو خلفهم، أو تصديقهم فيما يدِّعون من كذب.

هذه هي أبرز الأمور التي تعترض وتواجه الأمة في مشروعها الكبير نحو الخلافة... وهذه أبرز الأمور في طرق التصدي لها.

وفي الختام نقول: إن الخلافة، بعون الله، قائمة لا محالة رغم أنوف الكفار، ورغم مكرهم وحربهم. قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**» رواه الإمام أحمد...

فنسأله تعالى، ونحن على رأس مئة عام من ضياع الخلافة، أن يكون هذا العام هو تمهيدًا لعودتها، وأن يصدق فينا حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأمة عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**» رواه أبو داوود في سننه... اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة قادرة على التغيير، وإمكاناتها لا حصر لها

محمد علي بوعزيزي

عندما نجلس مع الناس ونكلمهم في واقع الأمة يستمعون إلينا بكل انتباه، ويشعرون بقوة الفكر وقوة الطرح: من فساد الواقع، وفساد الأفكار السائدة في المجتمع، وسيطرة الاستعمار، وفساد الرأسمالية، وفساد الحكام والوسط السياسي، وبالتالي حتمية التغيير بالإسلام الذي نطرحه مفصلًا في شكل دولة؛ ولكن عندما نصل معهم إلى التغيير الجذري وقلب الموازين، تتغيَّر ملامح الناس وتنتكس الرؤوس بعد أن كانت متيقِّظة مشرئبة إلى المتحدث. وهذا في تقديرنا يرجع إلى اليأس والإحباط اللذين يسيطران على عقول الناس؛ لأنهم يرون أن التغيير ليس صعبًا فقط، بل هو مستحيل؛ نظرًا لوضع الغرب الذي يَرون أن لديه كل القوة، ويسيطر على كافة نواحي الحياة في بلادنا بما في ذلك الجيوش التي هي محل القوة والتي نطلب منها النصرة. وفي المقابل عدم وجود أية علامة قوة لدى المسلمين لقلب الموازنة وإحداث التغيير. فالحديث عن سيطرة الغرب وقبضة الحكام دون الحديث عن كيفية التغيير وقدرة الأمة على ذلك يولِّد اليأس لديها.

ولمعالجة هذه المشكلة بشكل دائمي، لابد من طرح ما لدى الغرب من قوة وما يمكن أن يفعله بهذه القوة، وفي المقابل ما لدى المسلمين من قوة وما يمكن أن يفعلوه بهذه القوة؛ حتى نبعث في الناس الأمل والثقة وتطمئن القلوب وفي الوقت نفسه تكون رسالة تشجيع لأهل القوة.

فالأمة عاشت أكثر من قرن مكبَّلة، وقواها إما معطَّلة أو في خدمة الاستعمار، وعاشت مهزومة بحروب مصطنعة، فهي مهزومة نفسيًا وفي حاجة لأن تعرف وتتحقق من قدرتها على التغيير بفضل إمكاناتها الغافلة عنها.

لابد آن نضع في آذهان المسلمين أن قوة الغرب تكمن في استغلاله لثروات البلدان التي يستعمرها وخاصة منها بلاد المسلمين، فمتى تعطَّل هذا الاستغلال أو قُطع دابره تعطَّلت مصالح الغرب وأثَّر ذلك في قوته. والذي يخدم الغرب في بلادنا ويمدُّه بشرايين الحياة هم من أبناء المسلمين الذين يضعون أنفسهم تحت الأوامر والتوظيف وقرارات المسؤولين الذين يضعون أنفسهم الذين هم وكلاء الاستعمار وعلى رؤوسهم الحكام. وعندما تحين ساعة الصفر ويتمَّ تنحية الحكام ووسطهم السياسي تتوقف هذه الأوامر وتتوقف خدمات

الاستعمار وتهتز قوته ويبدأ ميزان القوى في التغير...

ولابد أن نضع في أذهان المسلمين أيضًا أن الوسط السياسي الحالي والعلمانية التي يحكم بها ما هي إلا فرقعة إعلامية لا جذور لها في الأمة، وبعبارة أخرى حين يمنُّ الله بنصره بإقامة الخلافة، وتُعلن في بلد من بلاد المسلمين التي تتوفر فيها مقومات إقامتها، يبدأ الخليفة في تطبيق أحكام الاسلام واتخاذ الإجراءات السريعة، وهذا وحده كفيل بتعطيل مصالح الغرب وإرباكه.

وعندما يشعر المسلمون بجدية التغيير وأنه غير مرتبط بالاستعمار ومنظماته وأن الدولة دولتهم، ستنفتح الأجواء الإيمانية التي توحِّد اتجاه الناس بالفكر والمشاعر وتدفعهم للدفاع عن هذه الدولة الناشئة ومساندتها في نهضتها من جديد... وعندها سيرى أصحاب العقول المنهزمة العجب؛ إذ ستصبح الأمة بأكملها قوة ضد من يقف عقبة أمام التغيير. نستطيع هنا أن نضرب مثالًا بثورة تونس، فقبل الإطاحة بنظام ابن علي بعدة أيام وحتى في بداية الثورة كان الناس يظنُّون أن قلعه من الحكم من سابع المستحيلات؛ ولكن سرعان ما سرت في البلاد موجة قلبت الموازين؛ لأن الناس تريد التغيير ولو لم يوجد قيادة ببرنامج حكم لما بعد الثورة... فالأمة الآن تريد التغيير والقيادة موجودة والبرنامج موجود بشكل مفصَّل ومؤصَّل.

نعم، لا بد من تقريب صورة التغيير إلى أذهان الناس ولو بصورة إجمالية، وذكر بعض الإجراءات حتى يلتفَّ الناس أكثر حول الحزب من مثل غلق السفارات وترحيل موظفيها، وغلق المضائق، وقطع الاتصالات مؤقتًا، وتعطيل العمل بالاتفاقات والمعاهدات حتى يلغيَ أو يُقرَّ أو يعدِّلَ منها ما يراه الخليفة حتى تكون مطابقة للشرع، ومراجعة كل عقود الثروات والامتيازات للدول الأخرى، والعمل لضمِّ باقي دول العالم الإسلامي إلى دولة الخلافة وعدم اعتبار العلاقات معها علاقات خارجية.

ومن المتوقع أن يفاجَأَ الغربُ في كل يوم، بل في كل ساعة، بما لا يسرُّه وبما يكسر شوكته. فقوى الأمة لا يمكن حصرها. فهي لم ترَ يومًا أبيضَ على مدى قرن من الزمن، وعانت من الاستعمار ما لا يعلمه إلا الله. فالأمة تنتظر لحظة فكاك قيودها حتى تثأر لنفسها.

ومن المنتظر أن تصور الدول الاستعمارية الدولة الناشئة بأنها مارقة عن القانون الدولي وأنها مصدر للإرهاب، وسيهاجمنا بطائراته و صواريخه، وسيكون هناك ضحايا وقتلى وتدمير... ولكنه ثمن التحرُّر من الاستعمار. نحن ندفع الثمن من يوم أن غاب سلطان الإسلام، فلتكن التضحية الآن في سبيل التغيير

والتحرُّر من الاستعمار.

إلا أن المعارك لا تُحسم إلا على الأرض، وهنا لا يجرؤ الغرب ومعه الشرق على مواجهة المسلمين حتى وهم بدون سلاح. فقد عرفهم في أفغانستان والعراق وسوريا ورأى بطولاتهم. انظروا الآن إلى الحروب في بلاد المسلمين، فقد جعلها الغرب بين المسلمين أنفسهم أي بالوكالة، واكتفى هو بالتمويل والإشراف وحتى التمويل هو من أموال المسلمين التي يفرط فيها الحكام مقابل الحماية والبقاء في الحكم.

ولكن هذه المرة سيفكر الغرب ألف مرة قبل أن يهاجمنا وسيحسب ألف حساب؛ لأن رجال اليوم لن يكونوا كرجال الأمس، وحكَّام اليوم لن يكونوا كحكَّام الأمس، وأمة اليوم لن تكون كأمة الأمس.

هناك من يخاف المقاطعة ولكنه نسي أن الأمة لديها الكفاية من الزراعة ومن الثروة السمكية والحيوانية، والتصنيع سنبدؤه فورًا وسنعمل على إقامة مصانع ثقيلة... وفي بقية المجالات الغرب هو الخاسر في المقاطعة.

لدينا آلاف المخترعين والمبدعين، وعندنا ملايين الشباب المعطَّل، وعندنا مَن عادوا من الغرب ولديهم خبرة في كافة المجالات... عندنا قبل كل شيء رب قوي عزيز لا يعلم جنوده إلا هو، و عندنا قرآن نحيا به من جديد، و عندنا أعتى القوى ألا وهي القوة الروحية، وعندنا ثروات طبيعية كل العالم بحاجة إليها، ونستطيع أن نقايضَ بها سلعًا أخرى...

الأمة هذه المرة ستقاتل تحت إمرة صادقة، وسيكون القتال لله وحده وليس للوطن أو القومية، وسيكون في ذهن الأمة ما فعله بها الاستعمار وحروبه التي قتل وشرَّد فيها ملايين المسلمين، وسوف لن تكون هناك خيانات لأنها سيتم استئصالها من جذورها بعون الله.

هذا غيض من فيض، إمكانات الأمة لا حصر لها، ويمكن الإتيان بالكثير من الشواهد التي تبين أنها إمكانات لا حصر لها فالأمة تمتلك قوى لا تصدَّق، وعندها القدرة على التغيير، والحديث عنها بشكل واقعي وجعل الناس يلمسونها... فهذا يجعلهم يتجاوزون ما يعمل الغرب ليلًا نهارًا على زرعه في عقول وقلوب المسلمين من وهم استحالة عملية التغيير، وحتى لا نبقى في نظر الكثير نعيش في الخيال بعيدين عن الواقع أو القول لنا باستحالة تحقيق ما ندعو إليه، قال تعالى :﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

أزمةُ الثورات مرحلية عابرة، وستحقق أهدافها قريبًا
(الثورة التونسية نموذجًا)

حمد طبيب - بيت المقدس

إنه من الخطأ الكبير أن نقول ونردّد خلف عملاء الاستعمار إن الثورات قد فشلت وأخفقت ولم تحقق أهدافها، وإن الشعوب قد اتَّجهت في طريق أخطأت فيه المسير؛ أي أخطأت في ثورتها ضد الظلم والظالمين من الحكَّام وحواشيهم وحرَّاسهم. هذا معناه أن الشعوب لا يجوز لها أن تنتفض، ولا أن ترفع صوتها بالنقد، ولا بالوقوف في وجه الظلم، ومعناه أنها يجب أن تُذبح ألف مرة، ولا تتحرك، ولا تنتفض حتى انتفاضة المذبوح!!

فانتفاضة الشعوب وثورتها؛ هي التعبير الأوّلي الغريزي ضد الظلم، وضد القهر، وضد الاستعباد بأبشع صوره. فحتى البهائم العجماء إذا ظلمْتَها أو اضطهدْتَها؛ فإنها تعبِّر عن ذلك بحركة أو هُروبٍ، أو غير ذلك من أساليب غريزية، فكيف بالشعوب التي أكرمها الله عز وجل بالعقل؟! وكيف إذا كانت هذه الشعوب مسلمة لها كرامتها وحريتها وعزّتها؟! إن حركة الشعوب في الثورة والانتفاضة هي حركة أوَّلية صحيحة وطبيعية، وإذا لم تحصل فلا فرق بينها وبين الجماد - لا أقول البهائم العجماء - ولكن الخطأ ليس في الثورات أو الانتفاضات، إنما الخطأ الفادح هو في الاقتصار على ذلك فقط؛ أي الاقتصار على الثورة والانتفاضة فحسب دون مشروعٍ حضاريّ، ودون قيادات مخلصة تنقاد الأمة خلفها بموجب هذا المشروع الحضاري. فالضابط والضمانة لعدم ضياع الجهود، وسرقة الدماء لأية ثورة في العالم هو: **أولًا:** ضابطٌ حضاري؛ يحمله أناس منضبطون بالفكر النابع من حضارتهم. **وثانيًا:** أناسٌ مخلصون يقودون الناس بهذه الحضارة، ويحملون همّهم ومشاكلهم، ويحاولون جاهدين تخليصهم من الظلم؛ انطلاقًا من فكرها النابع من حضارتها. بمعنى آخر: وعي الجماهير على دينها (عقيدتها وأحكام شريعتها) ووعيها على كل ما يخالف ذلك أو يحُول دونه أو يقف في طريقه، ووعيها على المخلصين من أبنائها ممن يحملون فكرها النقي الصافي، ووعيهم أيضًا على كل المخططات الخبيثة الماكرة الهادفة إلى صرف الشعوب عن أهدافها السامية في التحرر والانعتاق من ربقة الاستعمار، وانقيادها لهؤلاء المخلصين ممن يحملون همَّها وحضارتها، والتفافها حولهم. وبهذا فقط، فإن الأمة لا تضيع جهودها أبدًا، ولا تُسرق من بين أيديها بسهولة، ضمن مخططات المكر والخديعة، كما هو حاصل اليوم بثورات الشعوب في بلاد المسلمين.

إن تخصيص الحديث عن تونس في موضوع الأزمات المتعدِّدة والمتجدِّدة لا يعني أن هذه الأزمات تتعلَّق بتونس وحدها، بل

إن سبب التخصيص هو أن الكثير من الناس يعتقد أن النموذج التونسي الثوري قد نجح وحقَّق أهدافه المنشودة، وأنه يسير في الطريق الصحيح (ضمن ما يسمى بالنموذج الديمقراطي التونسي) وأن على باقي البلاد التي خاضت الثورات أن تقتدي به وتحذو حذوه؛ في النظام الديمقراطي، والانتخابات والبرلمان، والنظام الدستوري؛ ولكن الحقيقة التي تغيب عن أذهان الكثيرين هي أن البلاد الإسلامية التي خاضت الثورات تعاني ما تعانيه تونس؛ من ظلمٍ وإخفاقات متتابعة متعدِّدة ومتجدِّدة، سواء أكان ذلك في المجال السياسي، أم الاقتصادي، أم القضائي، أم ما يتعلق بالحريات التي يتحدَّثون عنها باستمرار. وقد يدور في خلد البعض أن السبب في ذلك هو طبيعة الثورات، أو القائمون عليها كأشخاص؛ ولكن الحقيقة هي أن الأمر لا يتعلق بهذا ولا بذاك، بل إن السبب في تأخُّرِ تحقُّقِ الأهداف - ولا أقول فشل الثورات - هو أن هذه الثورات قد أُحيطت بقيود من الحديد والنار، وأُحيطت بالأكاذيب والتضليلات، وأدخل عليها ما ليس منها من عملاء الحكام، وأُشغلت عن الأهداف العليا السامية (الحضارية) بأهداف جانبية لا تسمن ولا تغني من جوع، مثل الانتخابات، وتعدّد الأحزاب، والصراعات السياسية المرتبطة بذلك؛ حتى أصبحت الانتخابات في كل البلاد الثائرة، والمنتفِضة ألهيةً، وستارةً، وصارفةً؛ تصرف الناس عن الأهداف العليا إلى أهدافٍ وغاياتٍ تضليلية لا تسمن ولا تغني من جوع!!

فالموضوع التونسي كمثال حيّ وواقعي عملي لهذا الأمر، ليست مشكلته اقتصادية، ولا دستورية تتعلق بالبرلمان والتمثيل وعدد المرشحين لهذا الحزب أو ذاك، كما يدَّعي البعض، أو كما يقولون إن الحل في تونس هو إصلاح الاقتصاد، أو الدخول في انتخابات تتلوها انتخابات، ثم انتخابات بعدها. وليس أيضًا في ترتيب الأمور تحت قبة البرلمان ضمن الفساد الموجود، وضمن الصراعات والمناكفات والمنافسات على كرسي ملتصق بالأبهة، أو حب الظهور، أو الطمع في مناصب ذاتية لخدمة الذات، فهذا كله يزيد الأمور تعقيدًا والأزمة تولِّد أزمات متجدّدة ومتفاقمة، وكل أزمة تستجدّ هي أكبر من سابقتها.

إن الواقع وما يحصل داخل تونس أو في غيره من بلاد المسلمين يدلِّل بشكل قطعي لا شكَّ ولا لبس فيه أن ما يجري داخل البرلمان، أو خارجه من سياسات ضالَّة مضِلَّة إنما هي لصرف الناس عن الهدف الصحيح، وإشغالهم عن المخلصين من أبنائهم، بمن هم من ذيول الاستعمار. وبمعنى أدقّ: هو صرفٌ للأمة عن مشروعها الحضاري العظيم (في ظل حكم الإسلام)، والذي به حُلَّتْ جميع مشاكلها ومشاكل العالم أجمع سابقًا، وبه سادت العالم بلا منازع وأصبحت الدولة الأولى في الأرض.

لقد جرّب الشعب في تونس الانتخابات الرئاسية أكثر من مرة منذ سنة ٢٠١١م، أي من

بداية الثورة حتى يومنا هذا سنة ٢٠٢١م، خلال عشر سنوات مضت، وجرَّب الانتخابات النيابية أو البرلمانية كذلك أكثر من مرة. واليوم يتطاحن أعضاء هذا البرلمان، ويتصارعون، ويدورون في دائرة مفرغة ليس لها أي علاقة بمشاكل تونس؛ سواء منها الاقتصادية أم الأمنية، أم الحريات السياسية، أم ترتيب الأمور بين الناس وسيادة الإخاء والمودَّة.

إن تونس بلدٌ إسلامي له عراقة وتاريخ، وشعبه مسلم يحب دينه، ويحب تاريخه، ولو خُيِّر بين دينه وغيره لاختار دينه، فما المانع إذًا الذي يحول بين أهل تونس، وبين تطبيق دينهم عمليّاً في الدولة والمجتمع؟!

إن المانع الذي يمنع أهل تونس وغيرهم من المسلمين، من تطبيق مشروعهم الحضاري (حكم الإسلام) ضمن كيان سياسي، هو الاستعمار، وعملاء الاستعمار، من الأوساط السياسية الفاشلة العفنة. وهذا ما نطق به أكثر من مسؤول غربي في فترة الثورات وقبلها، ونطق به كذلك أكثر من مسؤول في البلاد الإسلامية؛ حيث صرح وزير الداخلية البريطاني الأسبق تشارلز كلارك في كلمة له في معهد هيرتيج في سنة ٢٠٠٥م فقال: «لا يمكن أن تكون هناك مفاوضات حول إعادة دولة الخلافة، ولا مجال للنقاش حول تطبيق الشريعة الإسلامية». أما جورج بوش الابن فقال في تصريح صحفي سنة ٢٠٠٦م: «إن المتطرفين المسلمين يريدون نشر أيديولوجية الخلافة التي لا تعترف بالليبرالية، ولا بالحريات... ولهذا يريدون لنا أن نرحل، ولكننا باقون حتى لا نندم، وليعلم الشعب الأمريكي حينئذ أن وجودنا في العراق كان يستحق المغامرة والرهان» وقال رئيس وزراء بريطانيا الأسبق توني بلير يوم ٢٠٠٥/٧/١٦م: «إننا نجابه حركة تسعى إلى إزالة دولة (إسرائيل)، وإلى إخراج الغرب من العالم الإسلامي، وإلى إقامة دولة إسلامية واحدة تحكّم الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي عن طريق إقامة الخلافة لكل الأمة الإسلامية».

وفي ظل الثورات، صرَّح أوباما الرئيس الأمريكي الأسبق لصحيفة نيويورك تايمز في ٢٠١٤/٨/٨م: «لن نسمح لهم (أي للثورات) بإقامة خلافة بصورة ما في سوريا والعراق». أما وزير الخارجية السوري وليد المعلم فقد حذَّر الغرب في مقابلة تلفزيونية سنة ٢٠١٣م من سعي بعض القائمين على الثورة السورية من إقامة خلافة إسلامية فقال: «إذا سقط بشار الأسد فسوف تعود الخلافة الإسلامية في سوريا».

إن الأمر الطيِّب الذي يبشر بالخير في موضوع الثورات في تونس على وجه الخصوص، وفي كل بلاد المسلمين على وجه العموم، هو أن الشعوب في بلاد المسلمين قد صارت تدرك شيئًا فشيئًا أن كل ما مرَّت به من تجارب هو زيف وتضليلٌ وانحدارٌ نحو الأسفل، وأن كل ما مضى من تجارب قد زادها يقينًا أن مشكلتها ليست دستورية، ولا في انتخابات رئاسية ولا

وزارية، ولا برلمانية، ولا حتى اقتصادية، إنما هي حضارية، وأنها صارت تدرك بأغلبيتها أن كل من خاضوا التجارب السابقة عن قصد أو جهالة لا يستطيعون قيادة الناس ولا الأخذ بأيديهم نحو برّ الأمان، وأن القادر على ذلك هم فقط من تنزَّهوا وابتعدوا عن كل هذه الخزعبلات والضلالات، سواء منها الرئاسية أم البرلمانية أم غيرها. وتمسَّكوا بدينهم (بحضارتهم)، ودعَوا الناس إليها في كل مرة كانت تتنكَّب خُطاهم في تحقيق الأهداف.

إن المرحلة القادمة من مراحل الثورات هي جني ثمرة عشر سنوات مضت؛ وذلك باستنتاج النتائج بعد تفحُّص الأمور تفحُّصًا دقيقًا من جماهير الناس في البلاد الإسلامية، وبعد النظر والتمعُّن فيما فعله من سار في خط الانتخابات والأحزاب المرتبطة بذلك. فالشعوب لم تدرك حقيقة الحكام وعمالتهم وسيرهم في طريق تدمير الشعوب إلا بعد سنوات مرت على التحرُّر والانعتاق من ربقة الاستعمار الأول في أواسط القرن الماضي، وكانت تظنُّ أنها بسيرها خلف هؤلاء القادة، بدون أي مشروع حضاري، أنها ستتحرَّر وتنعتق وتنهض كما نهضت شعوب أخرى في العالم، وإذا بها تنتكس، وتتردَّى وتجد نفسها مرة أخرى في ذيل الاستعمار الذي انعتقت منه عسكريًا! وهذا بالفعل ما يحصل اليوم في مسألة الثورات؛ سواء في تونس أم في غيرها. وقد بدأت الأصوات بالفعل تظهر على السطح؛ تطالب جميع الأحزاب التي خاضت هذه المرحلة بالتنحِّي والابتعاد من طريقها ليتسلَّم قيادتَها أناسٌ من جنس دينها، من جنس فكرها وحضارتها، وليس لهم أي ارتباط بالاستعمار الغربي، ولا بعملائه ممن يوجِّهون بوصلته في بلاد المسلمين في تركيا وقطر والإمارات وغيرها من أذناب الاستعمار.

إن دماء الثورات وجهودها، وإن تأخرت، لن تذهب سدًى ولا هدرًا كما يتصوَّر عملاء الاستعمار والمضبوعون بثقافته، بل إن تأخُّر جني الثمرة هو مرحلة لا بد منها؛ ليميز الله الخبيث من الطيب عبر تجارب وامتحانات تمرُّ بها الشعوب، فتصل الشعوب بعدها عن قناعة ووعي إلى الطريق الصحيح المستقيم.

نعم، إن الشعوب سوف تجني ثمرة دمائها وتعبها، ولن تضيع سدًى، وسوف تكون هذه الدماء والسنوات الماضية من ثورة الأمة هي النور الذي يضيء لها طريقها، ويعرِّفها بالطريق الصحيح، وبمن يحمل همَّها ومشروعها الحضاري العظيم.

فنسأل الله العلي العظيم أن تكون هذه السنوات هي خاتمة المرحلة الحاضرة، وأن تكون الشعوب قد وصلت إلى الوعي التام على حقيقة أمرها، وحقيقة السائرين في مشروعها الحضاري، ليُتوّج ذلك قريبًا بحكم الإسلام في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة، وفي ظل قادة عظام أمثال عقبة بن نافع، وموسى بن نصير، ويوسف بن تاشفين وطارق بن زياد. اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

منزلة العلماء منزلة تكليف وتشريف...
(فأين علماء المسلمين اليوم من قضية إقامة حكم الله في الأرض؟!)

م. موسى عبد الشكور

إن العلماء في الإسلام يُعتبَرون صمام أمان ووسائط الحق للناس، بهم يعرف الحق من الباطل، وينماز بين الطيب والخبيث. وقد جعل الشرع لهم منزلة لا يدانيهم فيها أحد إن هم قاموا بحقِّها وكانوا على مستوى ما يعلمون: علمًا وعملًا ومواقف. هذا وقد قال رسول الله ﷺ فيهم قولًا يكرمهم فيه أيَّما تكريم،فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سمِعْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: «**منْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ علْمًا سهَّل اللَّه لَه طَرِيقًا إِلَى الجنةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضًا بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ منْ فِي السَّمَواتِ ومنْ فِي الأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ فِي الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ وإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإِنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ**» رواهُ أَبُو داود والترمذيُّ.

وهذا الحديث، في الوقت الذي يشير فيه إلى عظيم منزلة العلماء، فإنه يحمِّلهم مسؤولية عظيمة هي موضع تكليف ثقيل، تكليف يتمثل بقيامهم بالميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى منهم وعليهم، وهو أن يبيِّنوا الحق لجميع المسلمين، سواء أكانوا حكّامًا أم محكومين، جماعات وأحزابًا أم أفرادًا، ونهاهم عن كتمان الحق مهما كان تبيانه شديدًا عليهم، فقال جلَّ من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧] قال قتادة رحمه الله: «هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم علمًا فليعلِّمْه الناس، وإياكم وكتمانَ العلم، فإن كتمان العلم هَلَكة...» وقال الحسن رحمه الله: «لولا الميثاقُ الذي أخذه الله على أهل العلم ما حدَّثتُكم بكثير مما تَسألون عنه». وقال الآلوسي في روح المعاني: «واستُدِلَّ بالآية على وجوب إظهار العلم وحرمة كتمان شيء من أمور الدين لغرض فاسد من تسهيلٍ على الظَّلمة، وتطييبٍ لنفوسهم، واستجلابٍ لمسارِّهم، واستجذابٍ لمبارِّهم، ونحو ذلك، وفي الحديث: «**من سُئل عن علم فكتمه أُلجم بلجام من نار**» رواه أحمد. أما ما قد يواجهه العالم من شدَّة وتضييق عليه وتهديد له جرَّاء قول الحق قد يصل به إلى السجن أو التعذيب أو الموت،

فعليه أن يبقى ملتزمًا قول الحق ويثبت عليه، فالرسول الكريم قد طمأنه بأن موته في هذه الحالة شهادة، وسيكون في منزلة سيِّد الشهداء، قال رسول الله ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله**» رواه الحاكم وصححه. وأن عمله جهاد وفي مرتبة أفضل الجهاد. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ سئل أيُّ الجهادِ أفضلُ؟ قال "**كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ**" رواه أبو داود؛ وبذلك ينال العلماء تشريفًا لا يدانيه تشريف، يرفعهم الله به درجات، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾. فالعلم هو أولًا تكليف، وتكليف ثقيل... والقيام بحقه تشريف وأيَّما تشريف.

من هنا نرى أن الأمة الإسلامية، وعلى مدى عصورها، تُكنُّ للعلماء المخلصين كل احترام وتقدير، وتتَّخذهم مراجع لهم في معرفة الحق والإيمان به، وتوضيح المعروف والتزامه، وتعريف المنكر واجتنابه، واتِّباع الصراط المستقيم. ولقد كان علماء المسلمين على مدار التاريخ في المقدمة والصدارة: قادة للواعين والمخلصين، وعونًا للمسلمين، وملاذًا للمظلومين، وحربًا على الظالمين، وشوكة في عيون كل من أراد أن يقف في وجه الشرع أو أن يغضَّ من تعاليمه أو ينشر الشبهات بين المسلمين... وكثيرًا ما كانوا فوق السلاطين بل وصل بعضهم، في بعض الفترات، إلى أن يبيعوا الأمراء في سوق النخاسة كما فعل العزُّ بن عبد السلام، رحمه الله!

وظيفة العلماء كورثة للأنبياء:

إذا كانت العبادة هي مطلوب الشرع والغاية من الخلق، فإن العلم هو الطريق إليها، فلا عبادة من غير علم أو فقه في الدين؛ وحيث إن قدرات الناس متفاوتة، ولا يستطيع العلمَ كلُّ الناس، كان العلم فرضًا على الكفاية، وكان للعلم أهله... وبما أنه مطلوب شرعًا من جميع المسلمين أن يلتزموا بأمر الله، كان لا بد من أن يكونَ البعضُ علماءَ، والأغلبُ متَّبعين ومقلِّدين، ويكونَ الجميعُ عبادًا لله معنيِّين بالالتزام بأمر الله، علماءَ ومتبعين.

وكون العلماء علماء، فإن ذلك لا يعفيهم من واجب الالتزام بما يريده الله، بل عليهم أن يكونوا في المقدمة. فمنزلة العالم لا تعفيه من المسؤولية عن تطبيقه، بل يجب أن يكون سابقًا في الطاعة. فهو إن أفتى بمسائل تتعلق بالصلاة أو الزكاة أو الحج... فعليه أن يلتزم بها إن تعلق بها عمله مثله مثل من يستفتيه. وإن كان الحكم الشرعي يوجب على المسلمين العمل لإقامة دولة إسلامية ويوجب العمل لإقامتها من خلال جماعة، فهو وإياهم معنيُّون بالالتزام بذلك... بمعنى آخر ليست وظيفة العالم أن يستنبط ويفتي وهو جالس في برج عاجي، بل قد يضعه علمه في المقدمة، ويجعله معرضًا للسهام أكثر من غيره. ولعلَّ هذا ما كان

عليه الرسول ﷺ وصحابته من بعده!.

ولما كان الإسلام هو دين الله الخاتم، وكان دينًا كاملًا شاملًا يعالج كل أمور الحياة، فعلى العلماء أن ينقلوا ذلك للناس بأن يأخذوا دينهم كاملًا شاملًا، بأن يأخذوا منه الأحكام الشرعية المتعلقة بجميع شؤون حياتهم، سواء فيما تعلق بعلاقتهم مع أنفسهم من أحكام العبادات والملبوسات والأخلاق... أم بغيره من الناس كأحكام المعاملات، أم ما تعلق بأمور الجماعات التي يأمر الشرع بإيجادها لإقامة عمل بها، أم بأمور الحاكم وما يتعلق به من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وجهاد في سبيل الله، وسائر ما يتعلق بأمور الدولة الإسلامية وأمر الحاكم.

من هنا تتوزَّع مسؤولية العلماء في كل اتجاه: باتجاه المسلمين كأفراد، وباتجاه جماعة المسلمين، وباتجاه الحكَّام، وباتجاه الجماعات أو الأحزاب التي أناط بها الشرع بعض الأحكام الشرعية.

وعلى العلماء أن يلتزموا بالميثاق الذي أخذه الله عليهم. فبمجرد أن يدخل الواحد منهم في زمرة العلـماء فمعناه أنه وضع نفسه تحت هذه المساءلة: أن يبيِّن الحق ولا يكتمه، أن يقول الحق ويقوم به لا يخاف في الله لومة لائم، وأن يصبر عليه، وأن يكون علمه نورًا يمشي به في الناس؛ وعليه فإن وجود العلماء في الأمة ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها. وكما قال الإمام أحمد: «الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه».

واقع علماء اليوم:

بعد هذا الكلام، هناك سؤال يفرض نفسه: أين علماء المسلمين من هذا اليوم؟! ما هي مواقفهم مما يجري اليوم في العالم الإسلامي، خاصة وأن الشرع قد فرض عليهم أن يكونوا في مقدمة الالتزام كما ذكر؟!.

إن علماء الأمة اليوم وللأسف، لا نراهم على مستوى ما أناطه الشرع بهم، والأمة من كثرة مواقفهم المخالفة لشرع الله تتساءل واجمة: أين هم من تنحية الشريعة عن الحكم والحياة العامة، وفصل الدين عن الحياة؟؟ فهي تراهم أصفارًا على الشمال، تراهم يعيشون في حالة تخلٍّ عن مهمتهم التي أناطها الله بهم، في حالة خيانة للأمانة. ترى أنهم قد قبلوا أن يقتصر دورهم على الفتاوى المتعلقة بأعمال المسلمين الفردية للنساء والرجال من صلاة وصوم وحج وزكاة وزواج وطلاق وحيض ونفاس واستبراء واستنجاء... وهذا تمامًا ما رسمه الغرب الكافر لهم وطبَّقه الحاكم العميل عليهم واستجابوا هم له، ولم يحيدوا عنه قيد أنملة إلا من رحم ربي، وكان هذا التوجُّه استجابة لدعوة الغرب في فصل الدين الإسلامي عن الحياة، أسوة بالدين النصراني واليهودي، أي بعد أن نزعوا عنه صفة المبدئية والشمولية، وأقصوا عنه الحاكمية،

وأوقفوا الجهاد وكل أحكام الشريعة المتعلقة بتنظيم شؤون الحياة كلها من اقتصاد واجتماع ونظم حكم... وفي مقابل ذلك، لم يهاجم العلماء الديمقراطية الغربية الكافرة ولا الحريات العامة الغربية المتهتكة، ولم يُفتوا بما يخرج الأمة من حالة الضنك، ولم يتطرَّقوا إلى وجوب العمل لإقامة الحكم بما أنزل الله، ولم يبيِّنوا للأمة كيف تكون عملية التغيير، ولم يتقدموا الصفوف للمطالبة بتحكيم الشريعة وتوحيد الأمة. ويا ليت الأمر اقتصر على هذا التقصير، بل تعدَّاه إلى أن يُفتي بعضهم في الأمور التي تتعلق بوضع الأمة بشكل يخالف الشرع، ووقف البعض منهم إلى جانب الحكَّام الذين يأتمرون بأوامر الغرب فيما يمليه عليهم من توجُّه فصل الدين على الحياة؛ فكانوا بذلك يسيرون على منهج الغرب في فهم دينهم، ويتخرجون من المعاهد الشرعية التي وضع هو منهج التعليم فيها؛ من هنا كان إصلاح العلماء يأتي في مقدمة الاهتمام بأمر المسلمين، فهم والأمراء إن صلحوا صلح الجسد كله، إن فسدوا فسد الجسد كله.

أما العلماء والناس، فقد ذكرنا من قبل أن العلماء اهتموا بأمور الدين المتعلقة بالأفراد؛ ولكنهم ضربوا صفحًا عن الأحكام المتعلقة بالأمة أو بجماعة المسلمين أو بالحاكم، فما تسأل عالمًا في مسألة فردية إلا وأجاب وردَّ وسدَّ الخلل وأزال العلل؛ وعليه فإن الأمة لا تعاني من العلماء في هذا الجانب؛ ولكنها تعاني من سكوتهم عن تناول الإسلام كدين شامل، فإن ذلك انعكس على عامة المسلمين؛ إذ ساروا على سيرهم في الاقتصار على المسائل الفردية وإهمالهم للدعوة إلى تحكيم الشريعة والاستخلاف في الأرض.

أما جانب الحكام والحكم بما أنزل الله، فهناك غياب شبه كامل للعلماء في هذا الجانب؛ فمن حيث الواقع اليوم، فإن حكم الله مغيب (منذ مئة سنة) عن الحياة، والواجب شرعًا على المسلمين جميعًا، علماء وغير علماء؛ لأن الفرض يتعلَّق بهم جميعًا، أن يعملوا لإقامة الخلافة من غير تأخير، ولا يجوز لهم شرعًا بالأصل أن يبيتوا أكثر من ثلاثة أيام من دون خلافة. فكيف بهم بعد مئة عام؟! فما عمل العلماء تجاه هذا الفرض العظيم. فإذا كان هذا الفرض على عامة المسلمين واجبًا، فهو على العلماء أوجب؛ إذ عليهم أن يستنبطوا الأحكام الشرعية المتعلقة بالتغيير، وعليهم دعوة الناس إليها، وعليهم أن يكونوا في صدارة الدعوة لإقامة الخلافة.

إن العلماء يجب أن تظلَّ عيونهم مفتوحة على الحكام: يراقبونهم ويذكِّرونهم ويرشدونهم ويقفون إلى جانبهم إذا كانوا على الحق فيدعمونهم ويقربونهم من الناس ويقربون الناس إليهم... ويحاسبونهم أشد أنواع المحاسبة عند انحرافهم عن شرع الله، أو عند تقصيرهم في رعاية الأمة أو الرعية حسب أحكام الإسلام، ويعملون على تغييرهم إن هم رفضوا. ومتى

كان العلماء على هذا المستوى الراقي من الدعوة كان الناس إلى جانبهم. وفي مثل هذه الحالات؛ فإن العلماء يمكنهم أن يشكلوا مع الأمة قوة رادعة للحكام من أن يتجاوزوا أحكام الشرع، وتجعلهم يهابونهم وينصاعون لأقوالهم ونصائحهم خوفًا من غضب الناس عليهم؛ لأن العلماء المخلصين هم أقرب للناس من الحكام، وهم معهم في الخندق نفسه عندما يقفون في وجه الحكَّام الظلَّام، وهذا ما رأيناه في العلماء الذين شكَّلوا رأس حربة على الكفار المستعمرين الفرنسيين، وكما فعل علماء الأزهر عندما جاء نابليون إلى مصر، وتقدموا لقيادة الثورات زمن الإنجليز والفرنسيين عندما احتلوا مصر، وكيف بدأ الجهاد بفتوى من الأزهر...

وهذا ما يجعل العلماء يشكِّلون قوة ضغط على الحكام يأطرونهم فيه على الحق أطرًا، ويقصرونهم عليه قصرًا، وهذا ما فطن له الحكام فقاموا بخطوات يستبقون بها حدوث مثل هذه المواقف، فاستمالوا فريقًا من العلماء وأظهروهم وجعلوهم قادة رأي يرجع الناس إليهم، وألزموهم بميثاق غير الميثاق الذي أخذه الله منهم: أخذ منهم أن لا يقولوا إلا بما يقوله الحكام، وأن يؤوِّلوا النصوص لتكون موافقة لما ذهب إليه هؤلاء الحكام من مواقف غير شرعية حتى ولو خالفوا فيها القطعي من الأحكام، وأن يخدِّروا المسلمين بمفهوم طاعة ولي الأمر ولو أظهر المعصية البواح، وأن يفوِّتوا عليهم أي مواقف خطرة قد يتخذها المسلمون ضدهم؛ وبذلك راحوا يستخدمونهم لمآربهم ومصالحهم ومصالح أسيادهم الكفار من الأمريكيين والأوروبيين. ومن هذا القبيل نرى بأن مواقف هؤلاء العلماء الرسميين، علماء السلاطين تتطابق تمامًا مع الحكام الذين وظفوهم في مناصبهم الإفتائية، ومن أمثلة ذلك نرى أنهم قد أفتوا بحرمة الصلح مع يهود عندما كانت مواقف الحكام العلنية تظهر نفاقًا، خوفًا من شعوبها، أنهم ضد التطبيع معهم، ثم تغيَّر إفتاؤهم بجوازه تبعًا لمواقف حكامهم، من غير أن يهتزَّ لهم وتر خشية من الله، أو يرفَّ لهم جفن حياء من الأمة. ومثل ذلك من اعتبر الاستعانة بالكافر إثمه عظيم، ثم هو يتخطَّى كلامه هذا بإصدار فتوى أنه يجوز الاستعانة بأمريكا في حربها على المسلمين في العراق وعلى المسلمين في كل مكان، وتحت الشعار الأمريكي المضلِّل (الحرب على الإرهاب) وهو يريد الحرب على الإسلام السياسي. ونراهم مثلًا في سوريا مع بشار في حربه على شعبه تحت حجة محاربة الإرهاب، وفي أوزبكستان مع حاكمها في قتل واعتقال المسلمين هناك... وهكذا نرى أمثال هؤلاء العلماء شركاء للحكام في إثمهم وبغيهم، أخرج ابن عدي، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في جهنم واديًا تستعيذ**

منه كل يوم سبعين مرة، أعدَّه الله للقرَّاء المرائين في أعمالهم، وإن أبغض الخلق إلى الله عالِـم السلطان». وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده، والحاكم في تاريخه، وأبو نعيم، والعقيلي، والديلمي، والرافعي في تاريخه، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوا السلطان فقد خانوا الرسل؛ فاحذروهم واعتزلوهم».** وأخرج الحاكم في تاريخه، والديلمي، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعًا، إلا كان شريكَه في كل لون يعذب به في نار جهنم».**

بيد أن هؤلاء العلماء، علماء السلاطين، ليس لهم من تأثير على الناس، بل هم عرضة لانتقادهم والاستهزاء بهم من غير أن يغضَّ ذلك من قيمة الدين في نفوسهم؛ لأن المسلمين يعلمون أن العالِم في الإسلام ليس رجل دين يحلِّل ويحرِّم، فالتحليل والتحريم لله وحده، وكثيرًا ما يتمثل بهم المسلمون بقول الله سبحانه وتعالى بأن مثلهم كمثل من ذكره الله سبحانه بقوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦] أو يتمثلون بهم بقوله عزَّ وجلَّ عن علماء بني إسرائيل الذين وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥﴾ [الجمعة: ٥]

إن الأمة الإسلامية جمعاء تفتقد علماءها، وتريد منهم أن يقفوا معها في قضاياها المصيرية الكثيرة التي لا حلَّ لها الَّا بتحكيم الشريعة الإسلامية، وأن يكونوا معها في المطالبة بتطبيق الإسلام وشريعته، وأن يأمروا الحكَّام بالمعروف وينهوهم عن المنكر، أن يعملوا مع الأمة على تغيير الأنظمة الطاغوتية الحاكمة، وأن ينخرطوا مع العاملين لإقامة الدين بإقامة الخلافة بالعمل الجماعي الحزبي... فكل ذلك فرض عليهم القيام به.

لا شكَّ أن العلماء عندما يقفون مثل هذه المواقف سيتعرضون لغضب الحاكم وملاحقته لهم وسجنهم وتعذيبهم والحدِّ من تأثيرهم... وهذا طبيعي، ولا بد أن تمر بمثله الدعوات وأهلها، قال رسول الله ﷺ: «**لا يمنعنَّ رجلًا هيبةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا رآه أو شهِدَه فإنه لا يقرِّبُ من أجلٍ ولا يباعِدُ من رزقٍ أو يقولَ بحقٍّ أو يُذكِّرَ بعظيمٍ».** ■

المحور الرابع:

محاربة الغرب
لمشروع حزب التحرير في إقامة الخلافة

- الشرق الأوسط الحديث... بين مشروع التقسيم ومشروع الخلافة على منهاج النبوةعلى منهاج النبوة
- أمريكا والحروب السياسية الحديثة
- (الإسلاموية) هي نموذج الغرب لإبعاد المسلمين عن إقامة الخلافة والحكم بما أنزل الله
- التطبيع مع كيان يهود والحكم الشرعي فيه
- تحويل الصراع مع يهود إلى صراع طائفي مع إيران وخطورته
- دور وسائل الإعلام في خدمة الاستعمار ومحاربة مشروع تحرر الأمة ونهضتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الشرق الأوسط الحديث... بين مشروع التقسيم ومشروع الخلافة على منهاج النبوة

نصـــر فيـاض - أبـــو ابـــراهيم
قلقيلية - الأرض المباركة فلسطين

هدمت الخلافة منذ مئة عام، ورافق هدمها تقسيم تركة الدولة العثمانية بما عرف باتفاقية سايكس بيكو، وكان الهدف من هذا التقسيم الحيلولةَ دون عودة الخلافة من جديد، ومنعَ وحدة المسلمين في دولة واحدة، والتمكُّنَ من نهب خيرات المسلمين وإبقاءَهم تحت الاستعمار؛ ولكن الغرب الكافر وجد أن المسلمين أحيَوا فكرة الخلافة من جديد، واتَّسعت رقعة المطالبة بها لتشمل الكثير من بلاد المسلمين، ووجد أن المسلمين ازداد وعيهم على أحكام الإسلام وأفكاره، وعرفوا أن عدوَّهم الحقيقي هو الكافر المستعمِر، وأصبح الانعتاق منه وإجلاؤه عن بلاد المسلمين وعودة الخلافة من أسوأ هواجسه وما يتوقع حدوثه؛ فبدأ بالتفكير بوسائل جديدة تمنع قيام دولة الخلافة وتجعل وحدة المسلمين أمرًا غير ممكن، فتفتَّق عن أذهان بعض الماكرين الخبيثين من الكفار فكرة تقسيم المقسَّم وتجزئة المجزَّأ وإضعاف الدول وتحويلها إلى نماذج لا يمكن معها أن تصبح دولًا قوية، بالإضافة إلى إذكاء الحروب والصراعات الداخلية في الدولة الواحدة، وبين الدولة وغيرها من الدول، بإثارة النعرات الطائفية والمذهبية والقومية والعرقية؛ فأريقت الدماء لإعادة رسم خارطة المنطقة من جديد، وأُغرقت البلاد ببحار من الدماء، وما زالت شعوبها تنزف لتحقيق هذه الأهداف الخبيثة.

ومن أجل تحقيق ذلك، وُضعت خطط تم نشر بعضها، وكُتبت عدة مقالات عنها في الصحف ومراكز الأبحاث، وسنتعرض لها بشكل موجز، وسنتناول خطتين مما نشر بشيء من التفصيل، وهما خطة «برنارد لويس» مستشار وزير الدفاع الأمريكي في عهد «بوش الابن» وخطة رالف بيترز (نائب رئيس الأركان للاستخبارات العسكرية الأمريكي السابق) لخطورتهما، ولأن الوقائع على الأرض من قتل وإثارة النعرات الطائفية والقومية والمذهبية والعرقية تكشف عن بعض ما جاء فيهما، وخاصة التوصيات والإجراءات العملية لتطبيق هاتين الخطتين.

خطة عوديد ينون ١٩٨٢م: (لبننة العالم الإسلامي):

تُعدُّ هذه الخطة من أوائل ما نشر في هذا السياق، وهي خطة بلورها عوديد ينون مستشار رئيس الوزراء (الإسرائيلي) آرييل شارون بعنوان: «استراتيجية إسرائيل» وتهدف الخطة إلى لبننة (مشتقة من لبنان) العالم الإسلامي كله بإعادة تقسيمه على أساس طائفي، وذكر أن من فوائد ذلك إرساء شرعية الكيان اليهودي، وبما أن كل طائفة ستكون لها دولة؛ فوجود «دولة يهودية» يصبح مبرَّرًا من الناحية «الأخلاقية». وهذه الخطة تتناغم مع التوجُّه الأمريكي في ذلك الوقت، والذي عبَّر

عنه في عام ١٩٨٠م مستشار الأمن القومي الأمريكي للرئيس كارتر «بريجنسكي» عندما كانت الحرب العراقية الإيرانية مستعرة بقوله: «إن المعضِلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة من الآن (١٩٨٠م) هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الحرب الخليجية الأولى التي حدثت بين العراق وإيران تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود (سايكس- بيكو)».

برنارد لويس وخطته وخرائطه الشهيرة لتقسيم العالم الإسلامي:

نُشرت خطة برنارد لويس الخطيرة وخرائطه عام ١٩٩٢م، واكتسبت خطته أهميتها عندما تمَّت الموافقة عليها من قبل الكونجرس الأمريكي، وتمَّ اعتمادها وإدراجها في ملفات السياسة الأمريكية الاستراتيجية. وبعد ١٠ سنوات من نشرها، وُجدت رؤى برنارد لويس الاستعمارية ضالَّتها في إدارة «جورج بوش الابن» التي استعانت به كمستشار لها قبل غزو العراق، وليصبح مستشارًا لوزير الدفاع لشؤون الشرق الأوسط في هذه الإدارة. ولخطورة هذه الخطة، ولكونها من أوائل الخطط (سايكس بيكو الجديدة) التي خرجت برؤية شاملة ومدعَّمة بخرائط تفصيلية، وتمَّ اعتمادها في الاستراتيجية الأمريكية؛ فإننا سنسلِّط الضوء عليها وعلى مهندسها «برنارد لويس»:

«برنارد لويس» هو مستشرق بريطاني الأصل، يهودي الديانة، أمريكي الجنسية. ولنتعرف عليه أكثر، فقد نشرت صحيفة «وول ستريت جورنال» مقالًا قالت فيه: إن برنارد لويس (٩٠عامًا) هو مؤرخ بارز للشرق الأوسط، وقد وفَّر الكثير من الذخيرة الأيديولوجية لإدارة بوش في قضايا الشرق الأوسط والحرب على الإرهاب؛ حتى إنه يعتبر بحق منظِّرًا لسياسة التدخُّل والهيمنة الأمريكية في المنطقة.

وفي مقابلة صحفية أجريت مع «برنار لويس» في ٢٠٠٥/٥/٢٠م، قال فيها: «إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون، لا يمكن تحضُّرهم، وإذا تركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضِّر بموجات بشرية إرهابية تدمِّر الحضارات، وتقوِّض المجتمعات؛ ولذلك فإن الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة؛ لتجنُّب الأخطار والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان. إنه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثُّر بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم. ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك: إما أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمِّروا حضارتنا، ولا مانع عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية. وخلال هذا الاستعمار الجديد، لا مانع أن تقدِم أمريكا على الضغط على قيادتهم الإسلامية – دون مجاملة

ولا لين ولا هوادة - ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الفاسدة؛ ولذلك يجب تضييق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها واستثمار التناقضات العرقية والعصبيات القبلية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمِّر الحضارة فيها».

تفاصيل المشرع لتفتيت العالم الإسلامي «لبرنارد لويس»:

يقوم مشروع برنارد لويس على تقسيم المنطقة طبقًا لخطوط عرقية وطائفية ولغوية، فحسب مشروعه تقسَّم مصر إلى أربع دويلات، والسودان أيضًا إلى أربع، وتضاف إلى دول شمال أفريقيا بعد تفكيكها دولة البربر ودولة البوليساريو.

وتُقسَّم الجزيرة العربية بعد إلغاء دولها القائمة إلى ثلاث دول: الأحساء (الشيعية)، ودويلة نجد ودويلة الحجاز (السنِّيتين). وأما العراق فيُقسَّم إلى ثلاثة دول، وسوريا إلى أربع دويلات، ولبنان إلى ثمانية كنتونات، وإيران وأفغانستان والباكستان فتقسَّم إلى عشرة كيانات ضعيفة، أما الأردن فيكون وطنًا بديلًا للفلسطينيين.

واللافت في خطة برنارد أنها لا تكتفي بخرائط صمَّاء تستغل الصراعات الطائفية والعرقية؛ لكنَّها اشتملت أيضًا على إشعال تسع حروب في المنطقة، والعاشرة حرب البلقان في أوروبا، والتي توقَّع أن تمتدَّ لشرق البحر المتوسط... تلك الحروب ستسرِّع عجلة تقسيم المنطقة، وبعد التقسيم تنشب حرب أخرى كبرى عربية - إيرانية بمجرد هيمنة إيران على الدويلة العراقية (الشيعية).

خرائط رالف بيترز(Blood Borders) «الشرق الأوسط الكبير» ٢٠٠٦م:

بدأ تداول مصطلح «الشرق الأوسط الكبير» في الميدان السياسي لأول مرة في تل أبيب، على لسان كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة في حزيران عام ٢٠٠٦م. التعبير الجديد هذا، والذي استخدمته الإدارة الأمريكية يهدف إلى إحداث عملية تغيير شاملة لمنطقة «الشرق الأوسط»، ويمكن تشبيهها بالعملية الجراحية الصعبة (الفوضى الخلَّاقة)، وأيضًا رسم خارطة «الشرق الأوسط» من جديد لتحقيق الأهداف الأمريكية؛ فيتحقَّق لها الاستقرار والسيطرة على منطقة الشرق الأوسط وخيراته، وفي مقدمتها النفط. وفي شهر حزيران من العام ذاته، كتب الخبير العسكري الاستراتيجي الأمريكي، ونائب رئيس الأركان للاستخبارات العسكرية الأمريكي السابق «رالف بيترز» مقالة بعنوان: «حدود الدم: كيف سيبدو «الشرق الأوسط» بحالته الأفضل؟» نشرت في العدد السادس من المجلة العسكرية الأمريكية (Armed Forces Journal) تضمَّنت خريطة جديدة للمنطقة مُفصَّلة على أساس عرقي ومذهبي. على ضوء هذه القاعدة تفترض خريطة «الشرق الأوسط الجديد» في خطوطها العريضة:

- تجاوز التقاليد السياسية والمحرَّمات السابقة عبر إقامة دولة كردية تُقتطع لها

مناطق من شمال العراق، وجنوب شرق تركيا، وأجزاء من سورية وإيران.

- تقسيم ما تبقَّى من العراق إلى دولتين (شيعية) و(سنّية)، ويضاف إلى الدولة (الشيعية) مناطق من غرب إيران ومن شرق السعودية، والتي بدورها تُقتطَع منها المناطق الغربية المحاذية للبحر الأحمر، والتي تضمُّ الأماكن المقدسة في مكة والمدينة في دولة مستقلة تكون شبيهة بالفاتيكان.

- بالإضافة إلى ذلك، يتمُّ ضمُّ جزء من مناطق السعودية الشمالية الغربية إلى الأردن. كل ذلك تتمُّ الدعاية له وتسويقه عبر محاولة دفع (إسرائيل) إلى العودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧م مع إدخال تعديلات حدودية تنسجم مع مخاوفها الأمنية بحسب مشروع رالف بيترز.

... وعلى الرغم من الادِّعاء بأن خريطة «بيترز» «للشرق الأوسط الجديد» لا تعكس وجهة نظر وزارة الدفاع الأمريكية، إلا أنها درِّست في منهج التخطيط الاستراتيجي في كلية ضباط الناتو العليا في روما، بالطبع بعد أن أجازتها الأكاديمية العسكرية الأمريكية التي يعمل بها «رالف بيترز»، بعد تقاعده من عمله في مكتب نائب رئيس هيئة الأركان لشؤون الاستخبارات في وزارة الدفاع. وقد أثار عرض خريطة «بيترز» في كلية الناتو العسكرية حفيظة تركيا التي اندهش ضباطها أثناء دراستهم فيها من رؤية بلادهم وقد تغيَّرت حدودها الحالية، ما دفع رئيس أركان الجيش التركي السابق «يشار بيو كانت" إلى الاتصال بنظيره الأمريكي معربًا له عن احتجاجه على عرض هذه الخريطة «المشوَّهة» «للشرق الأوسط»(RT Arabic)

بالمقابل، لم تتوقَّف الخطوات الأمريكية لتسويق مشروع تقسيم «الشرق الأوسط» عند هذا الحد؛ إذ إن مجلس الشيوخ الأمريكي بادر في أيلول/٢٠٠٧م إلى إصدار قرار غير ملزم دفع به، وعمل على إنجاحه «جو بايدن» عندما كان نائبًا للرئيس أوباما، يطالب الإدارة الأمريكية بتقسيم العراق إلى ثلاث مناطق اتحادية (شيعية) و(سنّية) و(كردية). ويؤكد بيترز أن الحرب وحمَّامات الدم في خضم إعادة تقسيم «الشرق الأوسط» لا يمكن تفاديها؛ لأن العدالة تتطلب ذلك.

وبحسب رالف بيترز، فهو يبيِّن أن التقسيمات ليست على أساس خرائط معدَّة مسبقًا، بل أُعدَّت على أساس وقائع ديموغرافية (الدين، القومية، والمذهبية) ولأن إعادة تصحيح الحدود الدولية يتطلَّب توافقًا لإرادات الشعوب التي قد تكون مستحيلة في الوقت الراهن. ولضيق الوقت لا بد من سفك الدماء للوصول إلى هذه الغاية التي يجب أن تستغل من قبل الإدارة الأمريكية وحلفائها. ويفترض أن (إسرائيل) لا يمكنها العيش مع جيرانها؛ ولهذا جاء الفصل عن جيرانها العرب؛ ولذا فإن الطوائف المتباينة التي لا يمكن التعايش فيما بينها من الممكن تجمُّعها بكيان سياسي واحد.

خريطة أتلانتيك ٢٠٠٨م:

في العام التالي لنشر (حدود الدم)، بدأ «جيفري جولدبرج» (إسرائيلي أمريكي، وأحد أبرز شخصيات اللوبي الصهيوني في أمريكا، وهو من المنتمين لنفس جناح «رالف بيترز» داخل أروقة السياسة الأمريكية...) في كتابة سلسلة مقالات ترسم خريطة جديدة «للشرق الأوسط»، على صفحات مجلة (أتلانتيك) الشهيرة، حدث هذا بالتزامن مع إقرار مجلس الشيوخ الأمريكي خطة لتقسيم العراق، مما يجزم بأنها حملة منظَّمة (... وامتدت الخريطة هذه المرة لعمق أفريقيا بتقسيم الصومال، وحسب « جولدبرج» إعطاء الشيعة في لبنان دولة (شيعية) مستقلة، واصطناع دولة درزية في شمال الأردن وجنوب سوريا. ولأول مرة دولة السودان الجديدة في جنوب السودان، والتي تأسَّست بعد أربع سنوات، وسيناء دولة مستقلة)

خريطة (صحيفة «نيويورك تايمز) ٢٠١٣م:

(نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية خريطة جديدة تظهر تقسيم خمس دول في الشرق الأوسط إلى ١٤ دولة. وهذه الدول هي: سوريا إلى ثلاثة، والسعودية إلى خمسة، وليبيا إلى دولتين: طرابلس وطبرق، وقد تصبح ثلاثة بانضمام دولة فزان في الجنوب الغربي، واليمن إلى دولتين).

خرائط الدولة – المدينة :

تمَّ عرض أطروحات أخرى لتقسيم المنطقة عبر مراكز الدراسات الاستراتيجية ومنابر الصحافة العالمية. ففي مقال للنيويورك تايمز، فإنه خلال الفترة من (٢٠١٤ - ٢٠١٦)م، تم طرح فكرة (الدولة – المدينة) باستقلال مدن في «الشرق الأوسط» خلال العقود المقبلة منها: «القدس، الحجاز، دبي، بغداد، مصراته، جبل الدروز»، كلها مدن مرشحة للاستقلال بذاتها كدويلات ذات طابع خاص.

مناقشة الخطط المختلفة والخرائط المقترحة

إن المتابع لأحوال المنطقة والناظر للخرائط المقدمة يجد أنها تشترك في أمور وتختلف في أمور أخرى؛ ولكن الوقائع على الأرض تبيِّن ما نُفِّذ منها وما يجري تنفيذه، وإن بحور الدم التي أريقت في المنطقة ضمن مخطط حدود الدم وغيره من المخططات التي تُعيد تفتيت العالم الإسلامي إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والقبلية والمذهبية والطائفية، تكشف حقيقة الاستراتيجية الأمريكية والغربية في منطقة الشرق الأوسط، وأن هذه الخطط أنتجت صراعات وحروبًا وحالات استقطاب طائفية ومذهبية وعرقية وقبلية، كمقدمة للتقسيم أو تحويل الدول إلى دول ضعيفة لتبقى تحت الوصاية الاستعمارية. وأيضًا فإن الناظر إلى جميع الخرائط المنشورة يجد أنها متَّفقة على تفتيت دول المنطقة مع اختلاف في الرؤى والتفاصيل؛ ولكن معظم هذه الخطط حين تذكر كيان يهود تتَّفق على المحافظة عليه، وتحقيق أمنه واستقراره.

إنهاك الدول وإضعافها مقدمة لتقسيمها

من أجل تنفيذ الخطط الجديدة للتقسيم ورسم الخرائط على الأرض، أُشعلت حروب

وأثيرت النعرات الطائفية والمذهبية والعرقية الـمَقيتة في كل المنطقة، وجرى إضعاف الدول وإنهاكها؛ وذلك كمقدمة للتقسيم أو إبقائها تحت الوصاية الاستعمارية؛ ولتسهيل هذه المهمة اعتُمد على أسلوب التقسيم بحكم الواقع (defacto partition) وإيجاد نماذج تقود إلى التقسيم الفعلي في هذه الدول.

النموذج الأول:

الدولة الفاشلة (failed states) أو الدولة الهشَّة (fragile states)

هذان المصطلحان يهدِّدان دولًا مثل سوريا واليمن وليبيا والعراق، ويحدث هذا النوع من التقسيم عندما تطول فترة الانفصال، ويتحوَّل المؤقت إلى دائم؛ فينتج عنه التقسيم الجغرافي الناتج عن الحروب الناتجة عن إذكاء النعرات الطائفية والعرقية والمذهبية؛ ما يؤدي إلى تشكل هويات واقتصادات جديدة تصبح فيما بعد عائقًا أمام الوحدة، فتصبح الدولة مقسَّمة بنيويًا على أرض الواقع؛ ولكنها تبقى دولة بالشكل فقط، فاقدة لمقومات الدولة بحكم هذا الانقسام.

النموذج الثاني: الدولة الفيدرالية

وهو نموذج قائم على أنقاض الدولة المركزية، ونموذج العراق أكبر شاهد عليه كيف يعمل على تقسيمه إلى ثلاث دول، وهذا النموذج يمكن تعميمه على مناطق أخرى في بلاد المسلمين مثل السودان وغيرها من الدول.

النموذج الثالث: أشباه الدول .

وهي أن تفقد الدولة مقوماتها الأساسية؛ فتفقد القدرة على العيش والبقاء؛ فتصبح معتمدة على غيرها فاقدة للإرادة والقرار، وهو ما يميِّز الدول ذات السيادة، وتعتمد على المساعدات الدولية التي تجعل إرادتها مرهونة، ويكون التدخُّل في شؤونها وإذكاء الصراعات داخلها سهل على هذه الدول المتحكِّمة (الاستعمارية) ومنظماتها الدولية.

يقول أستاذ العلوم السياسية روبرت جاكسون الذي درس نشوء الدول في العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية عن أشباه الدول: «وهي التي تفرض حكوماتها السيطرة على حدودها؛ ولكنها تفتقد للقدرة التشغيلية للدولة، وتعتمد على المساعدات التي تأتيها من المجموعة الدولية، مثل مصر في الوقت الحالي على سبيل المثال لا الحصر».

مواجهة مخطَّطات التقسيم

للخروج من الحالة التي ترزح تحتها الأمة اليوم، ولإنهاء حالة التشرذم والانقسام، ومن أجل توحيد الأمة (شعوبها وأعراقها ومذاهبها) والابتعاد عمَّا يفرقها، ولجمع الشعوب في بلاد المسلمين تحت ظلِّ سلطان الإسلام وحكمه، وكذلك لإزالة الحدود المصطَنعة التي رسمت بقلم الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، وحتى تنعتق الأمة من الاستعمار وتملك إرادتها وسلطانها نقول الآتي:

١- يجب على الأمة أن تعيَ ما يخطَّط لها، وأن تعيَ حجم المخطَّطات التي تحاكُ ضدها؛ فتفوِّتُ الفرصة على أعدائها الكفار المستعمرين.

٢- يجب أن تدرك الأمة أن الغرب ينفذ

أجنداته عبر وكلائه المحليين من حكام، وسياسيين، وأحزاب، وشخصيات مأجورة، فلا تنخدع بهم، بل تتصدَّى لهم.

٣- يجب نبذُ الأفكار الهدَّامة التي استخدمها الكفار المستعمرون في حربهم على الإسلام والمسلمين من القومية والوطنية والطائفية والمذهبية الـمَقيتة التي تعمي صاحبها عن الحق وتجعله سهمًا في كنانة أعدائه.

٤- يجب أن يرسخ في الأمة معنى الأخوة التي تفرضها العقيدة على معتنقيها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ فهي التي تجعل المسلمين على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم الإسلامية أمة واحدة من دون الناس وتجعلهم يدًا واحدة على من سواهم.

٥- يجب أن يرسخ مفهوم الذِّمة في الإسلام، ويبيَّن للطوائف المختلفة التي تعيش في بلاد المسلمين أنهم مصانو الدماء والأموال والأعراض، وأنهم والمسلمون جميعًا يحملون التابعية الإسلامية، فيُحكمون بالعدل والإنصاف، ويتمتعون بالأمن والأمان، وأن الغرب بمخطَّطاته هذه يستهدفهم كما يستهدف المسلمين، وهذه المخطَّطات تشكل خطرًا عليهم، ولا بد لهم من مجابهته.

٦- يجب أن يبيَّن للأمة أن عوامل وحدتها إذا رجعت لدينها أكثر من عوامل فرقتها. فالأمة دينها واحد، وعقيدتها واحدة، وإرثها الثقافي والتشريعي واحد، وتاريخها واحد، وعدوُّها واحد، وبلادها كان يجمعها دولة واحدة قرابة ثلاثة عشر قرنًا من الزمان؛ فتفرقها هو الأمر الغريب والمستهجن وليس وحدتها.

٧- يجب أن يبيَّن للأمة أن الإسلام نجح في سنوات قليلة من أن يصهر شعوبًا كثيرة متباينة القوميات والأديان واللغة والثقافة والقوانين والعادات والتقاليد؛ فجعلها أمة واحدة موحَّدة الدين واللغة والثقافة والقوانين، فكيف بأمة الإسلام اليوم وهي تملك الكثير من عوامل الوحدة كما بيَّنا آنفًا، فستكون وحدتها أسرع من رد الطرف، بعون الله.

الخاتمة

إن كثرة الخرائط والخطط التي يعكف على إعدادها الغرب، وعلى رأسه أمريكا، من أجل السيطرة على بلاد المسلمين واستعمارها، والحيلولة دون عودة الخلافة وتوحيد بلاد المسلمين في دولة واحدة... توجب على الثلة الواعية في الأمة كشف هذه الخطط الخبيثة، والتصدِّي لها ومجابهتها وحشد طاقات الأمة من أجل إحباطها.

ومن جهة أخرى يجب الإيمان بأن مكر الكفار مهما عظم فهو لا شيء أمام مكر الله جلَّ في علاه، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ والإيمان بأن العقبات والصعوبات وحدود الدم التي عمل الكافر على إيجادها لن تمنع الأمة والثلة الواعية فيها من تحقيق عودة الإسلام

للحياة عن طريق إقامة الخلافة، ومن توحيد بلاد المسلمين في دولة واحدة، ولن يفتَّ في عضُد الذين يدفعون عجلة التغيير من المضي قدمًا لتحقيق الغاية المنشودة، بالرغم من العراقيل والعقبات والصعوبات، وبالرغم من الدماء والأشلاء، متوكِّلين على الله سبحانه القوي العزيز، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾.

إن حالات تفرُّق الأمة وانقسامها وتشرذمها والصراعات والحروب، وحالات الاستقطاب... ستنتهي بإذن الله عزَّ وجلَّ عندما يأذن الله بنصره، فتحرِّك العقيدةُ الأمةَ من جديد فتصبح خلقًا جديدًا تقتلع الجبال، فتجتمع على الحكم بالإسلام، وإقامة الخلافة؛ فتوحد بلادها وشعوبها في دولة واحدة، وتستظلُّ براية واحدة: راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، تقاتل بها أعداء الله، فتحرِّر البلاد والعباد، وتفتح الفتوح من جديد، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾.

إن دولة الخلافة الراشدة الثانية ستجتمع الأمة، بإذن الله القوي العزيز، في كنفها من جديد، وستبذل الأمة، إذا ما منَّ الله عليها بها، الغالي والنفيس حفاظًا عليها لأنها تطبِّق الإسلام، وتحكم بين الرعية بالعدل والقسط؛ فينعم من استظلَّ تحت حكمها بالحياة الطيبة وبالعدل والأمن والإيمان.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت**» رواه أحمد

وفي الختام، يمكننا القول إن عملية التغيير أصبحت حالة مستمرة ومتصاعدة في الأمة، وتؤذن بأننا نعيش المرحلة الأخيرة للحكم الجبري وانهيار النظم السياسية العفنة، وإن الأمة لديها مشروع حضاري تسير لإيجاده بخطى ثابتة وعزيمة لا تلين؛ حتى ينفجر ينبوع الحياة من جديد، وحتى يبزغ الفجر بعد ليل بهيم، وكلنا رجاء من الله سبحانه أن لا يطول هذا المخاض، وأن يزول الألم بنصرٍ مؤزَّرٍ، **خلافة على منهاج النبوة**، وما ذلك على الله بعزيز. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

أمريكا والحروب السياسية الحديثة

بقلم نصر إبراهيم

يعدُّ أول استعمال لتعبير «الحروب السياسية الحديثة» هو في كتاب «الحروب السياسية الحديثة: الممارسات الحالية والاستجابات المحتملة» تأليف ليندا روبنسون الصادر عن (مؤسسة راند للأبحاث) عام ٢٠١٨م، والذي اشترك في تأليفه مجموعة من الباحثين. وحسب روبنسون فإن مفهوم الحروب السياسية الحديثة يعني «استخدام الدولة كافة الأصعدة الاقتصادية، والتكنولوجية، والعسكرية، والثقافية لمواجهة خصومها دون اللجوء إلى الحروب التقليدية».

إن مصطلح «الحرب السياسية» كان موجودًا منذ عقود، وينطلق من تعريف الدبلوماسي الأمريكي «جورج كينان» في عام ١٩٤٨م مع بداية الحرب الباردة، والذي عرّفها بأنها: «توظيف كافة الوسائل -خلال وقت السلم- لتحقيق الأهداف الوطنية للدولة، من خلال عمليات علنية وسرية، تتراوح بين إدارة التحالفات السياسية والدعاية السوداء، والحرب النفسية واتخاذ التدابير الاقتصادية، وصولًا إلى تشجيع عناصر المعارضة في الدول المعادية». وبناء عليه، فإن كل وسيلة وصفها «كينان»، والتي استُخدمت أثناء الحرب الباردة على نطاق تاريخي، لا يزال يمكن إدراجها تحت مسمى «الحرب السياسية الحديثة»، التي قدمتها «روبنسون».

ولكن روبنسون عملت على التفريق بين هذين المفهومين المتوازيين؛ وهما «الحرب السياسية» و«الحرب السياسية الحديثة» فبيَّنت أنه منذ نهاية الحرب الباردة، غيَّر التقدم التكنولوجي في المجال المعلوماتي والسيبراني شكل وفعالية كلا الحربين. وهنا تختلف «وسائل القوة» لدى الحرب الحديثة، بالمقارنة بنظيرتها القديمة نسبيًا. فلقد انتشرت التطورات التكنولوجية على نطاق واسع في العقدين الماضيين؛ ما أدى إلى رؤية طفرة تقدُّمية في مجالات الاتصالات، وزيادة اعتماد البنية التحتية الوطنية على البرامج الإلكترونية. وربما مع تكامل هذه التقنيات المتطورة لدى دولة يزيد من تعرضها لهجمات من قبل خصومها لعرقلة تقدمها؛ مما يخلق تهديدات جديدة تتمثل في الحرب السيبرانية والتهديدات التقليدية الأخرى، مثل الدعاية ونشر المعلومات المضلِّلة ونشر الإشاعات.

وعليه، يرى المؤلفون للكتاب أن الحروب السياسية ليست سوى مصطلح واحد من بين عدة مصطلحات تصف حالات الصراع التي لا تدخل حيز الحروب التقليدية، فالمحللون الصينيون استخدموا مصطلح «الحرب غير المقيدة» أما الروس فقد تداولوا مسمى «القوة الناعمة» و«حرب الجيل الجديد» أما الولايات المتحدة فقد أسَّست لعدة مصطلحات منها «نزاعات المنطقة الرمادية» و«الحرب الهجينة» و«الحرب غير المتماثلة» و«الحرب غير النظامية» وكان المصطلح الأخير هو الذي تم اعتماده في العقيدة العسكرية الأمريكية من قبل وزارة الدفاع .

وعطفًا على ما سبق، فإنه يرجع وصف الحروب السياسية بالحديثة إلى ما أتيح لها من مجالات جديدة للصراع، وما انفتح أمامها من جبهات لم تكن من قبل. ففي العقود الأخيرة، وخاصة منذ عام ٢٠١٤م، كما بيَّن الباحثون في ظلِّ ظهور «تنظيم داعش» كقوة فرضت نفسها على الساحة الدولية، بعد أن نجح في استخدام أدوات وتدابير الحروب غير العسكرية، فضلًا عن ضمِّ روسيا لشبه جزيرة القرم؛ وهما الحالتان اللتان يمكن اعتبارهما دليلًا على التأثير الذي تحدثه ظاهرة الحروب السياسية الحديثة، بالإضافة إلى التطور التكنولوجي، فظهر على سبيل المثال ما سُمِّي الإرهاب الإلكتروني (الحرب الإلكترونية) الذي أقلق دول العالم وفي مقدمتها أمريكا، وهنا يمكن الإشارة إلى الهجوم الواسع والذي وصف بالأكبر والأخطر في تاريخ الولايات المتحدة، والذي طال معظم مؤسساتها السيادية والحساسة، حتى بلغ حسب قناة الجزيرة ١٨ ألف جهة، حتى باتت مواجهة هذا الهجوم في مقدمة أولوليات سياسة الرئيس القادم جو بايدن كما صرَّح بذلك عقب اكتشاف الهجوم .

وإذا أضيف إلى ذلك كله ارتفاع التكلفة للحروب التقليدية والخسائر الفادحة لهذه الحروب، ومنها الفشل في تحقيق أهدافها، واستعصاء الأمة الإسلامية باعتبارها التي استُهدفت في هذه الحروب. فقد «انتقد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الإدارات السابقة، بسبب انخراطها في النزاعات الخارجية، مؤكدًا أن الولايات المتحدة أنفقت حوالى ٧ تريليونات دولار خلال عشر سنوات فقط على عملياتها في الشرق الأوسط، فيما أهملت الداخل الأمريكي» وذلك حسب ما نقلت قناة «فوكس نيوز» الإخبارية الأمريكية؛ ما يظهر سبب الاهتمام الكبير بهذا النوع من الحروب.

خصائص الحروب السياسية الحديثة

١- ليس لهذه الحروب ساحة معركة محددة، بل مجتمع العدو كله ساحة لها، بكل مصالحه الاستراتيجية وبناه التحتية، ومن ذلك الأهداف «الاقتصادية والاجتماعية والخدماتية، وستقلُّ فيها الوسائل العسكرية»

٢- تعتمد هذه الحروب على انهيار العدو من الداخل، ومن ضمن ما تهدف إليه هو سلب إرادة الدولة واستعمارها، وليس القضاء عليها أو إلغاءها.

٣- تستهدف هذه الحروب أفكار شعب العدو وثقافته، وتأييده لدولته ومواقفها لجعله هو يعرقلها ويفشل سياستها.

٤- تعتمد هذه الحروب على مدنيين أكثر من اعتمادها على عسكريين، وعلى مجموعات قليلة العدد؛ وعليه يصعب تحديد هوية الطرف القائم بشن الحروب.

٥- وسائل هذه الحروب القوة الناعمة بجانب القوة العسكرية «القوة الذكية» لذلك فالدولة تستخدم كافة عناصر قوتها، وتعتبر الأفكار والتكنولوجيا الحديثة والذكاء الصناعي وحرب المعلومات بجانب الاستخبارات من أهم ما تعتمد عليه هذه الحروب.

٦- غالبًا ما تفضل الدول الكبرى استخدام «النفوذ الاقتصادي» باعتباره أحد أهم أسلحتها

في الحروب السياسية.

٧- تستند هذه الحروب عند الدول الكبرى على المصالح المشتركة بدلًا من الأهداف الأيدولوجية أو الوطنية كاستخدام روسيا وتركيا كوكلاء لتنفيذ السياسات الأمريكية.

٨- وأيضًا تستغلُّ الدول الطائفية والإثنية والمذهبية لإحداث الانشقاقات داخل دولة الخصم للسيطرة والاستتباع.

٩- يمكن للفاعلين السياسيين من غير الدول من التنظيمات والأحزاب أن يصلوا إلى مستويات غير مسبوقة في ممارسة الحروب السياسية، وأن يحقِّقوا نتائج مهمة ومؤثرة، وقد ظهر ذلك جليًا في أكثر من بلد من بلاد المسلمين.

١٠- تحتاج الحروب السياسية إلى فترة زمنية أطول من الحروب التقليدية، وهي تلحق بالخصم آثارًا تدميرية أعمق وبتكلفة أقل.

فالحروب السياسية أدت إلى زيادة التدخل في شؤون الدول والمجتمعات للتأثير فيها وإنهاكها بغير قتال، واستعملت في ذلك تعابير مثل: «أساليب التفجير من الداخل على الساحة الدولية» ومثل «إذا فعلتَ هذا بطريقة جيدة ولمدة كافية وببطء مدروس يستيقظ عدوك ميتًا» و«التآكل البطيء للدولة وبأيدي أبنائها أنفسهم بدون تكلفة أو مجهود وأسلحة ومعدات» و«إن أعظم درجات المهارة هي تحطيم العدو دون قتال» وهذه فكرة أحد القادة العسكريين الصينيين.

تأثير الأفكار في الحروب السياسية الحديثة

جاء في مقال عنوانه «الجيل الخامس من الحروب (التفكيك الساخن)»: «الأجيال الجديدة من الحروب... هي حرب يتم فيها احتلال عقلك لا احتلال أرضك... وبعد أن يتم احتلالك ستتكفل أنت بالباقي... ستجد نفسك في ميدان معركة لا تعرف فيها خصمك الحقيقي... إنها حرب ستطلق فيها النار في كل اتجاه... لكن يصعب عليك أن تصيب عدوك الحقيقي... هي حربٌ من يخوضها يكون قد اتخذ قرارًا بقتل كل شيء يحبه... إنها حرب تستخدمك أنت في قتل ذاتك وروحك... وفي النهاية ستجد نفسك كنت تحارب بالوكالة لصالح رجل جالس في مكان آخر».

الحروب السياسية الأمريكية

لقد استخدمت أمريكا الحروب السياسية قديمًا، ولقد ازدادت الأبحاث في الحروب السياسية بعد الحرب العالمية الثانية إبَّان الحرب الباردة وبعدها، واستخدمت هذا النوع من الحروب بشكل كبير، وأصبحت تتفاخر به وتعده أهم أسباب انتصارها على الاتحاد السوفياتي ومعسكره. وتتخذ أمريكا خططها ووسائلها التي استخدمتها في الحرب الباردة مصدر إلهام وإرشاد لتطويرها وتطبيقها على صراعاتها الأخرى كحروبها السياسية مع روسيا وكوريا الشمالية والصين، وفي حربها على الإسلام، والذي جعلت له عدة أسماء: «حرب الأفكار» «مكافحة الإرهاب والتطرف» «التحول الديمقراطي».

فقد استخدمت أمريكا مجموعة واسعة من التدابير السياسية والثقافية والإعلامية والاقتصادية، وذلك من خلال عدد من المؤسسات، مثل: وكالة الولايات المتحدة

للمعلومات USIA، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية USAID، ووزارة الخارجية، ووكالة الاستخبارات المركزية.

ومن بين التدابير التي استخدمتها الولايات المتحدة في محاربة الشيوعية،كانت الجهود الاجتماعية؛ حيث تم دعم عدد من المؤلِّفين والفنَّانين والمجلاَّت، بالإضافة إلى إذاعة «صوت أمريكا». وكذلك تدابير اقتصادية؛ شملت تقديم مساعدات طويلة الأجل للدول والأحزاب السياسية والنقابات والتنظيمات الأخرى. ناهيك عن التدابير السرية التي شملت عمليات اغتيال.

وبعد الحرب الباردة، تمَّ تفكيك العديد من المؤسسات الأمريكية، مثل وكالة المعلومات USIA، وتمَّ تخفيض التمويل المالي والبشري لكل من وزارة الخارجية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، ولكن في أواخر التسعينات، تمَّ بذل جهود لإعادة إحياء بعض هذه التدابير من حيث الإبقاء على الإذاعات والتلفزيونات الأمريكية في الخارج، وتطوير نموذج جديد للديموقراطية وبرامج اقتصادية عبر «الصندوق الوطني للديمقراطية NED» و«مؤسسة تحدي الألفية MCC».

محاولة تغيير أشكال الحروب

لقد صدرت عدة دراسات وتقارير لإخراج أمريكا من أزماتها وانخراطها في الحروب التي أنهكتها وأدت إلى تراجعها على الساحة الدولية، ومن أجل منافسة خصومها الدوليين. ففي مقال «مستقبل حروب الجيل الرابع» نُشر في ٢/مارس ٢٠١٥م، تم نشر مشاركة أعضاء مشروع «مستقبل الحرب» في معهد أمريكا الجديدة، والتي عبَّروا فيها عن رأيهم في أين يتجه الصراع في القرن الواحد والعشرين، وهذه طائفة من إجابات بعض المشاركين التي تُظهر التوجُّه العارم للابتعاد عن الحروب التقليدية:

- **بيتر بيرجن، نائب رئيس معهد أمريكا الجديدة:** «تمامًا مثلما فقدت الولايات المتحدة احتكارها للأسلحة النووية بعد فترة قصيرة من الحرب العالمية الثانية، فقد فقدت اليوم احتكارها لحرب الطائرات المسلحة بدون طيار والحرب الإلكترونية الفعَّالة. وهذان الشكلان من أشكال الحروب يحدثان على حد سواء خارج الأطر التقليدية المعتادة للحروب، كما لم يتمّ تغطيتهم بشكل حقيقي بموجب اتفاقيات جنيف. كما لم تتوقع هذه الاتفاقيات استخدام الحروب الإلكترونية من أجل إلحاق أضرار بالغة لأجهزة الأمن الوطنية لدولة لسنا في حالة حرب معها (مثل إيران وفيروس ستوكسنت) أو أضرار اقتصادية لصناعة أمريكية هامة في أوقات السلم (مثل شركة سوني وكوريا الشمالية)؛ لذا نحن بحاجة إلى سَنّ قوانين دولية من شأنها أن تخلق قواعدَ لتنظيم مثل هذه الأشكال الجديدة للحرب. وهذا بالطبع لن يُعيقَ ما تقوم به جماعات مثل تنظيم الدولة الإسلامية أو دول مثل كوريا الشمالية؛ ولكنّه سيجعل من الصعب على دولة مثل إيران أن تعطي طائرات بدون طيار إلى جماعات مثل حزب الله، أو دول مثل روسيا أن تنفذ هجمات إلكترونية خطيرة».

- **شان هاريس، كاتب مرموق في صحيفة**

ديلي بيس: «الولايات المتحدة الأمريكية مُجهَّزة جيدًا للتعرف على خصومنا في الفضاء الإلكتروني أكثر مما يعرف الناس. والاختراق الأخير الذي حدث لموقع سوني، والذي تم نسبته بسرعة وبشكل حاسم إلى كوريا الشمالية، يوضح أن وكالات الأمن القومي لدينا تعرف من يهاجموننا. والسؤال الأكثر أهمية وصعوبة هو: ماذا نفعل حيال ذلك الأمر؟».

-ديفيد كيلكولن المستشار الخاص السابق لوزير الخارجية، وكبير مستشاري الجنرال ديفيد بترايوس في العراق: «... نحن نواجه التهديدات الخاصة بالدول، وغير الدول في نفس الوقت، وفي كثير من الأماكن. وفيما يتعلق بالتفكير في مستقبل الحرب، لا يمكننا أن نتجاهل التهديدات المتعلِّقة بالدول، ولكننا الآن نتعامل مع التنِّين الذي تَّمت مشاهدته عن قرب، كما رأينا في العراق وأفغانستان، والذي تعلَّم طرقًا جديدة لتجنُّب قوتنا التقليدية. العجز الاستراتيجي والتمدُّد الوطني هو الخطر في هذا الأمر، وهناك حاجة ماسة إلى طرق جديدة للحرب، سواء أكانت طرقًا مفاهيميّة أم تكنولوجيّة».

- **مايكل ليند، ومحرر سابق بمجلة نيويوركر، وهاربرز، وناشيونال أنترست:** «التحديات الكبرى التي تواجه تحقيق أهداف النظام العالمي الأمريكي لن تنشأ من الفاعلين من غير الدول، ولكن من القوى العظمى المتنافسة سواء العالمية أو الإقليمية مما سيساعد على تقويض الصراعات المباشرة لصالح الحروب الباردة التي تشمل الحروب التجارية، والحروب الإعلامية، والأعمال التخريبية، وسباقات التسليح، والحروب بالوكالة... نحن بحاجة إلى جيش مُصمَّم من أجل مواجهة الحروب الباردة غير المباشرة، وليس إلى جيش نظامي مصمَّم من أجل خوض الحروب التقليدية غير المرجحة ضد الدول القوية».

- **دوج أوليفانت، شغل منصب مدير مجلس الأمن القومي:** «عجزت القوة العسكرية عن منح الشرعية الشعبية لنظام متغير (كما هو الحال في العراق وأفغانستان وليبيا) ولسوء الحظ، فإن تغيير النظام في كثير من الأحيان هو الهدف السياسي من الحرب. وتجاهل هذا الأمر هو خطر حقيقي؛ حيث يتمُّ استبدال نظام سيئ بحالة أسوأ من الفوضى والمعاناة وعدم الاستقرار؛ حيث يتم توجيه الجيش بواسطة القيادة السياسية ليفعل شيئًا خارج قدراته».

- **توم ريكس، كبير مستشاري معهد أمريكا الجديدة، والحائز على جائزة بوليتزر:** أعتقد أن النقطة الأكثر تعرضًا للإهمال في هذا الصدد هي: الفرق الكبير بين امتلاك القوة، ومعرفة كيف، وأين، ومتى، ولماذا نستخدمها».

- **بيتر سينجر، مستشار للجيش الأمريكي ووكالة استخبارات الدفاع:** «الأمور التي كانت غير طبيعية في الماضي سرعان ما تصبح طبيعية الآن؛ حيث أصبح كل من الأطراف الفاعلين من غير الدول والتكنولوجيا التي تعمل بدون العنصر البشري والإنترنت أجزاء جديدة هامة من واقعنا الحاضر ومن المستقبل المحتمل للحرب؛ ولكننا لا نتحدث بشكل كاف عن التوجهات التي تلوح في الأفق

والتي تجعلنا غير مطمئنين».

تقارير ودراسات لمواجهة المنافسين الدوليين

فقد صدرت بعدها بأعوام عدة تقارير ودراسات لمراكز أبحاث أمريكية لمواجهة المنافسين الدوليين بوسائل جديدة (الحروب السياسية الحديثة) منها:

تقرير بعنوان «النفوذ الصيني والروسي في الشرق الأوسط»

وهو تقرير قد شارك بوضعه مجموعة من أهم مراكز الدراسات الأمريكية عبر تقديم باحثيها أوراقهم فيه، وذلك في مؤتمرٍ عُقد بتاريخ ٩ أيار ٢٠١٩م، برعاية اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والإرهاب الدولي المنبثقة عن لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأمريكي. هدف المؤتمر بحث تنامي النفوذ الصيني والروسي وكيفية مواجهته. ومن الذين قدموا أوراقًا في هذا المؤتمر مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية (CSIS) الذي قدم رؤيته وتوصياته حول النفوذ الصيني في الشرق الأوسط، ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى (WINEP) الذي قدَّم بحثًا بعنوان: «موسكو في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا» ومعهد راند الذي قدم بحثًا بعنوان: «روسيا والصين في الشرق الأوسط، الآثار المترتبة على الولايات المتحدة في حقبة منافسةٍ استراتيجية».

ولقد تضمَّنت ورقة مركز (CSIS) التعليق التالي على مواجهة الولايات المتحدة للسياسة الصينية في الشرق الأوسط: «الخطر الأكبر الذي نواجهه في الشرق الأوسط هو افتراضنا أن خصومنا سيواجهوننا بنفس الطرق التي نهيئُ أنفسنا لها بشكل كبير. وما نفعله هو أننا نضاعف قواتنا وأعتدتنا لمواجهة انعدام الأمن، وعندما نُواجَه بالرفض نستعمل القوة. لقد كانت الهيمنة هي استراتيجيتنا - لعقود مضت من الزمان - وهي [أي الهيمنة] ما يصبح اليوم أمرًا مكلفًا بشكل متزايد. لا تبدي الصين تطلعات نحو الهيمنة في الشرق الأوسط، وتجد الأبواب مفتوحة أمام نفوذها. الولايات المتحدة تخسر بسبب أخطائها، وهي المسؤولة عن ذلك. وعندما تتصرف بشكل صحيح فإنها لا تجني عائدًا من ذلك. يبدو أن الصين تنافس بقصد السبق من غير أن يظهر أنها نِدٌّ أو منافس، ويبدو أن النتائج الأولية لمساعيها إيجابية. التحدي الصيني لنا ليس تحدي الندِّ الذي يسعى إلى الحلول مكاننا في الشرق الأوسط، بل هو تحدٍّ من ناشئٍ صاعدٍ يسعى إلى جعل نموذجنا بأكمله يبدو بدائيًا. يجب أن نتخذ من هذ التحدي الصيني عبرة لنكون أكثر تأنيًا في تقرير ما يجب علينا القيام به في الشرق الأوسط. هذا التحدي تنبيهٌ لنا بأننا بحاجة إلى استكشاف نماذج جديدة من العلاقات، بدلًا من مجرد مضاعفة ما فعلناه على مدار الخمسين عامًا الماضية. إنه تذكير لنا بأن هدفنا يجب ألَّا يكون مجرد تدعيم للوضع القائم وسعيٍ للمحافظة عليه، ولكنْ قيادة العالم إلى مستقبل أفضل هو ما سعينا إلى فعله في معظم تاريخنا، وعلينا أن نواصل القيام بذلك، كما علينا أن نستمر في جنيِ النجاح».

أما ورقة معهد راند فقد تحدثت عما أسمته عهدًا جديدًا من المنافسة الاستراتيجية. وجاء فيها بهذا الشأن: «زادت الصين وروسيا، اهتماماتهما بالشرق الأوسط في السنوات الأخيرة. وقد غطَّت هذه الاهتمامات مجالات متعدِّدة، تشمل التجارة والاستثمار، وقطاع الطاقة، والتعاون العسكري، والنشاط الدبلوماسي. ازداد الحضور الصيني في الشرق الأوسط بشكل كبير في السنوات العشر الأخيرة. وروسيا عادت إلى المنطقة عام ٢٠١٥م بشكل دراماتيكي... تؤكِّد زيادة المشاركة الصينية والروسية في المنطقة على أن الولايات المتحدة تمرُّ بعصر جديد من المنافسة الاستراتيجية، لا تقتصر ساحة هذه المنافسة على أوروبا وآسيا، بل هي تجري في أفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط أيضًا. وتحصل في وقت أصيب فيه الكثير من الأمريكيين بالإنهاك بسبب دور الولايات المتحدة كزعيم وشرطي للعالم. ما هو الخطر من هذه المنافسة الاستراتيجية؟... لكي تفوز روسيا بالمنافسة، تسعى إلى تعطيل النظام الدولي الذي تقوده أمريكا والديمقراطيات الغربية، وإلى إعادة تأسيس مجال نفوذها أيام الاتحاد السوفياتي السابقة، وإلى إضعاف العلاقة بين أوروبا والولايات المتحدة. أما الصين فترى أن الولايات المتحدة تحاول احتواء تنامي قوتها، وهي تسعى إلى أمرين: **الأول:** استعادة دور الصدارة في آسيا مقابل الولايات المتحدة. **والثاني:** تكييف النظام الدولي ليصبح أكثر ملاءمةً لمصالحها وأهدافها. ولكي تنجح الولايات المتحدة في هذه التحديات، يجب أن يكون لديها اقتصاد نشِط ومنتج، يمكِّنها من مواصلة الحفاظ على النظام الدولي بالشكل الذي مكّننا من النجاح، كما مكّن الآخرين أيضًا، وعليها أن تعمل بالمشاركة مع حلفائنا وأصدقائنا. هذه المنافسة تجري على الساحة العالمية؛ ولكن الشرق الأوسط مسرح إقليمي مهم، وعلى وجه الخصوص لكل من روسيا والصين». وقد احتوت ورقة راند اقتراحات لمواجهة الخطر الروسي والصيني أهمها: «تحتاج الولايات المتحدة أن يكون لديها رؤية شاملة لكيفية الفوز في هذه المنافسة الاستراتيجية... تحتاج على الأقل لأربعة قواعد رئيسية... اقتصاد حيوي ومنتج؛ بحيث نكون نحن القائد في التكنولوجيا المتقدمة كالذكاء الاصطناعي... أن نبقى قائد النظام الدولي... في مؤسساته وقواعده وأعرافه... أن تعتمد الولايات المتحدة على شبكة حلفائها وشركائها لأجل بلوغ أقصى حدود قوتنا ولمواجهة التحديات المشتركة... يجب علينا الحفاظ على قوتنا العسكرية [التفوق]...».

ثم أعادت الورقة التأكيد على هذه المقترحات فقالت: «تحتاج الولايات المتحدة إلى وضع استراتيجية شاملة ومتماسكة بحيث تفوز في هذه المنافسة التي تعزِّز جميع عناصر القوة الوطنية: الاقتصادية، والدبلوماسية، والعسكرية، والثقافية، أو القوة الناعمة. لا تزال أبحاثنا لمواجهة روسيا والصين تتركز بقوة على البعد العسكري. ورغم أهمية هذا البعد، فإنه على نفس المقدار من الأهمية أو أكثر، أن ترسم

الولايات المتحدة كيفية استعادة الاستثمار في اقتصادنا ونظامنا التعليمي كي نستمر روادًا للعالم في التكنولوجيا والابتكار. على الولايات المتحدة أيضًا أن تطوِّر نهجًا منظَّمًا وأكثر شمولًا للعمل مع حلفائنا وشركائنا في جميع أنحاء العالم لمواجهة روسيا والصين». ثم ختمت الورقة بما يؤكد وجود مشكلة أمريكية خطرة فقالت: «أدت عشرون عامًا تقريبًا من العمليات العسكرية، العديدُ منها في الشرق الأوسط، إلى مقتل الآلاف من الأفراد العسكريين الأمريكيين؛ ولكنها استنزفت اقتصادنا، وقوَّضت قدرتنا على التركيز على الاحتياجات المحلية الملحَّة، وأضعفت مكانتنا في العالم، وأوجدت فرصًا لروسيا والصين لتحقيق مكاسب على حسابنا. علينا أن نتعلم من تجاربنا في العراق وأفغانستان وليبيا وغيرها، وأن ندرك أنه على الولايات المتحدة أن تركِّز بشدَّة على مصالحها الحيوية في الشرق الأوسط، وأن تزِنَ بعناية تامة أيَّ قرار باستخدام القوة».

إن ما تظهره هذه الدراسات والتقارير وتوصيات مؤسسة راند والتي ركَّزت على تفعيل دور وزارة الخارجية لمجابهة الحروب السياسية المحتملة أن هناك ضعفًا عند أمريكا في مواكبة هذه الحروب، وأن خصومها يتقدمون فيها، فضلًا عن أنهم يزدادون. وهذا يعني تفاقم المشكلات التي تحول دون اتساع سيطرة أمريكا، بل تهدد بتقلص نفوذها وانحلال قبضتها، وبسقوط أمريكا عن عرشها.

المسلمون والحروب السياسية الحديثة

إننا نرى بوضوح أن بلادنا هي حلبة الصراع والمنافسة بين الدول الكبرى، وأن المسلمين هم المستهدفون بشكل رئيسي، وتستخدم ضدهم الحروب السياسية الحديثة متعددة الجبهات ومتعددة الصور والأشكال ومن جميع الدول الكبرى؛ فكان لابد من التنبُّه لهذه الحروب والعمل على مجابهتها والتصدي لها واستنفار الأمة وطاقاتها في هذا الصراع.

إن مما لا بُدَّ منه لأي أمة الاهتمام بمواجهة هذه الحروب، وبذل ما تستطيعه كي لا تكون ضحيةً لها. وبخاصة أن أهدافها تتراوح بين حدَّين: أدناهما الإخضاع وسلب الإرادة، والحد الآخر هو التدمير والإبادة؛ ولذلك كان الاهتمام بهذه الحروب واجتراح سبل مواجهة لها قضيةً مصيرية. وهو ما لا نلمسه عند الدول القائمة في العالم الإسلامي ولا عند أي أحد. حتى الكتابات التي تشرح هذه الحروب وتحذِّر منها، لا نجدُ فيها اهتمامًا بكيفية مواجهتها يوازي الاهتمام بالحديث عنها. وإذا وُجد شيءٌ من ذلك فليس أكثر من رؤى عامة وخاطفة، لا سبيل إلى ترجمتها عمليًا؛ وبخاصة أن هذه الرؤى هي نصائح خجولة موجَّهة إلى الدول القائمة في البلاد العربية والإسلامية، وهي دول عميلة ومشاركة في جرائم إخضاع البلاد والعباد لأعدائها. وعلى ذلك، ليس ثمة أمل يُرتجى من الدول القائمة في بلاد المسلمين.

سبل مواجهة الحروب السياسية الحديثة

لقد تعرّض بعض الباحثين لسبل المواجهة، وقالوا إن سبل الوقاية من حروب الجيلين الرابع والخامس (الحروب السياسية الحديثة) هي الحكم الرشيد، أي في الاقتصاد والأمن

والمحافظة على الهوية وسائر الخدمات، فهذا يقوي ولاء المواطنين للدولة ويحصِّن المجتمع؛ فيقطع الطريق على الأعمال التي تؤجِّج النفور بين الدولة والناس وبين مختلف مكونات الجماعة، واستهداف الجماعات المسلحة وحواضنها، وتوظيف الإمكانات الإلكترونية والسيبرانية في أعمال المواجهة والمراقبة وتطويرها، وتطوير أنظمة الحماية وأمن المعلومات. وتُعَدُّ برامج توعية الأفراد ومنع اختراق المجتمع من أهم أساليب مواجهة هذه الحروب، إضافة إلى تفكيك التحالفات المعادية للدولة، ومنع تمويلها ودعمها ماديًا وبشريًا، ويتم ذلك بوسائل عسكرية وغير عسكرية، بهدف تجنُّب الانفجار من الداخل نتيجة وجود ثغرات في النسيج المجتمعي، وكي لا يقع الناس فريسة للإشاعات، ولا في فخاخ الأعداء من منظمات المجتمع المدني وغيرها.

وعلى كل حال، فإنه لا يُنتظر من الدول القائمة في بلاد المسلمين القيام بمواجهة هذه الحروب وأعمالها. وبما أن نتائجها كارثية على المسلمين وبلادهم؛ فيوجبُ ذلك حمل هذا الأمر على محمل الجد، واتخاذه قضية مصيرية، ووضع استراتيجية لمواجهته؛ فتقوم استراتيجية المواجهة على أن تحشد لها قوى وطاقات كبيرة كما الهجمة قوية وكبيرة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك ما لم تكن المواجهة عالميةً وتشمل كل مجال ممكن كما الهجمة عالمية وشاملة. ومما يساعد في الأمر أن الأمة الإسلامية كبيرة وممتدة في كل زوايا الأرض، وتتوفر على طاقات وإمكانات بشرية ومادية كبيرة، تمكِّنها من الدفاع والهجوم في آن واحد. الأمر الذي ينبغي أن يتحمل مسؤوليته القادرون عليه من المهتمِّين بأمور المسلمين الذين تتوفر فيهم صفات العلم والوعي والقيادة.

ضرورة تفعيل طاقات الأمة في هذا الصراع:

لا بد من تحرُّك المسلمين للقيام بالأعمال المطلوبة في هذه المواجهة العالمية، والإصرار على تحقيق هذا الأمر بمختلف الأساليب. وهذه المواجهة من محفزات المسلمين للعمل لإقامة دولة الخلافة، والقضاء على ما يحول دون إقامتها. فمن أعمالها مثلًا مواجهة الغزو الغربي في الهجوم على الإسلام وتحريف أفكاره، والقيام بهجوم مضاد في بلادنا وبلاده. وإذا كان أعداء الأمة أقوياء، بل هم أقوى دول الأرض ويمتلكون من الأسلحة الضخمة والفعالة والذكية ما يتجاوز الخيال، ويثير لدى الكثيرين أن مواجهة هذه القوى جنونٌ أو انتحار، فالرد على ذلك هو أن الأمة الإسلامية تتمتع بمزايا لا تحوزها أمة سواها، وهذا ما يوفِّر لها إمكانات ينبغي اكتشافها وتفعيلها واستثمارها. فللأمة كيانها العقدي الروحي والفكري والسياسي الذي يوجد فيها القابلية لتكون مؤهلةً للقيام بأعمال كثيرة وضخمة، منها إقامة دولة الخلافة، ومنها هزيمة دول كبرى وجيوش جرَّارة ذات أسلحة ذكية، ومصدر هذه القدرة الكبيرة هو الطاقة الإسلامية أولًا، ثم الطاقات الأخرى الكبيرة التي يوفِّرها حجم الأمة والبالغ المليارى نسمة، والجغرافيا الشاسعة التي تحتلها، وخصوصًا إذا وحَّدت جهودَها في هذه المواجهة. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

(الإسلاموية) هي نموذج الغرب لإبعاد المسلمين عن إقامة الخلافة والحكم بما أنزل الله

الكاتب: محمد طرموش - اليمن

بعد عقود من الزمن على سقوط الخلافة العثمانية آخر دولة إسلامية كانت توحِّد المسلمين وتطبِّق شرع رب العالمين، وبعد تشتُّت المسلمين وتفرُّقهم إلى دويلات كرتونية هزيلة وعقائد وطنية وقومية نتنة، وبعد ضياع وذلٍّ وانحطاطٍ استمر لعقود... وعى المسلمون على حقيقة الأمر، وبدؤوا يدركون أهمية الخلافة والعودة للعيش تحت ظل حكم الإسلام ونظامه العادل؛ ولكن ذلك لم يرُق لأعداء الإسلام ولم يعجبهم، فالخلافة هي الهاجس الذي يخيفهم ويقطع أيديهم عن استعمار ثروات المسلمين وبلادهم، فبدؤوا حربهم القذرة والحاقدة على الإسلام والمسلمين تحت شعارات كاذبة ومضلِّلة لتخويفهم وإبعادهم عن الإسلام والعمل لإقامة الخلافة، ومن أخطر شعاراتهم التي يرفعونها اليوم في حربهم على الإسلام هو شعار «محاربة الإسلاموية».

تعريف الإسلاموية حسب موسوعه لاروس الفرنسية :

هي اعتبار الشريعة المصدر الوحيد للقانون وإدارة المجتمع، مع السعي لإقامة دولة إسلامية. يقول وزير داخلية فرنسا: «نحارب الأيديولوجيا (الإسلاموية) وليس الإسلام» ويقول أيضًا: «فرنسا بحاجة إلى قانون لمحاربة «الإسلاموية» وليس الإرهاب». ويستخدم الغرب وعملاؤه الحكام والمضبوعون بثقافة الغرب الكافر هذه الشعارات في حربهم على الإسلام لخداع المسلمين وإيهامهم بأنهم لا يحاربون الإسلام، بل الإسلام السياسي فقط، إنها إسطوانة مشروخة تلك التي يردِّدها أعداء الإسلام وتنطلي على المغفَّلين من أبناء الإسلام، إنها شعارات خادعة وتقسيمات للمسلمين إلى معتدلين ومتشدِّدين وأصوليين وغيرها من المسمَّيات والوسائل والأساليب التي يستخدمها الغرب في حربه على الإسلام ليتمكن من الوصول إلى هدفه وهو القضاء على الإسلام كحضارة وتذويبهم في حضارته الشيطانية، وإلا فهي حرب شاملة على الإسلام والمسلمين لا تستثني أحدًا، ومخطئ من عموم المسلمين

أو بعض نخبها _ إن صح التعبير _ من يظن أنه يسلم من هذه الحرب القذرة إن أعلن انتماءه لما يسمِّيه الغرب «الإسلام المعتدل» أو تبرَّأ من الإسلام (المتشدِّد) كما يسمِّيه الغرب، والذي أصبح يافطة يطلقها الغرب على كل مسلم لا يرضخ لأجندتهم، ولا يقبل بحضارتهم، وكل من يسعى لكشف خبثهم وحقدهم وأطماعهم... إنها حرب شاملة على دين الله وعباده المؤمنين، ولمنع المسلمين من تحرُّرهم وإقامة دولتهم، دولةالخلافة، ولن تستثني هذه الحرب أحدًا من المسلمين الرافضين لقيم الغرب وأنظمته وحضارته. والأدلة على ذلك كثيرة جدًا:

فالفرنسيون الذين قتلوا الملايين من الجزائريين لم يستثنوا أحدًا من المسلمين، سواء أكان صوفيًا أو سلفيًا أو أشعريًا أو ماتريديًا.

والمجرمون الروس: الذين يبيدون إخوتنا المسلمين من أهل سورية ويقصفونهم بالبراميل وبمختلف أنواع الصواريخ، لا يقتصرون على أحد دون الآخر، بل يطالون الجميع، فهم يطلقون مسمَّيات الإرهاب على كل من يقاوم الاحتلال الروسي وطاغية الشام دون النظر إلى مذهبه في العقيدة أو الفقه.

وإذا انتقلنا إلى واقع المسلمين في أصقاع الأرض، فإننا نرى أنَّ هناك حربًا تبدو شاملةً على جميع المسلمين، وكل من يؤمن بأن الإسلام جاء لينظم الحياة ويسيرها وَفق هدي رب العالمين. ولا تختلف هذه الحرب أو تتغيَّر بين بلد وبلد، ومسلمين ومسلمين، فالمسلمون الروهينجا يُقتلون ويُعذَّبون وتتم سرقة أعضائهم وينكَّل بهم ليس لأنهم يؤمنون بالإسلام السياسي أو ينادون جميعهم بإقامة الخلافة، بل إن أغلبهم في الواقع بسطاء؛ ولكن بساطتهم لم تشفع لهم بعدم التعامل معهم بإجرام كما يتعاملون مع من يتهمونهم بالتشدُّد، بل نحن نراهم يعذَّبون لأنهم مسلمون ولم يتقبلوا فكرة التخلي عن الإسلام وأفكاره، ولم يقبلوا أن يذوبوا في حضارة الصين الشيوعية وقوانينها وقيمها. ومسلمو بورما يُقتَلون ويُعذَّبون وتُغتصَب نساؤهم ويُنكَّل بهم ليس بسبب (الإسلاموية) كما يقول إعلام الغرب المنافق الذي يرفع مثل هذه الشعارات عند كل حرب يقوم بها ومجزرة يرتكبها بحق المسلمين ،بل حقدهم الدفين يطال كل ما له علاقة بالإسلام ولو كانت الصلاة والحجاب. وفي

فرنسا وبقية دول الغرب الكافر تسنُّ عدد من القوانين التي يكيدون فيها للإسلام ككل، وإن كان ظاهرها الهجوم على ما يسمَّى «الإسلاموية»، إنهم لن يرضوا عن المسلمين إلا إذا فهموا دينهم على الطريقة الغربية، أي «الإسلام المعدل» أو «الإسلام المدجَّن»، وليس الإسلام الصحيح.

وتقوم الحكومات الغربية بعدة أعمال لمحاربة الإسلام والتضييق على المسلمين بغية تذويبهم في حضارة أعور الدجَّال. ومن هذه الأعمال والقوانين حظر الحجاب وإغلاق الكثير من المساجد والمراكز الإسلامية والعمل على فرض القيم العلمانية بالإجبار وغيرها من وسائل الصدَّ التي تستخدم لإبعاد المسلمين عن دينهم وهويتهم، ويحارب السياسيين وغير السياسيين من المسلمين. فعندما يتعلق الأمر بالإسلام، فإن الغرب يتخلَّى عن شعارات الحرية وحقوق الإنسان ويدوسها بأقدامه، كل ذلك ليتخلى المسلمون عن دينهم وأفكار الإسلام، وليتقبلوا حرية الغرب وشذوذه ومجونه، فما دام المسلم يؤمن بالإسلام ويسعى لإقامة دولة الإسلام فهو خطر على الغرب ومصالحه ويجب القضاء عليه... وتبقى شعاراتهم هي مجرد شعارات براقة لخداع البسطاء والمغفلين.

فيا أيها المسلمون، لا يخدعنَّكم الكافرون وأعداء الإسلام بشعاراتهم وأقوالهم بادِّعائهم أنهم يحاربون (الإرهاب الإسلامي) أو (الانعزالية الإسلامية) بل هي مجرد شعارات يطلقها الغرب الكافر الحاقد، ويروِّج لها في بلداننا المضبوعون بثقافته، بل هو في حرب شاملة على كل المسلمين للتخلي عن دينهم وهدي ربهم، وعن الإسلام الشامل الذي لا يتقبله الغرب والشرق، والذي منه (الإسلاموية) أو الإسلام السياسي، والذي يسعَى جاهدًا للقضاء عليه، أو على الأقل حصره في زوايا المسجد كما فعلوا طيلة مائة عام خلت.

إن ما يغيظ الغرب أكثر من أي شيء آخر هو تمسك المسلمين بدينهم وهويتهم والعمل لإقامة دولة الإسلام (الخلافة) والتي بها عزهم وقطع دابر عدوِّهم، والتي آن أوانها وأظلَّ زمانها بإذن الله تعالى، قال تعالى:﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة:١٢٠] صدق الله العظيم. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

التطبيع مع كيان يهود والحكم الشرعي فيه

عبد الستار أبو تقي
الأرض المباركة فلسطين

ماذا يعني التطبيع؟

تطبيع العلاقات مصطلح سياسي يشير إلى «جعل العلاقات طبيعية» بين الكيانات السياسية، بعد فترة من التوتر أو الصراع أو الحرب أو القطيعة بينها، لأي سبب كان، حيث تعود العلاقة طبيعية بينها، وكأن لم يكن هناك خلاف أو صراع سابق.

التطبيع بين كيان يهود والأنظمة: هل هو تطبيع بين خصوم حقيقيين؟

إن التطبيع العلني والشامل الذي يجري اليوم بين كيان يهود ودول الضِّرار في العالم الإسلامي هو حلم صهيوني قديم، وهدف عميق عند قادة يهود، منذ قيام دولتهم فوق فلسطين المسلمة المغتصبة.

وهذا التطبيع، وإن تسارعت وتيرته مؤخرًا بشكل سافر وفاضح، إلا أنه ليس جديدًا، بل كان موجودًا بين يهود والأنظمة العميلة؛ لكن في الخفاء، فكان تطبيع أنظمة منسلخة عن شعوبها. أما إعلانه اليوم، والسير فيه بقوة، ومحاولة فرضه تطبيعًا شعبيًا، فسببه احتدام الصراع بين الأمة الإسلامية من جهة، وبين كل من يحارب نهضتها وعودتها إلى دينها في خلافتها: أعداء الدين في الغرب الكافر الصليبي، وكيان يهود والأنظمة الجبرية في بلادنا. وهو بشارة للأمة أنها مهابة، ودليل صارخ على أن أعداءها يخشونها، والذين فكَّروا وقدَّروا، وباتوا يرمونها بكل ما لديهم من أسلحة، ظاهرها قبل خفيِّها، رفعًا في وتيرة الحرب عليها.

إن موجة التطبيع الأخيرة الرسمية والكاملة والمعلَنة اليوم، ليست إلا إعلان حرب شاملة على الأمة الإسلامية، كانت خفية وأصبحت معلنة، كما أسلفنا، وهي تشي بأن أعداء الأمة لم يعودوا يأبهون بالتضليل والتدليس على الأمة، فأخذوا القرار بمواجهتها كفاحًا، وها هم يستخدمون التطبيع المكشوف، ومحاولة فرضه واقعًا مسلَّمًا به، كأحد أسلحتهم الأخيرة في حربهم ضد الأمة.

إن كيان يهود لم يكن يومًا في خصومة مع أنظمة الحكم الجبري، بل كان الطرفان في وئام تام، وعلاقة مودة وتعاون وثيق، منذ قيام دولة يهود في فلسطين، كيف لا والطرفان يشتركان في سبب وجودهم، وهو الحرب على الإسلام وأمة الإسلام. إن هذا التطبيع المدعوم من الغرب الصليبي، تطبيع زائف ومضلِّل؛ لأنه لم يأتِ بعد حرب وخصومة حقيقية مع الدول الكرتونية التي نحيا فيها، والتي لم تؤذِ يهودَ يومًا، بل كانت حارسًا خسيسًا لكيانهم، وداعمًا

قويًا لوجودهم؛ لكن يهود يحرصون على إظهار عكس ذلك، من أجل إبراز انتصارهم على محيطهم، والفتِّ في عضُد الأمة، تلبيسًا وتضليلًا، حتى لا تفكِّر في النهوض وتحرير فلسطين. ومن ظن أن أنظمة سايكس بيكو كانت في حرب وخصومة ومقاطعة وعلاقة سياسية غير طبيعية مع كيان يهود فهو غافل واهم.

موجة التطبيع الأخيرة: رد على الأمة التي لا تموت

لا شك أن إعلان الأمة عن إرادتها في مواجهة حكَّامها، من خلال ثوراتها، والخروج عليهم في غير مكان في بلاد المسلمين، في العشرية الأخيرة، أوصل رسالة قوية للغرب الصليبي ويهود أن الأمة لم تَمُتْ، وأنها مستعصية على الخضوع والخنوع مهما نفَّذوا من برامج لكسرها وتدجينها؛ من أجل ذلك رفعوا وتيرة خططهم ضد دين الله والأمة، وأشرفوا على تطبيقها بأنفسهم، ويمكن إجمال ذلك بالتالي:

١. طلبوا من حكام المسلمين العملاء لهم أن يجاهروا بخيانتهم ضد دينهم ورسولهم وكل قضاياهم المصيرية، دون مواربة ولا تعمية، ولنا في النظام المصري ونظام آل سعود اليوم شاهد كبير في الانقلاب على دين الله في كل مفاصله.

٢. رفعوا وتيرة اضطهاد المسلمين، وقتلهم وتهجيرهم، وتخريب بلادهم وممتلكاتهم، وإثارة الفتن والنعرات الطائفية والعرقية والمذهبية بينهم... حتى يشتغلوا بأنفسهم، ويجبنوا عن رفع صوتهم. وما يحصل في الشام واليمن وليبيا والعراق ومصر، وللأقليات المسلمة الروهينجا في ميانمار والإيغور في الصين، إلا شواهد على ملاحقة الاسلام والمسلمين حول العالم.

٣. عملوا على الانتقام الفظيع من المسلمين في بلاد الثورات حتى لا يفكروا في الخروج على حكامهم، كما حصل ويحصل في مصر وسوريا وليبيا واليمن.

٤. جيَّشوا علماء السوء، والمثقَّفين العلمانيين، وأدوات الإعلام المضلِّلة في بلاد المسلمين في الصدِّ عن دين الله وتحويره، ومهاجمة الإسلام وأحكامه؛ لتمييع الدين، خصوصًا ما تعلق بالحكم والخلافة، وفي المقابل إسكات الألسن والأقلام المبدئية، وملاحقتها بلا هوادة، كما يحصل في بلاد الحرمين ومصر وغيرها.

٥. حاربوا الإسلام السياسي بشراسة وربطوه بالإرهاب؛ لتخويف وتخذيل المسلمين من العمل لاستعادة خلافتهم المفقودة، وتضليلهم بأن الإسلام دين شعائر وأخلاق وعبادات فردية، وليس نظم ودولة. وما حديث الرئيس الفرنسي ماكرون وغيره من قادة الغرب مؤخرًا عن الإسلاموية (الإسلام السياسي) وحركاته إلا مثال على عقلية الغرب الصليبي المجرم تجاه دين الله.

٦. تَحدَّوا المسلمين من خلال التطاول على رسولهم، رسول البشرية ورمز الهدى، في استهتار فاضح لأقدس مقدسات الأمة.

٧. وأخيرًا وليس آخرًا: سرَّعوا في تطبيع الأنظمة العلني والمكشوف مع كيان يهود، دون الاكتراث لرفض الأمة.

بكل ذلك وغيره يسير الغرب الصليبي

اليوم في خططه، وبشكل سافر معلن ومقصود؛ لتكريس استعماره، ومحاولة هزيمة الأمة في دينها وقضاياها، علَّها تنسى مطالبها وعملها باتجاه وحدتها في خلافتها، بعد الانعتاق من ربقة استعماره.

التطبيع العلني والمكشوف اليوم سبقه تاريخ أسود من التآمر على الأمة:

يتافجأ بعض السذج والمضلَّلين اليوم، وهم يرون الأنظمة الرسمية الآيلة للسقوط في بلاد المسلمين تنبطح أمام يهود في موجة التطبيع الأخيرة، أن تلك الأنظمة كانت تقيم علاقات سرية وثيقة مع يهود منذ قيام دولتهم، وعلى صعد كثيرة، أهمها الاستخبارية التجسُّسية والعسكرية والاقتصادية، جعلت ليهود سبيلًا علينا، ودفعت الأمة ثمنه غاليًا إلى اليوم، مزيدًا من الضعف والتشرذم والمهانة. فكل الدول التي تسارع في يهود اليوم، والتي تنتظر دورها، لها تاريخ أسود ممتدٌّ من التعاون الخبيث مع يهود ضد الأمة. وما يخرجه إلينا يهود من هذا التاريخ، إغاظة للأمة وتعاليًا عليها، يدمي القلوب، ويكشف سوءة الأنظمة؛ لكنه يصفع اللاهثين وراء سراب الوطنية والقومية الـمقيتة، والذين دجَّلوا على الأمة ردحًا من الزمان، وفرضوا عليها مشاريع الفرقة والهوان، وسراب سلام الشجعان!!

إن الكشف وإماطة اللثام خير للأمة، بإذن الله، وهي تنهض من جديد، والتي باتت تدرك أكثر من أي وقت مضى أن حكام المسلمين هم خنجر يهود والغرب الصليبي في صدر الأمة. وها هي الأمة تسمع وترى وتعي مؤامرات حكامها، الذين فتحوا بلادنا منذ عشرات السنين للموساد أن يتجسَّس علينا، ولقادة يهود أن يسرحوا ويمرحوا في بلاد المسلمين، ويتَّفقوا مع حكام المسلمين على تفاصيل محاربة الأمة، في دقائق حياتها السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... ولا عزاء للمطبِّعين المطبِّلين.

ففي مصر على سبيل المثال، ومنذ بداية ما يُسمَّى بمعاهدة السلام بينها وبين كيان يهود، فإن يهود استباحوا مصر، وعلى جميع الصعد، فسرقوا نفطها وغازها بعد أن أهداهم السيسي إياه وصاروا يبيعونه لمصر، وهيمنوا على مصانع البتروكيماويات والملابس الكبرى، وكذلك الزراعة فخرَّبوها، ودخلوا سيناء دون فيزا، وسيَّروا الرحلات السياحية بالآلاف، وصار آلاف الشباب المصري يعملون عند يهود ويتزوجون منهم، وغير ذلك الكثير، ناهيك عن الاتفاقيات الأمنية والعسكرية بينهم،؛ من أجل محاربة ما يسمُّونه الحرب على الإرهاب، ويقصدون به الإسلام والمسلمين، خصوصًا في شمال سيناء. هذا غيض من فيض في مسلسل الخيانة المعلَنة للإسلام، وما خفي كان أعظم سوءًا ممن أقام علاقات مع كيان يهود، كالأردن ومصر وتركيا، أو من غيرهم، فكلهم في الخيانة لدينهم وأمتهم سواء، قال تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾.

ما هي أبرز مكاسب يهود والغرب من التطبيع؟

على الرغم من أن التطبيع مع يهود حرام ومنكر عظيم، ولا اعتبار شرعيًا من ورائه لأية مكاسب مادية محتملة؛ إلَّا أن من جرائمه أيضًا أن الدول المطبِّعة مع يهود، لن تستفيد شيئًا يذكر من تطبيعها، قياسًا على ما سيكسبه يهود، فيهود ستكون مكاسبهم مهولة، ولن تجني الأنظمة إلا الخزي والعار، ومزيدًا من الضعف والهوان، وهدر ثروات الأمة ومقدَّراتها، وسيكون تطبيعها أرخصَ وأحطَّ بيعٍ للنفس لأعداء الأمة يهود، ولنا في مصر أكبر مثال. إن الغرب الرأسمالي الصليبي ويهود يتعاملون مع كيانات صفرية في المنطقة، لا حول لها ولا قوة، وإرادتها السياسية معدومة، وهي رهن إرادة الغرب ويهود.

أما أهم مكاسب يهود والغرب من التطبيع فالتالية:

١. إنهاء حالة الحرب المزعومة بين يهود وبين الأنظمة، وإقامة سلام تعيش فيه (إسرائيل) بأمان، واعتراف كامل بها، وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها، وفتح الحدود أمام تجارتها وأفرادها ومخابراتها، وإقامة علاقات معها على كل الصعد.

٢. إنهاء كل أشكال المقاطعة مع يهود، خصوصًا الاقتصادية منها، والسماح للبضائع اليهودية بالوصول إلى كل الموانئ العربية والإسلامية بحرية مطلقة، تكريسًا لهيمنتها التجارية.

٣. تعهد المطبِّعين بملاحقة كل من يفكر بإيذاء يهود، أو يدعو إلى تحرير فلسطين.

٤. الهيمنة على ثروات المنطقة على اختلاف أنواعها والتحكم بها، خصوصًا في المياه والنفط والغاز والزراعة.

٥. ولعل أبرز مكسب ليهود من التطبيع هو إرادتهم إزالة الحاجز النفسي بين يهود والمسلمين بحيث يتقبَّلُهم المسلمون كدولة طبيعية بين ظهرانيهم، وينسون أنهم جسم سرطاني خبيث يتوجب اجتثاثه.

وأما أهم مظاهر ومجالات التطبيع فهي:

١. التطبيع السياسي متمثلًا بالعمل الدبلوماسي القنصلي، والتنظيم الشعبي لتدعيم العلاقات، وزيارة الحكَّام المتبادلة، والعلاقات البرلمانية والحزبية والعلاقات العسكرية.

٢. التطبيع الاقتصادي عن طريق اختراق واجتياح الأسواق العربية الإسلامية الضخمة، وخيراتها (النفط، الغاز، النقل والمواصلات، السياحة، الزراعة) معتمدين على تفوقهم العلمي والتكنولوجي.

٣. التطبيع الثقافي الذي يعتبره يهود الدعامة الرئيسية لكل مفاصل التطبيع، ومقدمة لازمة له. وهدفه استئصال العداء ضد يهود من العقل المسلم، ويمكن تحقيقه عندهم من خلال العمل على تغيير المناهج الدراسية، وإنشاء المراكز الأكاديمية المشتركة، وتبادل الزيارات بين أساتذة الجامعات، والمؤتمرات العلمية، والرياضة، والسينما والتلفزيون، والفكر والأدب.

مفاسد التطبيع ومخاطره:

إن مفاسد ومخاطر التطبيع كثيرة وأهمها:

١. تطبيع الدين وتطويعه، والعبث به ولَيُّ أعناق نصوصه، من أجل القبول بيهود، فلا جهاد

معهم بعد اليوم، ولا سور قرآنية تتحدث عن صفاتهم وما فعلوه بأنبيائهم، وغير ذلك مما فيه خطر على عقيدة الأمة ومكانة المقدسات في نفسها، ومن تزوير لحقائق التاريخ وتزييف لوعي الأمة، وتبديد لإرثها الإسلامي العظيم.

٢. الاختراق الثقافي اليهودي الذي يركِّز التعايش والسلام معهم، ويهدِّد نمطَ حياة الأمة وقيمها وولاءاتها، فالتطبيع مخطَّط له أن يشكل هزيمة نفسية للأمة، وهو إقرار بتفوُّق أعداء الدين حضاريًا وثقافيًا عليها، ومقوِّض لروح الأمة وفكرها ووجدانها.

٣. الاختراق التجسُّسي والأمني في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية للتخريب والهيمنة، من خلال السفارات والمكاتب التجارية والشركات السياحية، وغير ذلك.

٤. إنهاء القضية الفلسطينية وتمييعها عن طريق مسلسل المفاوضات والتنازلات المستمرة التي سلَّمت فلسطين ليهود، إضافة إلى تذويب عقيدة تحرير الأقصى من رجس يهود، وإجراء تهويد قسري لأجيال المسلمين، وأيضًا إيجاد أجواء سلام في فلسطين تشجِّع يهود العالم على الهجرة، وجلب استثماراتهم ورؤوس أموالهم إليها.

٥. ضمان أمن يهود بعد عقد معاهدات سلام مع كيان يهود، وتحديد وعزل القدرة العسكرية للدول المطبِّعة، خصوصًا ما يسمى بدول الطوق، وشقُّ الصف العربي المتشرذم أصلًا، من خلال اتفاقيات منفردة، ما يجعل ليهود مدخلًا للهيمنة العسكرية والأمنية على الأمة.

٦. نشر الفساد والرذيلة في مجتمعاتنا عن طريق الكتب والمجلات والأفلام والإذاعة والتلفزيون والمخدرات، وتسريب مواد ملوثة بالإشعاع النووي للإضرار بالزراعة والصناعة، كما حصل في مصر.

٧. والتطبيع من شأنه أن يعيق ويعطل وعي الأمة، ومحاولات إنهاضها وإصلاحها، وبناء مشروعها الوحدوي الجامع والواجب: **الخلافة**.

الحكم الشرعي في التطبيع، وكيف يكون التصدي له:

بعد هذا العرض لواقع ومفهوم التطبيع وخطره، لا بدَّ من بيان الحكم الشرعي فيه، وكيف يكون التصدِّي له. نقول: إن مقتضيات التطبيع مع كيان يهود تعني بالمفهوم الشرعي إقرار يهود على اغتصاب فلسطين، والتفريط بأولى القبلتين وثالث الحرمين، ناهيك عن موالاة أشد الناس عداوة لله وللمؤمنين، والذي حرمه الله بقوله: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾. وهذا من أعظم الجرائم في الإسلام، وخيانة لله ولرسوله والمؤمنين، فاليهود: ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ﴾. كل ذلك يفرض أن تكون العلاقة معهم هي حالة حرب فعلية، فهم قد احتلُّوا أرضًا إسلامية، على الأمة واجب السعي لتحريرها، قال تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾، وليس الصلح والاستسلام أو التطبيع.

إن التطبيع مع يهود من كبائر الإثم والعدوان؛ لأنه يعترف بهذا الكيان الغاصب. وعلى الرغم من أن الأمة تجمع على رفض التطبيع، إلا أنه ماضٍ بفعل حكام الخِسَّة والنذالة والعمالة؛ لذلك يتوجب على الأمة

وهي تقول «**لا**» للتطبيع أن تفهم وتعي أن التطبيع هو فرع لأصل، والفرع يموت تلقائيًا إذا قطع الأصل، وهو دولة يهود المغتصبة لفلسطين. على الأمة أن تدرك أن وقف التطبيع ومجابهته لا يكون بفتوى، ولا بيان ولا مظاهرة، ولا احتجاج ولا محاضرة، ولا بنشر أسماء المطبِّعين، وإن كان في كل ذلك خير، وفيه أجر، لكن التطبيع لا يوقفه إلا صاحب قرار قادر على تنفيذه. ولما كان صاحب مثل هذا القرار معدومًا في الأمة؛ لأن كل حكامها أجراء عند يهود، ويسارعون في الانبطاح لهم، ولا يقيمون وزنًا للأمة، كان واجبًا على كل مسلم أن يكون جادًا في العمل على إيجاد صاحب هذا القرار، **خليفة المسلمين ودولة الخلافة**، والتي بها يوقف التطبيع بزوال الأصل-كيان يهود.

إن التطبيع كلمة زائفة في قاموس الهزائم المستمرَّة على يد أنظمة سايكس بيكو العميلة، ابتداءً من وعد بلفور وإلى خيانة التطبيع العلنية اليوم. وكما أسلفنا، فإن ما يحصل اليوم من تطبيع سريع ومكشوف، فيه خير بإذن الله، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمۚ﴾ لأنه يضع الأمة على مفترق طرق حقيقي في التغيير، بعد أن تأكَّد لها عمالة حكامها، دون استثناء، في مصر وتركيا والأردن والمغرب ودول الخليج، وآل سعود المجرمين، وغيرهم، كما تأكَّد لها عمالة علماء السلاطين، الذين حرَّفوا الكلم عن مواضعه، خدمة لأسيادهم.

إن التطبيع كشف ضعف أعداء الأمة، من غرب كافر ويهود وأنظمة الخِسَّة والعمالة، وكشف قوة الأمة التي باتت تعي وتلمس أن استرداد فلسطين لا يكون من خلال الحكام وأنظمتهم الوظيفية، بل من خلال تغيير الواقع الفاسد الذي يَحيَونه بإقامة الخلافة الإسلامية الموعودة التي بشَّرنا بها رسولنا وقدوتنا، عليه الصلاة والسلام بقوله: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»، وهي التي ستقتلع كيان يهود من جذوره. فيهود مقطوع حبلهم مع الله، وموصول مع أعداء الدين، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ١٠٤﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ٧﴾، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقاتلكم اليهود فتسلَّطون عليهم ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**» رواه البخاري.

نعم، هذا هو الواقع اليوم، ونحن في زمن إقامة الخلافة بإذن الله، فالتطبيع فيه بشرى عظيمة للأمة، وهو يقرب القضاء على يهود في فلسطين، بعد أن يتجمَّعوا من شَتاتهم في الأرض المباركة فلسطين، فتدخلها جيوش الأمة الإسلامية لتخلِّص العالم من رجس يهود. إن التطبيع مع يهود حرام شرعًا، ولا يغيِّر من الواقع شيئًا، فكافَّة الاتفاقيات والتفاهمات مع كيان يهود، وما ترتب عليها من التزامات محرَّمة ومنعدمة وباطلة وغير نافذة شرعًا، تحرم طاعة حكام المسلمين فيها، وسيضعها خليفة المسلمين القادم تحت قدميه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢١﴾. صدق الله العظيم. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

خطورة تحويل الصراع مع يهود إلى صراع طائفي مع إيران

د. أحمد كباس - اليمن

إن الصراع والعداء بين الإسلام والكفر قائم إلى قيام الساعة، وقد أخذ الصراع أشكالًا عديدة، واتَّخذ وسائل متعدِّدة، ولسنا بصدد الحديث عن تفاصيل الصراع وأشكاله ووسائله وأساليبه جميعها، فلا يتسع المجال لذكرها!! ولكن ثمة أمرًا مهمًا وجدًا خطير على أمة الإسلام ينبغي أن نسلِّط عليه الضوء، ألا وهو تحويل الصراع والعداء من عداء المسلمين لليهود إلى عداء لإيران.

بعد آن هدم الغرب الكافر دولة الإسلام عام ١٩٢٤م، انتقل إلى تمزيق الأمة الإسلامية إلى دويلات هزيلة، ثم فرض عليها أنظمته وقوانينه المنبثقة من عقيدة فصل الدين عن الحياة، ونصب عليها حكامًا من جلدة المسلمين يحكمون الناس بأحكام الكفر، و بالحديد والنار، ولا يأتمرون إلا بأوامر حكام الغرب الكافر. ولم يكتفِ أعداء الإسلام بذلك، بل عمدوا إلى إذكاء الحروب بين المسلمين؛ لأنهم يعلمون أن أمة الإسلام أمة جهاد وتضحية وشجاعة وبسالة، فاتَّجهوا إلى إنشاء جماعات في بلاد المسلمين تقوم على الأساس الديموقراطي الغربي، وتخدم أجندة الاستعمار، وتديره دول الغرب وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا.

ومن هنا يأتي التنافس والصراع على النفوذ بين التيارات التي تخدم مختلف دول الغرب الاستعمارية. ومن جهة أخرى، نتج عن ذلك الصراع شلال دم نازف من جسم أمة الإسلام، وراح الغرب يصنع من جماجم أبناء المسلمين سلمًا لصعود عملائه إلى سدة الحكم، وكل ما يجري في دول العالم، وفي العالم الإسلامي خاصة تقف خلفه دول الكفر وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا

ومع كل ذلك، لا تضع كل من أمريكا وبريطانيا نفسها مكان المجرم أو المتَّهم، بل تُقدِّم نفسها على أنها راعية السلام، وتستخدم عملاءها في فرض نفوذها، وإدارة لعبتها الاستعمارية القذرة في بلاد المسلمين،

وتظهر على أنها حامية للإنسان كإنسان منادية بحقوقه، تحمل للجائع الغذاء، وللمريض الدواء، وللنازح المخيمات، وتدعو المتصارعين إلى الجلوس على طاولة الحوار لإحلال السلام وتجنُّب الصدام والكوارث الإنسانية على حد زعمها. وعلى هذا المسار بالتحديد تسعى أمريكا إلى تحويل الصراع والعداء من عداء المسلمين لليهود إلى عداء لإيران... وعلى هذا المسار تتالت التصريحات وتواترت من وزارة الخارجية الأمريكية تحت عنوان كبير: (إيران تسعى لتقويض السلام في الشرق الأوسط)

ولقد كان لمثل هذه التصريحات أبعادًا سياسية أخرى، غير البعد الذي نسلِّط عليه الضوء، ومع ذلك فإنه يعطي مؤشرًا خطيرًا على سعي أمريكا إلى تحويل الصراع والعداء بدلًا من أن يكون مع اليهود ليصبح مع إيران، وسبق أن ذكرنا أن أمريكا تضع نفسها موضع المنقذ، وادِّعاء أنها حاملة السلام وحامية حقوق الإنسان أمام الرأي العام الدولي، بينما هي من خلف الستار تدير حكام إيران وأذرعها في البلاد لبسط نفوذها في كامل المنطقة، ولتنفيذ مخططاتها في الحرب على الإسلام والمسلمين، ومن ثم فإنهم ما إن يصلوا إلى الحكم في أي بلد إلا ونراهم يستخدمون سياسة القمع والعنجهية والتجويع وإذلال الناس؛ ما يكسب الناس حقدًا وكراهية لإيران دون تفريق بين الشعوب والحكام. ومع تصاعد التصريحات بأن إيران عدوة السلام، يتنامى شعور من العداء والظلم والقهر مقرونًا بفكرة (إيران تقوِّض السلام) إضافة إلى إثارة الطائفية لدى فريق من المسلمين؛ وهذا ما يسهِّل وجود تحوُّلٍ كبيرٍ وخبيثٍ في طبيعة الصراع والعداء، وهو ما ينذر بإشعال حروب طائفية تفني المسلمين، وهذا ما تهدف إليه أمريكا لإشغال المسلمين بأنفسهم؛ فتنسيهم عدوَّهم، وتجعل كلًّا منهم يستنجد بالكفار على الآخر. وعلى هذا المسار رأينا كيف عملت أمريكا على إيجاد قطبين للنزاع في بلاد المسلمين.

١- قطب يمثل الشيعة (حكام إيران)

٢- قطب يمثل السنة (حكام آل سعود)

فلا حكام إيران ساروا على منهج أهل البيت عليهم السلام. ولا حكام السعودية ساروا على منهج محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم. بل إن حكام إيران وحكام نجد والحجاز وكل حكام المسلمين يسيرون وفق منهجية فصل الدين عن الدولة، وعلى شرعة الأمم الكافرة، وتتحكم بسياساتهم دول الغرب الرأسمالي الكافر وعلى رأسها أمريكا؛ وهذا ما يجعلهم يسيرون في خدمة الكفار ومخططاتهم في إذكاء الحروب بين المسلمين. فالحذرَ كلَّ

الحذر من مثل هذه المخططات... والحذرَ كلَّ الحذرَ من الانخراط في تنفيذه.

وليعلمِ المسلمون جميعهم أن هناك فرقًا بين الشعوب والحكام. فالحكام جميعهم، من كلا الفريقين أجرموا في حق أمة الإسلام وشعوبها... وليعلمِ المسلمون أيضًا أنهم أمة واحدة من دون الناس، ويجب أن تبقى وحدتهم واحدة موحدة كما قال ربها ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴿٩٢﴾﴾ وتكررت في آية أخرى بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴿٥٢﴾﴾، ويجب أن تبقى تحت سيادة حكم الإسلام إيمانًا وعملًا. فالغرب ينظر للمسلمين نظرة واحدة، لا ينظر إليهم نظرة (شيعة) أو (سنّة)، بل ينظر إليهم نظرة الحقد والبغض على كل من يشهد أن (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وما إثارة الطائفية إلا غيض من فيض من بغض الغرب الكافر وحقده على أمة الإسلام، يستعمل لها حكّامهم العملاء له والخونة لدينهم ولأمتهم ليكونوا خنجره الذي يطعنهم به. فلا تجعلوا أمتكم ضحية لمخططات الغرب، ولا تساعدوه في خوض غمار حربه عليكم جميعًا، فهو يستهدفكم سواء بسواء، وعلى المسلمين جميعًا أن يصدُّوا كل محاولة لإيجاد النزاع فيما بينهم تلبيةً لأمر الله وطاعةً لرسوله، وانتهاءً بنهيه، وتجنبًا للنزاع الذي لا يجلب عليهم إلا التحريش والاقتتال والتخلف والدمار في الدنيا، وغضب الله وعذابه في الآخرة، قال تعالى﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾وفُسِّر الفشل بالضعف عن جهاد العدو والانكسار له.

إن على المسلمين جميعًا أن يوقفوا شلال الدم الجاري، ولا يتأتَّى لهم ذلك إلا بالعمل على إقامة دولة واحدة على أساس الإسلام؛ ليستعيدوا بها قرارهم فيعتصموا بحبل الله وعروته الوثقى التي تؤلف بين قلوبهم فيصبحوا بنعمته إخوانًا ...**إنها دولة الإسلام، دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة** التي بشر بها محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم ووعد بها الله في محكم كتابه... فاسعوا إلى إقامتها وشمروا سواعدكم لإرضاء ربكم ولاستعادة مجدٍ تليد، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

دور وسائل الإعلام في خدمة الاستعمار ومحاربة مشروع تحرر الأمة ونهضتها

المهنـدس باهـر صالـح
عضـو المكتب الإعلامي لحزب التحرير
فـي الأرض المبـاركـة فلـسطين

إنّ الحديث عن دور الإعلام وأهميته في صناعة الرأي العام والتأثير في القرارات السياسية بات أمرًا غنيًا عن البيان أو الإثبات، فقد لمس الجميع ذلك بشكل جلي وقاطع؛ لا سيما مع الانتشار الواسع للإعلام الإلكتروني، ولن نحاول في هذا الموضوع إثبات ذلك أو الوقوف عليه، بل سنقف على دور وسائل الإعلام في الوقوف في وجه نهضة الأمة ومعاونة الاستعمار وأدواته حكام المسلمين للحيلولة دون استعادة الأمة لسلطانها.

لقد اتخذت معاداة وسائل الإعلام لنهضة الأمة والوقوف في وجهها أشكالًا عدة، كالتعمية وفرض طوق إعلامي على دعاة النهضة والعاملين لها، وتسليط الأضواء على قضايا سخيفة أو فرعية من أجل استنزاف الاهتمام وإنهاك العقول في التفكير بالمتاهات، واختلاق صراعات وحروب وهمية تخدم مصالح الاستعمار، والترويج لمفكرين أو شخصيات أو حكام من بوتقة الأنظمة العميلة، ومحاولة تزيين أعمال وبرامج ومخططات الأنظمة الجاثمة على صدور المسلمين، وغيرها الكثير، وسنحاول في هذه المقالة الوقوف على كل شكل من هذه الأشكال لتعريتها وفضحها.

- **التعمية وفرض طوق إعلامي على دعاة النهضة والعاملين لها**

لا شك أنّ من أبرز العاملين لنهضة الأمة وتغيير حالها باستئناف الحياة الإسلامية في ظل الخلافة الراشدة على منهاج النبوة هو حزب التحرير، فهو من أول وأبرز من دعا لإقامة الخلافة وإزالة أنظمة الضرار والعمالة، وقد أصبح الحزب الوحيد الداعي إلى استئناف الحياة الإسلامية الصرفة الخالصة من كل عوالق الرأسمالية وبراثن الاستعمار وذيول الحقبة الحالية؛ هذا مع العلم، أن أعمال الحزب عبر عشرات البلاد الإسلامية وحتى في الدول الغربية حيث الجاليات المسلمة، هي أعمال متواصلة لم تنقطع يومًا، وهي أعمال متنوِّعة متعدِّدة، وكلُّها موجَّهةٌ إلى التأثير في الرأي العام لدى المسلمين، وإيجاد الوعي العام لديهم على مشروعه في إقامة الخلافة، وكلُّها أعمال منضبطة بالفكر السياسي، ومحدودة بالعمل السياسي الفكري دونما عنف أو أعمال مادية؛ والتي منها ما يتخذ شكل المحاضرات والندوات والدروس والخطب والكلمات،

في المساجد والمدارس والجامعات ومراكز التجمعات والنوادي. ومنها ما يتخذ شكل المسيرات والتظاهرات والوقفات السلميَّة المعبِّرة عن رسالة أو فكرة واضحة مبلوَرة. ومنها ما ينظِّمه ويشارك فيه الرجال والنساء أو أحدهما. ومنها ما يتخذ شكل إصدارات الجرائد والمجلات والنشرات والبيانات ذات المحتوى الفكري السياسي الراقي. ومنها ما يكون على شكل زيارات وتواصل وحوار ونقاش مع المؤثرين والمفكرين والعلماء وأصحاب الاختصاصات المتعدِّدة، وغيرها الكثير من الصور والأشكال والأساليب والوسائل، ولعلَّ أبرزها مؤخرًا دوره النشِط على وسائل التواصل الإلكتروني بشكل لافت وبارز، وكل ذلك في مختلف المناطق والبلدان، وفي مختلف القضايا والعناوين، وكلها محل اهتمام ونقاش مجتمعي حي... ومقابل ذلك نلمس حجم التعتيم الإعلامي الذي تفرضه كل وسائل الإعلام على هذا الكمِّ الهائلِ من النشاطات، سواء ما كان منه إعلامًا محليًا أم عالميًا، إلا النزر اليسير مما مردّه إلى اعتبارات موضعيَّة آنيَّة لا تخدش أو تخرق السياسة العامة في فرض الطوق الإعلامي على أعمال ونشاطات وأفكار حزب التحرير.

وهذا أمر لا يمكن تبريره بالطبع لا مهنيًا ولا فنيًا ولا بأي شكل من الأشكال، فنشاطات الحزب لا تتناول قضايا مهمَلة أو غير مهمة، ولا تتخِّذ شكل العنف أو الأعمال المادية المنفِّرة، ولا تنحصر بمكان دون آخر، ولا ببلد دون غيره، ولا بظرف سياسيٍّ دون سواه، ولا بنظام دون عداه، فهي متنوِّعة متعدِّدة عابرة للقارات ومتناولة لأبرز وأهم القضايا، وهي كذلك ليست أعمالًا ضعيفة لا تستحق التغطية، بل عادة ما تكون ضخمة في المكان الذي تُعقد فيه، ويعجز غير الحزب في كثير من البلاد أن ينظِّم مثلها أو بحجمها، وعادة ما يراعي الحزب الظروف والإمكانيات في البلد لتكون متاحة لحضور الإعلام والجماهير، ومع ذلك لا تحظى أعمال ونشاطات الحزب باهتمام أو تغطية وسائل الإعلام؛ مما يؤكد على أن التعتيم الإعلامي مقصود وهو بقرار سياسي، وبالطبع وراءه صانع القرارات السياسية في بلاد المسلمين، وهو الاستعمار على اختلاف مسمياته.

- **تسليط الأضواء على قضايا سخيفة أو فرعية من أجل استنزاف الاهتمام وإنهاك العقول في التفكير بالمتاهات**

إن من يراقب وسائل الإعلام المحلية أو الدولية أو العالمية يلحظ حجم التشتيت والتسطيح الذي تمارسه هذه الوسائل من أجل اللعب بالعقول والحالة الذهنية والشعورية للمشاهدين أو المتابعين؛ فتارة تجده ينشر خبرًا ويفرد له بابًا ويكرِّره مرارًا عبر النشرات حول خاروف تاه في الغابة واكتسى جسمه بالفرو، وتارة أخرى يفرد تقريرًا مصوَّرًا حول تقاليد ومراسِم أعياد لإحدى القبائل النائية في أقاصي الدنيا والتي لم يسمع بها العشرات عبر عقود، وتارة ثالثة يفرد قصة صحفية حول تجربة

زواج أو بناء بيت لأحد الناس في بلد ما لوجود طرفة أو شيء غريب في تلك التجربة، وتارة رابعة يشغل الإعلام الرأي العام لأيام وأسابيع بقضية لأمير إنجليزي وامرأته لتعرضهما لتنمر أو لفظة عنصرية أو مضايقة لفظية، ويضخم تلك القصة وكأنها قضية عظيمة جديرة بالاهتمام والمتابعة في حين إنها لا تساوي جزءًا من مليار جزء مما تتعرض له الأمة الإسلامية وأبناؤها من وحشية وتنمر وعذاب واضطهاد على يد بريطانيا وأمريكا وروسيا والهند والصين. وتارة تجد الإعلام يسلِّط الضوء على حرفة قديمة يمارسها أحد الهواة أو كبار السنِّ في أقاصي الأرض ويجعل منها قصة درامية أو رومانسية تستهوي المشاهدين.

وبالطبع وبشكل دائم يفرد الإعلام مساحات واسعة لمن يسمَّون بالفنانين، سواء أكانوا ممثلين أم مغنين أم راقصين، ويضعهم في قالب المبدعين وأصحاب الإنجازات، وفي هذه زيادة على أنها إلهاءٌ للعقول وصرفٌ للاهتمامات إلى قضايا لا تسمن ولا تغني من جوع، فيها سم وخبث كبيران؛ إذ يحاول أن يصنع منهم أمثلة وقدوات خاصة أمام الجيل الشاب يحتذى بهم في تجاربهم ونجاحاتهم، وهو ما يساهم في تضليل أبناء الأمة وإفساد أفكارهم وميولهم.

ولا يغيب عنا حجم اهتمام الإعلام بقضايا الفرق الرياضية وأخبار الرياضيين والمباريات، حتى أفرد لذلك قنوات كاملة يوميًا وعلى مدار الساعة، وأقل ما يقال في ذلك إنها إلهاء كبير لأبناء الأمة وإشغالهم بأخبار لا تمت بصلة لمساعي الأمة للنهضة والتحرُّر من ربقة الاستعمار. وإذا ما أضفنا إلى ذلك حجم الإفساد في الذوق والميول والأفكار الذي تساهم به تلك النشاطات والبرامج الرياضية، يمكننا أن ندرك مدى الدهاء والخبث في تسليط واهتمام الإعلام بالرياضة وأخبارها ونشاطاتها.

هذه أمثلة وغيرها الكثير مما ينطبق عليها الفكرة نفسها، وهي الذهاب بالمشاهدين والمتابعين والقرَّاء إلى دوائر الاهتمام بسخائف الأمور، وتسليط الضوء على المفسِدات والموبِقات، وتجاهل القضايا المهمة وذات الصلة بمساعي النهضة، وإشغال للأذهان واستنزاف للاهتمامات في قضايا لا تخدم سوى الاستعمار والحكام بإدامة عصر الاستعمار والتخلُّف.

- **اختلاق صراعات وحروب وهمية تخدم مصالح الاستعمار**

إنّ من الواضح على وسائل الإعلام أنها تختلق صراعات دون أن تكون موجودة على أرض الواقع ودون أن يكون لها تأثير على الحياة اليومية أو الفكرية، فالإعلام يدَّعي أنه ينقل الحدث والرأي والرأي الآخر وأنه مرآة الواقع؛ ولكن الحقيقة أنه يمثِّل في كثير من الحالات صانع الحدث والقصة والواقع ويوهم المشاهد أو القارئ بأن ذلك هو الواقع.

من الأمثلة على ذلك، مسألة الصراع

الطائفي، لا سيما في موضوع (السنَّة) و(الشيعة)؛ فبلد مثل العراق يعيش فيه المسلمون (سنَّةٌ) و(شيعةٌ) وأكرادٌ معًا عبر عقود طويلة مديدة دونما مشاكل تذكر أو صراعات حقيقية، وكذلك الأمر في التعايش في البلاد الإسلامية ما بين (السنَّة) و(الشيعة). وحتى على مستوى الداخل في فلسطين؛ إذ عمد الإعلام فترة إلى محاولة اختلاق وجود صراع بين (السنَّة) وجماعة إيران ممن اتهمهم الإعلام بحمل الفكر الشيعي، وهكذا، وبالطبع يعمد الإعلام إلى تفسير عمالات الحكَّام وصراعاتهم فيما بينهم بسبب اختلاف عمالاتهم إلى أنها تشكِّل خلافًا بين الشعوب وبين المسلمين أنفسهم، مثلما ضخَّم وما زال مسألة العداوة بين إيران والسعودية على أنها عداوة (سنَّة) و(شيعة)، مع أن الحقيقة أن كِلا الحكام في إيران والسعودية أعداء للإسلام على اختلاف مذاهبهم، (سنَّة) أو (شيعة)، وما هم إلا أدوات للمستعمر الأجنبي ينفذون أجندته من خلال الصراع المزعوم. ويهدف الغرب من ذلك إلى إشغال المسلمين بعضهم ببعض لتضليلهم عن العدو الحقيقي، وإذكاء العداوة بينهم لاستنزاف قدراتهم وأموالهم وجهودهم في صراعات وهميَّة لا وجود لها على أرض الواقع، والإعلام هو صاحب حصة الأسد في عملية التضليل وإلهاء الشعوب المسلمة بهكذا صراع مصطَنع.

وكذلك الأمر فيما يصنعه الإعلام من حروب وهمية يشغل بها الرأي العام ويستنزف بها أشباه المفكرين والمراقبين والإعلاميين، من مثل الصراع السعودي القطري الذي أشغل به الإعلام الرأي العام والإعلاميين ومعدِّي البرامج سنوات حتى كادت تصبح نصف نشرات الأخبار والصفحات الإخبارية لكلا الفريقين هي المناكفة بينهما، ثم وفي ليلة مظلمة وبجرة قلم غابت تلك الحرب وانتهت وتصالح الفريقان وتحاضنا، وذهبت مواقف الإعلاميين وأشباه المفكِّرين أدراج الرياح؛ فكانوا كالكلب إذ يرجع في قيئه!. وكذلك الأمر في فلسطين، ومحاولة وسائل الإعلام الحزبية أو الرسمية اختلاق صراع في الشارع الفلسطيني، ما بين غزة ورام الله، وصناعة حرب وهميَّة ما بين فتح وحماس، واستمرار الإعلام في تجيير الأخبار وصناعة القصص الإعلامية على مدار أكثر من ١٥ سنة على أنها صراع فلسطيني فلسطيني، ما بين غزة ورام الله وأبطاله فتح وحماس، مع أن كلتا السلطتين لا تمثلان أهل فلسطين لا في غزة ولا في رام الله، وأهل فلسطين ناقمون على الطرفين لأدوارهما الخبيثة ومشاريعهما الإفسادية وعداوتهما لأهل فلسطين وقضية فلسطين. ومع أن أهل فلسطين ليسوا منقسمين حقيقة بين ضفة وغزة، ولا غزة ورام الله، ولا فتح وحماس، فأهل فلسطين يدركون تمامًا أنهم إخوة وأهل وأصحاب مُصابٍ واحد، وهم يجتمعون على لعن كل المتآمرين والمجرمين والعملاء. ثم جاءت الأيام ودارت السنون فكانت الأضحوكة بأن

هذين العدوَّين اللدودين يقترحان تشكيل قائمة واحدة في الانتخابات القادمة!! ليسكبوا بذلك الماء البارد على وجوه أولئك الذين كانوا وقودًا في إذكاء الصراع وصناعة الحرب الخرافية، ولينكشف أمام العيان كم كان الإعلام متآمرًا مع الاستعمار الذي أراد لذلك الصراع الوهمي أن يطفو على السطح إلى حين.

- **الترويج لمفكِّرين أو شخصيات أو حكام من بوتقة الأنظمة العميلة**

إنَّ من الأدوار الخبيثة التي يقوم بها الإعلام بشكل ممنهَج ودائم صناعة شخصيَّات ومفكِّرين وإعلاميين من جنس النظام ومن أعمدة الاستعمار في بلاد المسلمين والترويج لهم ونفخهم إلى درجة كبيرة، وكذلك الترويج وتلميع بعض الحكَّام ممن يشكلون نموذجًا يريد الغرب تسويقه لأغراضه الاستعمارية.

والأمثلة على ذلك كثيرة متعدِّدة، فلطالما أفردت وسائل الإعلام المنابر والبرامج لأشباه العلماء والمفكِّرين والمشايخ وصنعت منهم أعلامًا وقامات أمام الجماهير؛ لتجعل منهم مرجعية يمرِّرون من خلالهم الأفكار المسمومة والمشاريع الاستعمارية تحت عنوان مفكِّرين وعلماء ومشايخ، فذاك المفكِّر العربي، وذلك فضيلة الشيخ، وهذا المحلِّل والمفكِّر السياسي، وكلُّهم يلتقون في مشرب واحد وهو تمرير ما يريده الحكَّام والاستعمار بغلاف الدين أو الفكر أو الرؤية السياسية. وبالطبع من السهل أن ينطلي ذلك على بسطاء الناس وعوامهم وهم يشاهدون العالم نفسه أو الشيخ أو المفكر وهو يبرز في كل حادثة وعلى كثير من المنابر الإعلامية تحت شعارات التبجيل والتفخيم.

ولم يقتصر الأمر على العلماء والمفكرين والمشايخ، بل وصل إلى الترويج لحكَّام كنماذج لمشاريع وتوجُّهات سياسية ناجحة، أمثال حسن نصر الله وأردوغان والغنوشي والمرزوقي وبنكيران، مع أنهم لا يقِلُّون إجرامًا عن بقية الحكَّام والمتنفِّذين؛ ولكنهم يتميَّزون عنهم بامتلاكهم أدوات وقدرة أكثر من البقية على التضليل والخداع، ويشتركون مع بقية الحكام في أنهم يحفظون مصالح الاستعمار وعلى دوام حالة التبعية للغرب مستخدمين في ذلك شعارات إسلامية أو وسطية أو اعتدالًا أو مقاومة يريدها الغرب أن تنتشر ليصرف المسلمين عن مشروع التحرُّر من الاستعمار والخلاص من التبعية والهَوان.

- **تزيين أعمال وبرامج ومخططات الأنظمة الجاثمة على صدور المسلمين**

إنّ من أقبح أدوار الإعلام وأكثرها وَضاعةً مواصلةَ تزيين أعمالٍ وبرامجَ ومخططاتِ الأنظمة وتصويرها على أنها إنجازات ونجاحات بغية إطالة عمرها والمحافظة عليها من الانهيار، فترى وسائل الإعلام تعمَد إلى بعض البرامج والنشاطات التي تقوم بها الأنظمة، والتي تكاد تكون من مستوى بلديات أو جمعيات في الدول المتقدمة أو

ذات الوزن والاعتبار، فيضخمونها ويظهرونها وكأنها فتح عظيم أو إنجاز كبير، حتى وصل الأمر بأن (جلالة الملك) و(سمو الأمير) و(فخامة الرئيس) و(عطوفة المحافظ) و(معالي الوزير) يفتتحون مشروع صرف صحي أو جمعية طبيَّة أو شارعًا فرعيًا أو متجرًا لبيع المنتجات الوطنية، وغير ذلك من أمثال هكذا أعمال من قبيل أقل القليل الذي ينبغي أن تقوم به الأنظمة تجاه الناس والشعوب والبلاد؛ حتى وصل الأمر بالإعلام أن يصوِّر الحكَّام وهم يقومون بأقل القليل تجاه الناس والشعوب وكأنهم أصحاب فضل ومِنَّة على الناس؛ حتى باتت الصورة النمطية للحكَّام والمسؤولين على أنهم أصحاب المقامات العليا والمناصب الرفيعة الذين يتكرَّمون على شعوبهم بين الفينة والأخرى بزيارة تعاطفية أو مساعدة عابرة أو نظر في شكواهم، وغيَّبوا مفهوم أن الحاكم مسؤول، أي أن الأصل فيه أن يُسأل عن أعماله وإنجازاته ودوره، وأن يخضع للمحاسبة في حال تقصيره، وأن يتمَّ تقييمه بناء على جهوده وأنه خادم للناس وراع لشؤونهم؛ وبذلك غيَّب الإعلام الصورة الحقيقية التي يجب أن تبقى حاضرة في أذهان الناس تجاه الحكَّام والمسؤولين، وهو ما من شأنه أن يقلِّل من عزم الشعوب على التغيير والمحاسبة ومحاولة الإطاحة بالأنظمة والحكَّام.

والخلاصة:

إنّ وسائل الإعلام الفضائية منها والمحلية تابعة للأنظمة في برامجها وسياستها الداخلية والخارجية، وهي من أشد الوسائل الحديثة خطرًا على الأمة، وعندما يحارب الحكام بعضهم ينعكس ذلك على وسائل الإعلام المأجورة لهم؛ ولكنها مع اختلافها فهي تتفق مع بعضها على محاربة الإسلام ومحاربة عودته إلى مسرح السياسة الدوليَّة لاتفاق الحكَّام على ذلك، وقد باتت وسائل الإعلام أداة حادة وسلاحًا فتَّاكًا خبيثًا في مساندة الأنظمة والنيل من الشعوب والأمم للحيلولة دون نهضتها واستعادة سلطانها وحكم الله بإقامة الخلافة الراشدة الثانية قريبًا، إن شاء الله تعالى.

لقد وفَّر الإعلام البديل فُسحة كبيرة للشعوب تجاوز به وسائل الإعلام الفضائية منها والمحلية التي تدَّعي الحيادية، وبات ينافسها في كثير من المواطن، بل وتفوَّق عليها في صناعة الرأي العام والتأثير فيه إلى درجة كبيرة، وهو ما شكَّل تحديًا كبيرًا للأنظمة وللإعلام الرسمي وشكَّل معضلة يحاولون السيطرة عليها من خلال تقييد سياسات النشر على الإعلام البديل، ومن خلال زيادة وجودهم كإعلام تفاعلي على تلك الوسائل. أما الإعلام الرسمي وغير الرسمي الذي يدعي الحيادية، وهو على غير ذلك، فهم ما زالوا أدوات خبيثة بيد الأنظمة؛ ولكن نفوذهم ودورهم في تراجع بفضل الله، وهو ما يبشر بانفراج الأزمة وأفول نجم الاستعمار وأدواته عما قريب، إن شاء الله تعالى. ■

المحور الخامس:

الإسلام هو المشروع الحضاري الوحيد المؤهل لقيادة العالم نحو الخلاص

- فشل آخر للنظام الديمقراطي الرأسمالي: التعامل مع جائحة كورونا

جلب الشقاء على البشرية

- الرأسمالية تترنح والإسلام هو البديل

بسم الله الرحمن الرحيم

فشل آخر للنظام الديمقراطي الرأسمالي: التعامل مع جائحة كورونا جلب الشقاء على البشرية

أحمد الحاج إبراهيم - الأرض المباركة فلسطين

في بداية شهر ٢٠١٩/١٢م، طفَت على السطح ظاهرة الإصابات والوفيات جرَّاء جائحة كورونا الناتجة عن كوفيد ١٩ في مدينة ووهان إقليم خوبي في الصين، وامتدت لاحقًا إلى أقاليم أخرى ومعظم أرجاء الصين؛ ما أدى إلى إصابة عشرات الآلاف وموت الآلاف. وفي شهر ٢٠٢٠/١م، انتقلت الجائحة إلى إيطاليا وبعدها إلى كافة أنحاء أوروبا، ثم عمَّت الجائحة وعمَّ الوباء في شهر ٢٠٢٠/٢م أمريكا وإيران وبقية دول العالم بشكل متفاوت، واستمرت الجائحة في التوغُّل حول العالم تنشر المرض والموت والرعب حتى وصلت الإصابات المسجلة حول العالم مع نهاية شهر رجب نحو ١٢٠ مليون، وعدد الموتى جرَّاء كورونا نحو ٢٦٩٥٠٠٠، ولا زالت الجائحة مستمرة، بالرغم من تصنيع اللقاحات وبدء التطعيم حول العالم.

إن حصول الأوبئة في العالم قبل الإسلام وبعد الإسلام معروف ومشهور في التاريخ البشري، وقد بيَّن الإسلام الأسباب وكيفية التعامل مع الأوبئة في حال حصولها؛ وللدولة الإسلامية وعلمائها وأطبائها باعٌ طويلٌ في التعامل مع الأوبئة، ومصطلحات الحجْر الصحي واللَّقاحات من مصطلحات المسلمين التي انتقلت مع كافة العلوم إلى العالم الغربي ليبني عليها علومه، وقد أفاد العلماء المسلمون البشرية كافَّة، خاصة مع نظرة الرعاية التي ركَّز عليها الإسلام تجاه الرعايا والبشرية كافَّة، وأما تحكُّم المنفعة في النظام الديمقراطي الرأسمالي جعل الغرب بل وكافة الدول حول العالم تتصرف بشكل وحشي تجاه شعوب العالم وتصب في مصلحة السياسيين وأصحاب رأس المال الداعمين للوسط السياسي، ولحق بهم أتباعهم من حكام العالم الإسلامي ومنه العربي.

نظرة الإسلام للأوبئة:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ - أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، فَلَمَّا كَانَ بِسَرْغَ بَلَغَهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ - فَأَخْبَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» البخاري.

وأخرج البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطاعون رِجْزٌ - أو عذاب- أُرسِلَ على بني**

إسرائيل- أو على مَن كان قبلكم- فإذا سمعتم به بأرض فلا تَقْدَموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فِرارًا منه»

وأخرج أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَذَا الْوَبَاءَ رِجْزٌ أَهْلَكَ اللهُ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ، وَقَدْ بَقِيَ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ يَجِيءُ أَحْيَانًا، وَيَذْهَبُ أَحْيَانًا، فَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ، فَلَا تَأْتُوهَا**».

وَرَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ «**كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَمْنَعُ الطَّاعُونَ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ**».

وقد ورد في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد أنه بعد موت الصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه في طاعون عمواس.... اسْتُخْلِفَ عَلَى النَّاسِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - رضي الله عنه - فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الطَّاعُونُ رِجْسٌ مِثْلُ السَّيْلِ، مَنْ يَنْكُبْهُ أَخْطَأَهُ، وَمِثْلُ النَّارِ، مَنْ يَنْكُبْهَا أَخْطَأَتْهُ، وَمَنْ أَقَامَ أَحْرَقَتْهُ وَآذَتْهُ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ فِي الْجِبَالِ...

من مجموع ما سبق يتبين ما يلي:

١- **أن الأوبئة عذاب** ورجس وعقاب للكفار على فسادهم وشرورهم في الأرض ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ ورحمة وثواب وشهادة للمؤمنين إذا صبروا وتضرَّعوا إلى الله. عَنْ أَبِي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤمنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» رواه مسلم.

٢- **إن أول إجراء** في محاربة الوباء هو محاصرة الوباء في المكان الذي يظهر فيه، وهذا يقتضي منع دخول أحد إلى المكان، وهذا واضح حتى لا يصاب بالمرض، ومنع الإسلام الذي نزل به الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج أحد من المكان ولو كان سليمًا؛ **لأن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملًا للميكروب أو الفايروس، وكثير من الأوبئة تصيب العديد من الناس، ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضًا، فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدو عليه أثر من آثاره، فالحمى الشوكية، وحمى التيفود، والزحار، والباسيلي، والسل، بل وحتى الكوليرا والطاعون قد تصيب أشخاصًا عديدين دون أن يبدو على أي منهم علامات المرض، وكذلك كورونا، بل ويبدو الشخص وافر الصحة سليم الجسم، ومع ذلك فهو ينقل المرض إلى غيره من الأصحاء، وهذه الإشارة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المانع للخروج من منطقة الوباء لكل لبيب وطبيب على أن النبي**

الأمي أمر بهذا ليس من عنده وإنما بوحي الله العليم الخبير.

٣- **الإجراء الثاني:** بعد الحجر الصحي على مكان ظهور الوباء كما فعل أمير المؤمنين مع طاعون أو وباء عمواس، هو تباعد الناس في مكان الوباء عن بعضهم البعض للتخفيف من نقل المرض، وهذا ما صنعه عمر بن العاص رضي الله عنه بعد أن تسلَّم الإمارة في عمواس، فقد أمر الناس بالخروج إلى الجبال وتخفيف الاختلاط، وإن لزم الأمر يتم عمل حجر صحي في داخل المدينة الواحدة أو الأحياء، أي ما يلزم لمحاصرة المرض ومنع انتقاله بين المدن أو أحياء المدينة الواحدة حسب المعطيات العلمية من المختصين.

٤- **الإجراء الثالث:** على الدولة توفير الماء للرعية من أجل النظافة، سواء نظافة الأمكنة أم نظافة الأشخاص التي تحصل طبيعيًا من خلال الاستحمام الذي أمر به الشرع أو الوضوء للصلاة والإكثار من ذلك مع التقرب إلى الله والتضرع إليه في الليل والنهار لرفع الوباء وحصول الثواب.

٥- **الإجراء الرابع:** توفير التطبيب والعلاج المجاني للجميع، وعمل الأبحاث الدائمة لإيجاد الأدوية واللَّقاحات للأمراض الجديدة، وهذا قامت به الخلافة حتى هدمها، **وكانت دولة الخلافة العثمانية تعالج المرضى، ووفرت اللَّقاح للتيفوئيد مئتي عام قبل بريطانيا التي حرَّمت كنائسها اللَّقاحات في ذلك الوقت.**

٦- **الإجراء الخامس:** استمرار الناس في أعمالهم الاعتيادية وصناعاتهم وتجاراتهم وحياتهم الطبيعية، خارج منطقة الوباء، مع توفير الغذاء والماء والدواء للمنطقة المحجور عليها بحيث تكفيهم الدولة والأمة حاجياتهم الأساسية والضرورية وما أمكن من الحاجيات الكمالية؛ حتى تساعدهم على الحجر والبقاء دون الحاجة للمخاطرة، والذهاب للعمل من أجل لقمة العيش، ويستمر ذلك حتى يُقضى على الوباء.

كيف كانت ستتصرف دولة الخلافة مع وباء كورونا لو كانت قائمة

دولة الخلافة تتصرَّف وَفق الأحكام الشرعية التي نزلت من فوق سبع سماوات من لدن خبير عليم، الخالق الواحد الأحد، والتي هي دولة رعاية ليس لرعاياها فحسب بل للبشرية كافة، وهذا يقتضي منها أن تقود العالم لمحاربة الوباء فور العلم به، فكان يقتضي منها أن تحاصر الصين فورًا فتمنع أي شخص من القدوم منها إلى بلاد المسلمين وتمنع رعاياها من الوصول إلى الصين، وفي الوقت نفسه كانت ستطلب من الصين إغلاق حدودها مع الدول كافة فتمنع خروج أحد إلى خارج الصين أو قدوم أحد، وكذلك محاصرة المرض في إقليم خوبي وخاصة مدينة ووهان ومنع الدخول والخروج من وإلى المناطق المصابة والقيام بما يلزم من علاجات حتى ينتهي الوباء، وكذلك كانت ستطلب من جميع دول العالم القيام بنفس الفعل وتقديم المساعدة اللازمة من جميع الدول للصين للقضاء على الوباء.

كيف تصرفت دول العالم مع جائحة كورونا

لقد طغت على العالم النظرة النفعية النابعة من النظام الديمقراطي الرأسمالي تُجاه التعامل مع الجائحة، فكان التكتُّم والتضليل والتشفِّي والتخبُّط والفوضى وتغليب المصالح الضيِّقة والشائعات هو الطاغي على معظم المواقف العالمية كافة، فكانت النتيجة ازديادًا في حالة الإصابات والمرض والموت، وركودًا اقتصاديًّا وفقرًا وجوعًا حتى في الدول الكبرى الغنية، أي الشقاء للبشرية كافة إلا من رحم ربي، وسنعرض لبعض مواقف الدول التي أجرمت تُجاه شعوبها وتُجاه البشرية...

أولًا: موقف الصين

طبيب العيون لي وينليانغ، كان أول مَن حذَّر من فيروس كورونا، وتوفي في ٧ فبراير/ شباط ٢٠٢٠م بعد إصابته بكوفيد-١٩ أثناء علاج المرضى في مدينة ووهان الصينية، وحاول وينليانغ تحذير الأطباء من مرض قاتل يشبه مرض السارس، في أوائل شهر ٢٠١٩/١٢م ولكن الشرطة طلبت منه «التوقف عن الإدلاء بتعليقات كاذبة» وخضع لتحقيق بتهمة «نشر شائعات" وبعد مرضه والعديد من الأطباء بنفس المرض، تدخَّلت الحكومة المركزية وتخطَّت مرحلة النكران والتكتُّم، وبدأت باتِّخاذ الإجراءات اللازمة من عزل المنطقة وملاحقة المرض؛ ولكنها استمرت في السماح بدخول الناس إلى الصين وبخروج الناس من الصين إلى كافة مناطق العالم ما أدى إلى انتشاره كالنار في الهشيم، وبالتالي فشلت في احتوائه ليبقى داخل الصين فقط، وإن كانت بعد ذلك بدأت باتِّخاذ الإجراءات الصحيحة والصارمة، وحاصرت المرض في المناطق التي ظهر ويظهر فيها، والسماح لباقي المناطق في الاستمرار بالعمل، ونجحت إلى حد بعيد في ذلك ولكن بعد فوات الأوان، علما بأن الصين متَّهمة من دول العالم بالتكتُّم والتضليل والكذب بشأن أعداد الإصابات والموتى.

ثانيًا: إيران

انتقل وباء كورونا إلى إيران عن طريق الصينيين العاملين هناك في شركة السكك الحديدية الصينية التي تقوم ببناء خط سكة حديد عبر مدينة قم... وتحدثت تقارير صحفية على أن إيران سمحت لـ١٢ رحلة طيران من الصين إلى قُم وبالعكس، أي أن العمال الصينيين نقلوا المرض إلى قُم، وظهرت بعض الحالات في قُم، ثم انتشر الوباء إلى باقي إيران لسببين رئيسيين، أولهما: النظرة المصلحية المتعلقة بسكة الحديد، والعلاقة مع الصين. وثانيها: إن إيران **شهدت في الحادي والعشرين من شهر فبراير/ شباط ٢٠٢٠م انتخابات نيابية جديدة، للبرلمان الذي يحمل اسم مجلس الشورى الإسلامي في إيران؛** ولذلك تكتَّمت الحكومة الإيرانية لمدة شهرين تقريبًا على الإصابات في قُم حتى تتمَّ الانتخابات. وبعد الانتخابات، بدأت إيران إجراءات التصدِّي للمرض ولكن بعد فوات الأوان؛ لأن المرض كان قد تغلغل في قُم والعاصمة طهران ومناطق

أخرى؛ ما جعل إيران بؤرة تفشِّي المرض في الشرق الأوسط، ولو كانت الحكومة الإيرانية تتمتَّع بقليل من نظرة الرعاية التي يفرضها الإسلام لمنعت الصينيين من دخول البلد في أوائل شهر ٢٠٢٠/١م، ولمنعت حركة التنقل بين البلدين، ولكن أنَّى لحكام حاربوا الإسلام والمسلمين، وتعاونوا مع الاحتلال الأمريكي في أفغانستان والعراق وسوريا، أن يكونوا رعاة لشؤون الناس وفق أوامر الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

كيف تصرَّفت أمريكا:

الأصل أن تتصرف أمريكا على أنها هي الدولة الأولى في العالم وقائدة العالم الحر كما يسمونه؛ فتقود العالم وتنظِّم الجهود حول العالم لمنع انتشار الوباء، ولكنَّها تصرَّفت مثل باقي دول أوروبا وبعض الدول الأخرى، بل كان تصرُّفها أقلَّ بكثير من دول ككوريا الجنوبية واليابان وفيتنام، واتَّسمت تصرُّفات أمريكا بالتشفِّي والعنجهية والتخبُّط والتسيُّب وتغليب مصلحة حكامها ومن حولهم من أصحاب رؤوس الأموال، وفيما يلي أبرز الإجراءات التي اتَّخذها ترامب ومن حوله ما أدى أن تحوز أمريكا على نحو ٢٥٪ من الإصابات والوفيات حول العالم، مع أن عدد سكانها لا يزيد عن ٥٪ من سكان العالم:

أولًا: كانت تنتظر أمريكا والغرب قاطبة من الوباء أن يفتك بالصين واقتصادها، واتخذت موقف المتفرِّج والمتشفِّي بالصين، ولم تقدِّم المساعدة للصين لاحتواء الوباء، ولم تفكِّر بأن الوباء سيخرج للعالم ويفتك به، بل كان ترامب كالصبيان يظنُّ أن هذا الفايروس صيني وسيفتك بالصينيين فقط.

ثانيًا: لم تَتخذ الإجراءات اللازمة لاحتواء الوباء في الصين فقط ومنعه من الخروج للدول الأخرى، فكان عليها الطلب من الصين إغلاق حدودها مع دول العالم، ومن ثم عرض المساعدة للصين لاحتواء المرض داخل الصين؛ ولكن أمريكا اكتفت بمنع دخول الصينيين إلى أمريكا، واستقبلت رعاياها القادمين من الصين دون أن تحجر عليهم، واكتفت بعمل فحص الكورونا عليهم، وتبيَّن أن الفحص كان خاطئًا لمدة أسبوعين،كما ورد في تقرير مفصل لقناة CNN حول الموضوع.

ثالثًا: لم تغلق أمريكا حدودها مع العالم وخاصة أوروبا إلا بعد أسيوعين من إغلاقها مع الصين بالرغم من تفشِّي المرض في إيطاليا بشدَّة؛ ولذلك بيَّن أندرو كومو حاكم ولاية نيويورك أكثر من مرة على وسائل الإعلام الأمريكية ومنها CNN أن أمريكا كانت تخشى دخول الوباء من الصين؛ ولكنه دخل من أوروبا لأن نيويورك استقبلت نحو ثلاثين مليونًا من أوروبا وحول العالم؛ ما أدى إلى أن تصبح نيويورك بؤرة تفشي الوباء حول العالم لعدة أشهر.

رابعًا: لقد أخفت الإدارة الأمريكية أي إدارة ترامب المعلومات عن حقيقة الفايروس عن الشعب الأمريكي والعالم، وهذا تبيَّن بعد نشر الصحفي الأمريكي المشهور بوب

وودورد تسجيلات صوتية لمقابلاته مع ترامب والتي تظهر بأن ترامب كان يعلم بأن الفايروس «**ينتقل بالهواء**» وبأنه أخطر من الإنفلونزا بنحو ٥ مرات أو أكثر، وأنه قيل له بأن الفايروس سيكون أكبر تهديد لرئاسته... وبأنه أخفى المعلومات حتى لا يثير الهلع لدى الشعب الأمريكي، والحقيقة أن ترامب بالرغم من تلقِّيه الإحاطات حول الفايروس قبل وبعد عودته من الهند في أواخر شهر ٢٠٢٠/٢م، وعلم مدى خطورة الفايروس؛ إلا أنه كان يدَّعي أنه مثل الرشح بسيط وسينتهي خلال أيام، ولم يتصرَّف بجدِّية إلا لمرة واحدة، وهو بعد أن فتك المرض في مدينة نيويورك في شهر ٣ مارس/٢٠٢٠م ووقَّع قانون الدفاع من أجل أن تتحوَّل الشركات لصناعة أجهزة التنفس وغيرها مما يلزم من أدوات مثل الكمَّامات وأجهزة الفحص وأدوات الفحص وغير ذلك مما يلزم لمحاربة الفايروس ومعالجة المرضى، ولم يُلزم الشركات على تنفيذ القرار إلا بعد نحو أسبوعين من توقيعه؛ ما أدى إلى أن يعمَّ الفايروس كافة الولايات، وأن تعاني المستشفيات معاناة شديدة ودفن الموتى في مقابر جماعية في نيويورك. وتحت الضغط أعلن عن الإغلاق، ثم ما لبث أن فكَّه وحرَّض الشعب على الوقوف في وجه حكام الولايات لفكِّ الإغلاق، وأثارت تصرُّفاته ولامبالاته وتردده وعدم وضع سياسة موحَّدة إلى فوضى عارمة وتخبُّط في الإجراءات؛ ماحدا بعالم الفايروسات الأمريكي ومدير مراكز مكافحة الأمراض والوقاية في عهد ترامب روبرت راي ريدفيلد للقول أمام الكونجرس: «**هذا الفايروس ركَّع الأمة على ركبتيها**». وبعد مرور سنة كاملة على اعتراف ترامب الجزئي بخطورة الوباء، أي حتى منتصف شهر ٣ مارس/٢٠٢١م بلغت الإصابات في أمريكا حسب إحصائيات جامعة هوبكينز نحو ٢٩ مليون والوفيات نحو ٥٤٠ ألف.

كيف تصرفت بريطانيا:

لقد وصفت تصرفات رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون بالاستهتار بعد حالة المراقبة والتشفِّي بالصين مثله مثل ترامب، وكان أعلن أنه صافح الجميع بينهم مرضى بكورونا خلال زيارة إلى المستشفى في مطلع شهر ٣ مارس/ ٢٠٢٠م، ومن ثم أعلن في ١٢مارس أنه يتعين على العائلات الاستعداد لفقد أحبَّائها خلال الأشهر القادمة، ثم أعلن كبير المستشارين العلميين للحكومة البريطانية السير باتريك فالانس في ١٣ مارس٢٠٢٠م عن مناعة القطيع، وبعد أن انتشر الفايروس وأصيب جونسون بالمرض ودخل العناية المكثَّفة استنفرت الحكومة البريطانية واتَّخذت إجراءات لمحاربة الوباء ولكن بعد فوات الأوان...

وأما بقية دول العالم بما فيها إيطاليا وفرنسا وألمانيا، وكيان يهود، فتصرُّفاتها ما بين هذه وتلك، تكتُّم وتجاهل وتخبُّط ومن ثم استنفار على غير بصيرة، وأنانية مفرطة جعلت هذه الدول تسرق بعضها البعض، كشحنات الكمَّامات وغيرها من لوازم محاربة الوباء،

حتى دول الاتحاد الأوروبي فقدت التنسيق وأغلقت الحدود فيما بينها. وما أورد البشرية الشقاء، جره تفكيرهم النابع من المنفعة التي فرضها النظام الديمقراطي الرأسمالي كمقياس للأعمال والتصرفات فما زادوا البشرية إلا رهقًا.

ولا أدلُّ على جرائم النظام الديمقراطي الرأسمالي الذي يتحكَّم في دول العالم من موضوع اللَّقاح. ففي الوقت الذي غرق العالم في الوباء واكتشفت الشركات لَقاحات تعمل على احتواء الوباء أو تخفف من وطأته، تصرَّفت الدول الكبرى الغنيَّة بأنانية واستحوذت على اللَّقاحات، وتناست الدول الفقيرة، وأبقت الاحتكار للشركات من أجل تحقيق الأرباح تحت مُسمَّى الملكيَّة الفكريَّة، بدلًا من الاستماع لنداءات العقلاء والخبراء في العالم من أجل إصدار قوانين طارئة تمنع الاحتكار وتجعل جميع الشركات حول العالم تتعاضد وتشارك في إنتاج اللَّقاحات في وقت قصير لوقف الوباء؛ ولكنه نظام دولي رأسمالي بشِع، ولا حلَّ لمشاكل العالم إلا بالقضاء عليه.

بقيت مسألة واحدة تتعلق بمصدر الفايروس، وطرحت الأسئلة والفرضيات والأبحاث حول ذلك، وصاحبَ ذلك هرجٌ ومرجٌ وتضليلٌ وتهريفٌ لمن لا يعرف.

بداية نقول بأن الدول الغربية قاطبةً والصين وروسيا وأصحاب رأس المال ليس بعيدًا عنهم تطويرُ الفايروسات وتحويرُها وإلحاقُ الضرر بالبشر؛ لكن التحليل السياسي لا يعتمد على الفرضيات والظنون والفيديوهات والأخبار المفبركة وإنما على وقائع ومعلومات وترجيح بغلبة الظن؛ ومن هنا أقول إنه بغلبة الظن أن هذا الفايروس طبيعي من خلق الله، وهو عقاب ورجس على الكافرين ورحمة للمؤمنين الصابرين للأسباب التالية:

أولًا: إن الخبراء والباحثين من الكفار ومن المسلمين وما أكثرهم، ثبت لديهم من خلال مقارنة بيانات تسلسل الجينوم المتاحة لسلالات الفيروس التاجي المعروفة، وهم يؤكدون بشدة على أن الفايروس التاجي نشأ من خلال العمليات الطبيعية، ويقولون: تم دعم هذا الرأي من خلال بيانات عن العمود الفقري (النتوءات التي شبَّهوها بالعمود الفقري للفيروس) وهيكله الجزيئي الشامل، ومن أراد تصنيع الفيروس مخبريًا فإنه يظهر ذلك في العمود الفقري للفيروس أي النتوءات.

ثانيًا: إن الذين قالوا بأن الفايروس كان موجودًا وتم تطويره في المختبرات فقد استدلوا على ذلك بأمور أهمها:

- إن الفايروس التاجي (كوفيد ١٩) يؤثر على مجموعة أجهزة في الجسم وليس جهازًا واحدًا فقط كما هو حال أغلب الفايروسات، وإن قوته وسرعة انتشاره عالية جدًا بحيث أن هذا التطور يحتاج إلى ٨٠٠ عام حتى يصل إلى ما وصل إليه.

- إن الدول كلما قاربت على احتواء الفايروس يتمُّ تحويره وتطويره إلى شكل آخر أقوى وأسرع انتشارًا، وإن هذا حصل عدة

مرات، ويقولون إن هذا ليس طبيعيًا وإنما بفعل فاعل.

- وحينما يُسألون عن المستفيد يجيبون بأن أصحاب رأس المال الكبار في العالم هم المستفيدون، وأنهم يحكمون العالم، والحكام في العالم تبعٌ وأدواتٌ، ولا يستطيعون تسمية شخصيات أو شركات بعينها...

ونجيب على ذلك كله بأن الكلام عن التطوُّر والتحوُّر وإعطائه ٨٠٠ عام مبني على ظنون وليس على علوم حقيقية، كما هو حال نظرية التطور (نظرية داروين) فهي قائمة على الظنون والفرضيات، وغالبية الباحثين في الأحياء والجينات في الغرب لا يؤمنون بالخلق أصلًا وإنما جلُّ علومهم مبنية على نظرية التطور الطبيعي للكون والإنسان والحياة، ومنها الحيوانات والفايروسات، ولذلك ينظرون على أن جميع المخلوقات حصلت صدفة وتتطور، ووضعوا نظريات لا يقوم عليها دليل وسمَّوها علومًا.

على كل حال، ولأنه لا يوجد دليل حسي ولا بغلبة الظن يثبت بأن هذا الفايروس تمَّ تطويره في المختبرات، فإننا نقول أن من خلق الفايروس بهيئاته الأصلية كورونا فيريدي، وسارس١، وسارس ٢... هو الله الخالق الواحد الأحد، وهو قادر على أن يخلق فايروس كورونا ١٩ بهيئته الجديدة، ولا يلزم الله سبحانه وتعالى سنوات أو مئات السنين لخلقه أصلًا أو خلقه بصور أخرى أشد فتكًا وأسرع انتشارًا أو أدنى أو أقل، وإنما سبحانه وتعالى يقول للشيء كن فيكون ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾.

والأمر الثاني، عند توجيه الاتهام لعدوٍّ وهميٍّ يريد الشر بالبشرية، فهذا يقلِّل من جرائم الدول وحكَّامها الذين تهاونوا واستهتروا وقصروا في التعامل مع الوباء وبالتالي أجرموا بحق شعوبهم وبحق البشرية ويجب على الشعوب محاسبتهم. فالحديث عن نظرية المؤامرة، والتقرير بأن الفايروس مصنَّعٌ أو مطوَّرٌ في الحقيقة يصبُّ في مصلحة الحكَّام، وخاصة حكام الدول الغنية صاحبة النظام الديمقراطي الرأسمالي؛ لأن اتِّهام المجهول يمنع محاسبتهم على تقصيرهم في التعامل مع الوباء من بدايته إلى هذه اللحظة، مع أنهم أجرموا بحق البشرية.

وفي الختام نقول إن هذا الفايروس وهذا الوباء كشف عوار النظام الديمقراطي الرأسمالي بجميع أشكاله البشعة، وأظهر وعمق الانقسام بين الدول الكبرى وفي داخل هذه الدول، وأظهر أن شعوب العالم لا تثق بالحكام والسياسيين والرأسماليين، وألقى الضوء على الإسلام ومعالجاته للأوبئة، وأظهر أن العالم بحاجة إلى نظام دولي جديد ومبدأ آخر غير النظام الديمقراطي الرأسمالي، ولا يوجد غير الإسلام يصلح لإنقاذ البشرية مما هي فيه إذا وُضع موضع التطبيق في دولة الخلافة على منهاج النبوة التي حان بزوغ نورها وعدلها بإذن الله. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الرأسمالية تترنح والإسلام هو البديل

مازن الدباغ - العراق

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وجعله خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ ولم يتركه حيران في هذا الاستخلاف لأنه تعالى خلقه فاقدًا لأهلية التدبير، فهو مخلوق عاجز محدود ناقص محتاج، بل أرسل الله تعالى رسله وأنزل عليهم شرائعه ليبلِّغوا الناس ما أنزل إليهم من ربهم بعد أن أقاموا البرهان والحجة على أنهم رسل ربهم، وأمرهم بتطبيقها، وتوعدهم بالعذاب الشديد إن هم حادوا عنها، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾. وختم رسله برسوله محمد ﷺ وأنزل عليه شريعته التي هي خاتمة الشرائع وجعلها مفصلة عامة شاملة لجميع نواحي الحياة، وكان عليه الصلاة والسلام من أول يوم بعث فيه وهو يسعى إلى جعل العبودية لله وحده والسيادة له سبحانه وتعالى، واعتبر أن ما سوى الله مهما كان شكله أو نوعه هو طاغوت يجب الكفر به، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

نعم لقد كان عليه الصلاة والسلام يسعى لتأسيس دولة تطبِّق ما أنزل الله سبحانه وتعالى إليه، فلاقى ما لاقى من الصدِّ والإيذاء، واتَّهموه - حاشاه - بالسحر والجنون وهو متحمِّل كل ذلك وصابر عليه من قومه الذين كانوا يصفونه قبل البعثة بالصادق الأمين، فتوجَّه خارج مكة وأخذ يلتمس النصرة من أهل القوة من القبائل الأخرى لتمكِّنَه من تطبيق شرع الله. فمنهم من اشترط عليه، ومنهم من ردَّه بالحسنى، ومنهم من آذاه وسلّط عليه الصبية ترميه بالحجارة كما فعلت الطائف، وهو في كل ذلك صابر وواثق بنصر الله، وكذلك تحمَّل صحابته والذين كانوا يمثِّلون كتلة المؤمنين، تحمَّلوا ألوان العذاب من المشركين فقد كان بلاؤُهم شديدًا، ومِحنتُهم عظيمةً، وكان خَبَّابُ بنُ الأرتِّ رضِي اللهُ عنه مِن أشدِّ الصَحابةِ تعرُّضًا لِلعذابِ في مكَّةَ في بدايةِ البعثةِ النَّبويَّةِ، فجاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ مع بعضِ أصحابِه فيما يرويه

البخاري عن خباب بن الأرت حيث قال: «**شَكَوْنا إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنا: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا ألا تَدْعُو لَنا؟ فقالَ: قدْ كانَ مَن قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فيها، فيُجاءُ بالمِنْشارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، ويُمْشَطُ بأَمْشاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ، فَما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمْرُ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلَّا اللَّهَ، والذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**».

هكذا كان ﷺ واثقًا بتمام الإسلام، يعني هذا الدين، وأن الله مُظهره على سائر الأديان، فيكون لأهله من القوة والمنعة والظهور ما ترتفع به هذه الغربة والأذى والعنَت الذي يلقونه من المشركين، فكان كما قال عليه الصلاة والسلام بعد أن بايعه أهل النصرة من المدينة المنورة، فقامت دولة الإسلام، وتحقَّق الاستخلاف في الأرض، وحمل المسلمون هذه الأمانة وفتحوا البلدان وهم يبذلون أرواحهم في سبيل الله ونشر دينه، وعاشت الأمة الإسلامية في ظل شرع الله بالسعادة والطمأنينة في الحياة الدنيا ساعين إلى رضا الله سبحانه وتعالى ونيل جزائه، فتحقَّق فيهم قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

كانت هذه الدولة، الدولة المثال في الأرض في جميع نواحي الحياة؛ ففي جانب الحكم والسياسة الخارجية كانت الدولة الأولى في الموقف الدولي بلا منازع... وفي جانب الاقتصاد فقد ازدهرت وقضت على الفقر في غضون عقدين من الزمن، وفي عام ٨٦ للهجرة فاض المال في دولة الخلافة عندما تسلمها الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكانت خطبته عند تسلُّمه الحكم فيما يرويه ابن كثير في البداية والنهاية عن سلام بن سليم، قال: «لما وَلِيَ عمر بن عبد العزيز صعد المنبر، وكان أول خطبة خطبها، حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، من صحبنا فليصحبْنا بخمس، وإلا فليفارقْنا، يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويُعيننا على الخير بجهده، ويدلُّنا من الخير على ما لا نهتدي إليه، ولا يغتابنَّ عندنا الرعية، ولا يعرضنَّ فيما لا يعنيه» فانقشع عنه الشعراء والخطباء، وثبت معه الفقهاء والزهاد، وقالوا: ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعلُه قولَه. فعمَّ الرخاء في عهده، حتى إنه لم يبقَ للفقر وجود في دولته الممتدة الأطراف، وكان رحمه الله يخاف أن يكون له خصم من المظلومين أو الفقراء يوم يلقى ربه عز وجل، وقد دخلت عليه زوجته فاطمة يومًا فوجدته جالسًا في مُصلَّاه واضعًا خدَّه على يده ودموعه تنهمر على خديه، فقالت له: ما بك؟ فقال: ويحكِ يا

فاطمة، قد وُلِّيتُ من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ وعلمت أن لا حجة عند خصومته فرحمت نفسي فبكيت». (البداية والنهاية)

وهذا لم يتحقَّق إلا في المجتمع المسلم، فلم يتحقَّق في مجتمع شيوعي يلغي الفرد في سبيل المجموع، أو رأسمالية تعظم الفرد ولو على حساب المجموع، بل إن الإسلام يراعي الفرد والجماعة معًا؛ لأنه يعتبر الفرد جزءًا من الجماعة. فيَترك للفرد أن يجني المال بعمله ويبيِّن له أسباب التملك وتنمية المال بأحكام شرعية، ويحرِّم الربا والغش والسرقة، وهنا يراعي الفرد، ثم يطلب منه فقط حق الزكاة وما تجود به نفسه من صدقات، ليتم توزيعها على فقراء الأمة ممن يعجز عمله عن سد احتياجاته، وهذه مراعاته للجماعة.

وفي الجانب الاجتماعي وعلاقة الرجل بالمرأة فقد كانت الدولة الإسلامية قمة في الطهر والعفاف والخلق الكريم والترابط الأسري.

وفي جانب التعليم والثقافة فقد كانت مشعلًا للحضارة والمدنية، أمة متميزة حتى كان الغرب يرسل أولاده وبناته ليتعلَّموا في دولة الخلافة، وما يوجد اليوم في البلاد الإسلامية من بنيان يعود لهذه الدولة خير شاهد على التطور الذي حقَّقته دولة الخلافة آنذاك.

وفي ظل هذه الدولة عاش المسلمون وغيرهم ممن يملك التابعية العيش الكريم، ليست لعلاقاتِ الدم، ولا علاقات الأرضِ، ولا علاقاتِ الجِنس، ولا علاقات التاريخ، ولا علاقات اللُّغة، ولا علاقات الاقتصاد، وليست هي القرابةَ، وليست هي المصالحَ الاقتصاديةَ، إنما هي علاقةُ العقيدة وما انبثق عنها من أحكام وما بني عليها من أفكار؛ وبذلك تجاوزت الإطار القوميَّ القائم على النَّظرة العِرْقية للأمة، وصهرت الأعراق في بوتقة الإسلام، عاش في ظلها أبو بكر العربي مع بلال الحبشي مع صهيب الرومي، هوية الإسلام والتي قاعدتها كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ وبيَّنها عليه الصلاة والسلام فيما يرويه الإمام أحمد في مسنده عن أبي نضرةَ قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**».

وبقيت هذه الدولة شامخةً قرابة الثلاثة عشر قرنًا حتى أصابها داء الأمم السابقة كما قال ﷺ فيما يرويه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة: «**سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: «**الْأَشَرُ**» أي كفر النعمة «**وَالْبَطَرُ**» أي الطغيان عند النعمة «**وَالتَّكَاثُرُ**» من جمع المال «**وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ**» أي مجاوزة الحد «**ثُمَّ يَكُونَ الْهَرْجُ**» أي القتل، وهذا تحذير شديد من التنافس في الدنيا والتحاسد عليها، فإن ذلك أصل الفتن وعنه تنشأ الشرور، وهكذا دبَّ الضعف على هذه الأمة واستطاع الغرب الكافر غزوها ثقافيًا وعسكريًا، وأثار النعرات القومية والطائفية وعمل على تفريقها، مع أن الشرع قد حذَّر من الفتنةِ المترتِّبة على انقسام المسلمين وموالاة الكفار لكونهم أولياء بعض؛ لأجل المحافظة على حقِّ وكِيان الأمَّةِ والدولة النَّاجمة عنها؛ قال تعالى: ﴿۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾، وأمرهم بوحدة الصف والاعتصام بحبله، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾، ثم تمكن الغرب الكافر بقيادة رأس الكفر آنذاك بريطانيا من هدم دولة الخلافة وتمزيقها إلى كيانات هزيلة تابعة له، ومنذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا تعيش الإنسانية الشقاء وضنك العيش بعد أن تفرد النظام الرأسمالي بصوغ طريقة العيش للعالم، فوضع العالم على بركان ملتهب.

فعندما جعل النظام الرأسمالي السيادة للإنسان وأخذ يشرِّع ويسنُّ القوانين للفرد والجماعة ومقياسه في ذلك النفعية، فليس هناك قيم روحية أو إنسانية أو أخلاقية، إنما هناك النفعية والنفعية فقط، فهذا النظام البشِع والخطِر على الإنسانية قد أدخل العالم والأُمم في الأزمات، فأزمات اقتصادية واحدة تلو الأخرى وتفقير للشعوب وتجويعها، وحروب شرَّدت الملايين من الأبرياء وقتلت الملايين، لا لشيء إلَّا للاستحواذ على البلدان ونهب ثرواتهم، وباتت شعوبهم في ظل هذا النظام تعيش التفكك الأسري وانتشار الرذيلة والفواحش والشذوذ والأوبئة والتي لم تسمعْ بها الأمم السابقة كالإيدز والجمرة الخبيثة وإنفلونزا الطيور وجنون البقر وفيروس كورونا، فأوقع الإنسانية في المشاكل والأزمات من غير أن يستطيع حلَّها مصداقًا لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾.

واستمرَّ هذا النظام البشع يُذيق الأمم ومنها الأمة الإسلامية الويلات حتى برز على الساحة السياسية حزب سياسي درس الإسلام وجميع الحركات التي قامت لنهضة الأمة، وبيَّن سبب إخفاقها، وقدّم منظومة إسلامية متكاملة تبدأ بحل العقدة الكبرى وهي العقيدة، مرورًا بنظام الحكم والنظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي والقضاء وسياسة التعليم، وصولًا إلى دستور الدولة المستنبَط من الكتاب والسنة، ودخل المجتمع متفاعلًا ومتقيِّدًا بطريقة الرسول ﷺ بالصراع الفكري والكفاح السياسي، فلاقى ما لاقى من المطاردة والتعذيب والتشريد من قبل أزلام الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين، كل ذلك وهو متمسِّكٌ بثوابته، واثقٌ بوعد الله بالاستخلاف في الأرض بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾. وعندما شعر الغرب الكافر بتطلُّع أمة الإسلام إلى إسلامها والعودة إلى سالف مجدها بعد أن قطع حزب التحرير أشواطًا كثيرة ودنا من تحقيق هدفه، واستطاع أن يوجد الرأي العام على الإسلام، وبات لديه رجال دولة، ولم يبقَ لديه إلا النصرة من أهل القوة والمنعة ليمكنوا الحزب من استئناف الحياة الإسلامية وقيام دولة الخلافة التي بشَّر بها رسول الله ﷺ بعد الحكم الجبري الذي بات يلفظ أنفاسه الأخيرة، فيما رواه الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثمَّ سَكَتَ**»، نعم عندما شعر الغرب بذلك استشاط غضبًا وأعلن الحرب على الإسلام، حتى فقد توازنه وهو يحاول إجهاض هذا المولود، وركَّز على محاربة الإسلام السياسي بحجة محاربة الإرهاب، والعودة إلى تجديد الخطاب الديني إلى محاولة اللعب بنصوص الشرع بالدعوة إلى مهاجمة كتب السنة الصحاح كالبخاري، وهكذا وصل الصراع بين الحقِّ والباطل بحالته المثالية بين قطبين: بين دول الغرب التي تمثل الرأسمالية وبين الأمة وعلى رأسها حزب التحرير، وكلما تمرُّ الأيام على هذه المعركة يزداد الباطل ضعفًا وتزداد الرأسمالية ترنُّحًا، وفي المقابل يزداد الحقُّ صلابة وتزداد ثقة الحزب

بتحقيق هدفه، وهذه ليست أماني بل واقع يشاهده السياسي العالِم بسياسة الدول والذي يعرف كيف تنهار الدول وكيف تنهض الأخرى.

وفي هذا الواقع، ومن هذا المقام، لا بُدَّ من توجيه رسالتين:

الأولى: للعلماء

هذه الشريحة من المجتمع التي رفعها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾، وحمّلهم الأمانة فكانوا ورثة الأنبياء، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**» فهل كان عمل الأنبياء إلا توحيد الخالق وتحكيم ما أُنزل إليهم في أرض الواقع؟ وإن كنا نرى العلماء الربانيِّين يحاسبون الحكام وهم في ظل حكم الإسلام أمثال أحمد بن حنبل والعز بن عبد السلام رحمهما الله فإن الحاجة اليوم أشد والواجب آكد على العلماء بأن ينتشلوا الأمة وينيروا لها دربها، وأن يكونوا في مقدمة الناصحين والمحاسبين. ونحن نعيش الملك الجبري وقد كشَّر الكفر عن أنيابه بهجمته الشرسة على الإسلام والمسلمين، فلا بُدَّ من تأدية هذه الأمانة ونصح الأمة والأخذ بيدها لمرضاة الله، ومؤازرة العاملين المخلصين من الأمة لتحكيم شرع الله؛ فتنالون بذلك سعادة الدنيا ونوال رضوان الله في الآخرة، وإلا فقد أوقع من شرّفه الله بإتيان آياته ثم انسلخ عنها، فيما حذر الشرع منه أشد التحذير ووصفه بأشنع وصف، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾.

الثانية: لأهل القوة والمنعة

فالنصرة من أعظم الأحكام الشرعية، بها تقام الدولة ويعود الحكم بما أنزل الله؛ فيُقضى على الظلم والظلمات التي تعيشها البشرية عامة والمسلمون خاصة من تسلُّط الرأسمالية العفِنة، فقد مدح الله سبحانه وتعالى هذه الشريحة التي نصرت رسول الله ﷺ وسمَّاهم الأنصار وشهد لهم بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾، ولم

ينسَ رسول الله ﷺ فضلهم، ففي غزوة حنين عندما وجد الأنصار في أنفسهم جدة بسبب توزيع الغنائم، وبعد أن ذكر فضل الله عليهم قال: «**أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ؟ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ؛ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ**»، بهذه العبارات الصادقة أجاب رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه وهو يذكر فضلهم، وما قاله ﷺ في فضلهم ومدحهم دليل على أهمية وعظم ما قاموا به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ**» فقال أبو هريرة رضي الله عنه: «مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي، آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ» (رواه البخاري)، وجعل النبي ﷺ حبَّهم علامة على الإيمان، وبغضهم أمارة على النفاق، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**» (رواه البخاري)، وقبل وفاته ﷺ بأيام أوصى بهم قائلًا: «**أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**» (رواه البخاري)، ويكفي في فضلهم وحب النبي ﷺ لهم دعاؤه بالمغفرة لهم، ولأبنائهم، وأبناء أبنائهم، ونسائهم، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَلِنِسَاءِ الْأَنْصَارِ**» (رواه البخاري).

فلهذا الفضل، ولهذا الشرف، ولهذه المنزلة، ندعوكم يا أهل القوة والمنعة لنصرة الإسلام وتحكيم شرع الله، فإخوانكم العاملون لتحكيم شرع الله من حزب التحرير قد قطعوا شوطًا كبيرًا في تحقيق هذا الفرض، وإتمام هذا الأمر يقع عاتقكم؛ فأنتم من يملك القوة والمنعة ونصرة الدعوة، فتتحقق على أيديكم إقامة الخلافة، وعندها تحقِّق الأمة ذاتها وكيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتطبِّق مجموعة المفاهيم والمقاييس والقناعات التي ترتكز على العقيدة الإسلامية، وتقومُ بعد ذلك بالجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام وتبليغه.

وفي الختام، ومما تقدَّم نقول: لقد بات واضحًا اليوم ترنُّح الرأسمالية وقرب سقوطها، وإن ثمار الدعوة قد أينعت وحان قطافها، ووعد الله سبحانه وتعالى وبشرى رسوله ﷺ بات قريبًا بإذن الله، نسأله تعالى تعجيل نصره والتمكين في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر رمضان شهر شحذ الهمم

يـوســف أبـو إســلام

الأرض المباركة فلسطين

يُعَدّ شهر رمضان من أفضل شهور السنة عند الله؛ فهو شهر الصيام والقيام، وهو شهر عظيم للتزوُّد فيه من الخير، وهو الشهر الذي أنزل الله فيه القُرآن؛ لقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾، وهو شهر يفرح المسلمون بقدومه فيستقبلونه وملؤهم استعداد لعبادة الله فيه، والتقرب إليه بالصيام، والقيام، والدعاء، وقراءة القرآن، والذكر ... فشهر رمضان شهر يجدد فيه المسلم إيمانه، ويقوي صلته بربه، فيصير خلقاً آخر، لايميل إلى الإخلاد إلى الأرض، ويرفرف إلى آفاق الملائكة.ويُعَدّ الصيام من أركان الإسلام الخمس؛ فلا يكتمل إسلام العبد إلّا به؛ لقول النبيّ محمد صلّى الله عليه وسلّم: (**بُنِيَ الإسْلامُ علَى خَمْسٍ: شَهادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وحَجِّ البَيْتِ، وصَوْمِ رَمَضانَ**).

ولقد كان السلف الصالح رحمهم الله، يجعلون من شهر رمضان دورة إيمانية ومعهدًا خاصًّا للتربية النفسية، فأما نهارهم فصيام ودعوة وذكر، وأما ليلهم فقيام وتلاوة وفكر، وأما نظرهم وخواطرهم فعبرة وعظة وإلهام.. حديثهم قرآن وخُلُقهم قرآن. وقد سُئلت أم المؤمنين عَائِشَة رضي الله عنها عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**».

فالتقوى ثمرة من أهم ثمرات الصيام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ١٨٣﴾ وما أمرنا الله بما تعبّدنا إلا من أجل التقوى، فقد قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ٢١﴾ بل إن ما فرضه الله من القصاص جعل غايته التقوى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ١٧٩﴾.**فالتقوى** هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، **والمتَّقون** هم الذين يراهم الله حيث أمرهم ولا يقدمون على ما نهاهم عنه... **والمتَّقون** هم الذين يعترفون بالحق ويعرفونه ويؤدونه، وينكرون الباطل ويجتنبونه، ويخافون الرب الجليل الذي لا تخفى عليه خافية... **والمتَّقون** هم الذين يعملون بكتاب الله فيحرِّمون ما حرّمه ويحلّون ما أحلّه، فهم

لا يخونون في أمانة، ولا يرضون بالذل والإهانة، ولا يعقّون ولا يقطعون، ولا يؤذون جيرانهم، بل هم يصلون من قطعهم، ويعطون من حرمهم، ويعفون عمن ظلمهم، الخير عندهم مأمول، والشر من جانبهم مأمون، لا يغتابون، ولا يكذبون، ولا ينافقون، ولا ينمُّون، ولا يحسدون، ولا يراؤون، ولا يرابون، ولا يقذفون، ولا يأمرون بمنكر ولا ينهَون عن معروف، بل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، تلك صفات المتقين حقًّا الذين يخشَون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون. ومما أثر عن السلف: «**إن من علامة التقوى أنك ترى لها قوة في دين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحرصًا في علم، وعلمًا في حلم، وقصدًا في غنًى، وخشوعًا في عبادة، وتحملًا في فاقة، وصبرًا في شدة، وطلبًا في حلال، ونشاطًا في هدى، وتحرجًا عن طمع**».

والتقوى درجات: أعلاها فعل الواجبات والمستحبات، وترك فضول المباحات، وتجنُّب المحرمات والشبهات والمكروهات، والورع عما تخشى عذابه في الآخرة. وأدناها فعل الواجبات، وترك المحرمات مع ترك المستحبات وفعل المكروهات، والتوسع في فضول المباحات وقلة الورع.

ومن علامة التقوى: عدم الغفلة وعدم الاستخفاف بالمنكر من الأقوال والأفعال، والضيق بالمنكر إذا حصل، والتأذي منه إذا وقع، والفزع إلى الله طالبًا الخلاص، هذا من صفات المتقين... فالتقيُّ إذا وقع في المعصية لا يمكن أن يستريح حتى يعود إلى الله طالبًا الصفح والمغفرة مما ألمّ به، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾، فلا يمكن أن يجدوا أمنًا ولا طمأنينة إلا بالخروج من تلك الحال؛ وذلك بالاستغفار والتوبة إلى الله.

ومن علامة التقوى: تحرِّي الصدق في الأقوال والأعمال، سواء مع الله أم مع الناس، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾فالصدق مع الناس يكون في تعاملاته وفي بيعه وشرائه وفي شأنه كله، ومع الله في الثبات على الحق وقت الشدائد، وفي اجتناب المحرمات في الخلوات وغيرها من المواقف.

ومن علامة التقوى: تعظيم شعائر الله ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ وشعائر الله هي: معالم الدين الظاهرة، كالصلاة والزكاة والحج والحكم بما أنزل الله في دولة لها سلطان وكيان. فما معنى تعظيم شعائر الله؟ تعظيم شعائر الله يعني عدم التهاون في تطبيقها، والإنكار على من يتهاون فيها، فالحكم بالإسلام شعيرة عظيمة

من شعائر الله، ويلزم للحكم بالإسلام وجود دولة وخليفة ذي سلطان، فلا يتحقَّق تعظيم هذه الشعيرة إلا بالعمل الجاد المخلص لإيجاد هذه الدولة التي تطبِّق الإسلام وتُظهر شعائره وتعظِّمها.

فالصيام من شأنه أن يحقق التقوى، والتقوى من معالمها تعظيم الشعائر وخاصة شعيرة الحكم بالإسلام؛ ولذلك لا يصح من الصائم أن يعظِّم سنَّة صلاة التراويح، وفي الوقت نفسه يتكاسل عن تعظيم شعيرة العمل الجاد والمخلص لإيجاد الخلافة التي تعظِّم شعيرة الحكم بما أنزل الله؛ ولذلك واجب على المسلمين، وهم يعبدون الله بالصيام، أن يحقِّقوا مراد الله من الصيام، ألا وهو التقوى. وواجب على المسلمين، وهم يحققون ثمرة التقوى من صيامهم، أن تدفعهم هذه التقوى إلى تعظيم شعائر الله كلها، وعلى رأس هذه الشعائر شعيرة العمل لإيجاد الخلافة لأنها هي تاج الفروض.

ومن علامة التقوى: الورع عن المحرمات وعن أي شيء قريب منها، قال عليه الصلاة والسلام: «**دَع ما يريبُكَ إلى ما لا يريبُكَ**» وقال أيضًا: «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتَّقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا لما به بأس**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

والورع يجب أن يكون ورعًا صحيحًا، فبعض الناس يفعلون الكبائر ثم يتورَّعون عن الأشياء اليسيرة، وبعض الناس يتورَّع عن التقصير في فعل النافلة كصلاة الضحى أو التراويح أو قيام الليل، ولا يرى غضاضة في القعود عن **أعظم فرض بل عن تاج الفروض** وهو الخلافة.

وللتوضيح نسوق هذين الأثرين:

الأول: لما سُئِل الإمام أحمد رحمه الله عن رجل يشتري البقل ويشترط الخوصة، أنه يخشى أن تكون هذه التي تربط بها حزمة البقل غير داخلة في البيع فيشترط على البائع ذلك، قال: ما هذه المسائل؟!، قالوا: فلان يفعل ذلك، إبراهيم بن أبي نعيم قال: هذا نعما.. هذا رجل يليق بحاله.. رجل متقي جدًا.

والثاني: سُئِل أحمد رحمه الله عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها، فقال: «إن كان برّ أمه في كل شيء حتى لم يبقَ إلا طلاق زوجته؛ يفعل؛ ولكن إن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم إلى أمه بعد ذلك فيضربها فلا يفعل».

فلنتقِّ الله عز وجل، ولنغتنم هذا الشهر الكريم بالتوبة الصادقة، والعمل الجاد المخلص لإعزاز دين الله، فشهر رمضان مضمار لمن يريد أن يسابق إلى الله، والسابق كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حجة حجها عند دفع الناس من عرفة قال: «**ليس السابق اليوم من سبق به بعيره، إنما السابق من غفر له**».

فلنسابق إلى الله في فعل الطاعات،

ولنشحذ همم المسلمين في السعي الجاد لإعادة الحكم بما أنزل الله، فهذا الشهر تضاعف فيه الأجور، وتنتشر فيه نفحات الرحمن على عباد الله، فيا سعادة من تعرَّض لنفحة من نفحات الله.

أخرج الطبراني بإسناد حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**افعلوا الخير دهركم، وتعرَّضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله عز وجل نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله عز وجل أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم**».

أيها المسلمون: أقبل عليكم رمضان يحمل إليكم نفحات من الرحمن، نفحات من بدر وعين جالوت، نفحات تستنهض عزائمكم للوقوف في وجه الظالمين وحكام الطاغوت وأولياء الشيطان الذين عطَّلوا الدين وفرَّقوا جماعة المسلمين، فأشغلوا المسلمين بحروب وهمية وأعداء افتراضيين صنعهم الغرب على عين بصيرة، فقسَّم الغرب وعملاؤه المسلمين إلى (سنة وشيعة) و(متطرفين ومعتدلين) و(إرهابيين ومسالمين)، وأوقع بينهم العداوة والبغضاء؛ وكل ذلك حتى يبقى المسلمون في فرقة وعذاب، وحتى لا تصفو أذهانهم فيدركوا خصمهم وسبب مصابهم.

أيها المسلمون: أنتم على موعد مع الخلافة على منهاج النبوة، فلا يهولنَّكم ما يعصف بالمسلمين، ولا يرهبنَّكم ما عند الغرب من سلاح وعتاد، فالإسلام قد شقَّ طريقه إلى الناس كافة ليخرجهم من ظلمات الرأسمالية والكفر والضلال إلى نور الإسلام وعدله وطمأنينته، وليؤلِّفن الله، برجمته ومنِّه، بين قلوب المسلمين كما ألَّف بين الأوس والخزرج، وليبلغنَّ أمر هذا الدين ما بلغ الليل والنهار. روى أحمد في مسنده عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل، عزًّا يعِز الله به الإسلام وذلًّا يذِل الله به الكفر**».

أيها المسلمون: ثقوا بالله القوي العزيز، ووثِّقوا صلتكم به، واجعلوا شهر رمضان هذا شهرًا تستنصرون به الحق سبحانه بإخلاص خالص، ضارعين إليه أن يشرح صدور المسلمين لنصرة دينه وإقامة شرعه ومبايعة خليفة للمسلمين يقيم فينا الدين كما أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون... ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

اللهمَّ أعِنَّا والمسلمين على صيام شهر رمضان، واجعلنا ممن يتعرضون لنفحاته، وأعِنَّا على تعظيم شعائر دينك، وأورثنا تقوى تدفعنا إلى كل خير فيه مرضاتك، يا رب العالمين. ■

السيسي: نحتاج لتريليون دولار، ويحذّر من إنجاب أكثر من طفلين

خلال افتتاحه مجمعًا طبيًّا في محافظة الإسماعيلية، قال الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي إن بلاده بحاجة إلى تريليون دولار لتتناسب مع الزيادة السكانية، وحذَّر الأسر من إنجاب أكثر من طفلين، قائلًا إن تكلفة ذلك ستكون باهظة، وأبلغ أن عدد سكان مصر تجاوز حاجز المئة مليون نسمة، وقال إن «معدَّل نموِّ السكان يجب أن يتناسب مع الموارد المتاحة للدولة»، وتابع أن زيادة السكان بشكل كبير ستؤثِّر سلبًا على كل القطاعات، وأكَّد أن «الأحوال المعيشية تتَّجه للأسوأ...» وبالنسبة للمعارضة التي أرادها أن تكون مدجَّنة قال عنها: «من حق الناس أن تعبِّر عن رأيها وأن تعترض، ولا بدَّ أن تكون هناك معارضة صحيحة". وشرح مفهوم المعارضة الصحيحة والمقبولة من وجهة نظره بأنها هي التي «تتحدث عن المشاكل الحياتية وتقصير الحكومة في تناولها» مشترطًا على من يتحدث أن يكون «فاهمًا لما يقول».

الوعي: إن الرسول ﷺ قد حضَّ المسلمين على الإنجاب فقال: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**».» وعند البيهقي: «**ولا تكونوا كرهبانية النصارى**». ونحن نقول للسيسي إن المشكلة ليست في كثرة الإنجاب أو قلته، بل في عدم تطبيق النظام الإسلامي الصحيح، وهو لو طبقَّه لانطبق على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ٦٦﴾... ولكن ماذا نقول عن السيسي إلا أنه من هؤلاء الحكام (إن لم يكن من أسوئهم) الذين لا يقيمون لله حكمًا، ولا يخافون مقامًا.

مُجسَّمٌ للكعبة في كربلاء واستنكار واسع

استضاف أحد أقدس المواقع عند الشيعة في مدينة كربلاء بجنوب العراق، ولأكثر من يوم، مجسَّمًا للكعبة، مما أثار الكثير من التساؤلات عن دوافع وضع المجسَّم الذي طاف حوله بعض الزوار. وتعدُّ الكعبة المشرفة، التي تقع في مدينة مكة المكرمة في الحجاز، قبلة المسلمين (سنة وشيعة) في الصلوات. ويطوفون حولها عند أداء عبادات الحج والعمرة. وبالرغم من

إزالة المجسم من العتبة الحسينيَّة، فإن الحدث هذا لم يمرَّ من غير استنكار له، فقد صدرت تصريحات وتعليقات من مراجع (شيعية) تستهجن هذا التصرف وتتَّهم السلطات بأنها وراءه، ومنها ما صرح به المرجع الشيعي العراقي حسن الموسوي الذي أصدر بيانًا نشره مكتبه على تويتر قال فيه إن المجسَّم «يحمل طابعًا سياسيًّا واضحًا لاستفزاز مشاعر مسلمي العالم" معتبرًا أن ما حدث يستند إلى «مرجعيات الضلال» و»فتاوى الولي الفقيه» لتشييد كعبة جديدة ثابتة في المستقبل، على حد قوله. كما اعتبر المرجع الشيعي العراقي محمد مهدي الخالصي المجسَّم «كفر بواح، وارتداد عن الدين، وافتراء وكذب على الله، وتكذيب صريح للقرآن". وبالرغم من كل الجدل الذي أثاره المجسَّم، والذي لولاه لما قاموا بإزالته، لم تُصدر العتبة الحسينيَّة بيانًا رسميًّا يروي قصة ما حدث، وقد علَّق تيسير الأسدي رئيس تحرير وكالة نون، على سبب ذلك بقوله: «الأمر لا يستحق ردًا من العتبة التي أزالت المجسم. هناك من يحاول أن يفتعل أزمة في وقت يعاني فيه العراق كثيرًا من الأزمات» واستغرب الأسدي الهجوم الذي وصفه «بـغير المبرر» مشيرًا إلى أن ما حدث هو إحياء لمناسبة مثل إحياء ذكرى عاشوراء في شكل مسارح تمثيلية لمحاكاة معركة الطَّف، وهذا الموكب الخدمي أراد أيضًا أن يُمَسْرِح ولادة الإمام علي عند الكعبة".

الوعي: إن الفتنة المذهبية (السنيَّة الشيعيَّة) والتي يتبنَّى تسعيرها الغرب ويرعاها عملاؤه من حكَّام لا يخافون الله في شيء، ويتبعهم علماؤهم المأجورون، لن تفتأ تظهر بأشكال وصور مختلفة حتى تقوم للأمة دولة الخلافة الراشدة الجامعة. وما ظهر من ردود أفعال طيِّبة يدلُّ على أن الأمَّة واحدة، وستبقى واحدة، وأن ما يقوم به هؤلاء المفتونون سيكون مصيره إلى الزوال في الدنيا، والعقاب الشديد في الآخرة.

أول رد رسمي سوري على أنباء «البند السري» وتزويد إسرائيل لدمشق بلقاح كورونا

في محاولات حديثة تقوم بها روسيا لإدخال النظام السوري في عمليَّة سلام علنيَّة مع الكيان، أعلن عن اتفاق على تبادل أسرى بينهما، وقد أفرجت (إسرائيل) بموجبه عن ثلاثة سوريين معتقلين لديها، وفق ما ذكرته وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا) في حين أطلقت دمشق سراح (إسرائيلية) كانت تجاوزت «خط ألفا» الفاصل بين سوريا و(إسرائيل)، وشكر رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على التوسط من أجل إتمام الاتفاق. وكانت وسائل إعلام (إسرائيلية) وعربية قد ذكرت أن الاتفاق يتضمن «بندًا سريًّا» يتيح لسوريا الحصول على لَقاح «سبوتنيك V» الروسي المضاد لفيروس كورونا من

(إسرائيل)، ومن جهتها ردَّ نظام (الممانعة والمقاومة) في سوريا على هذه الأنباء نافيًا لها، فقال مصدر إعلامي سوري في تعقيبه على الأنباء المتداوَلة: «ترويج هذه المعلومات الملفَّقة حول وجود بند في عملية التبادل يتعلق بالحصول على لَقاحات كورونا من سلطات الاحتلال (الإسرائيلي) هدفه الإساءة إلى عملية تحرير الأسرى السوريين من سجون الاحتلال والإساءة لسوريا وتشويه الجانب الوطني والإنساني للعملية... وتلميع صورة الاحتلال (الإسرائيلي) ومنحه صفات إنسانية.

الوعي: لا يتذكر العالم كله إلا المسحة الإنسانية للنظام السوري! وخاصة مع اليهود.!! وما ذكر من هذه الأنباء إنما يسير على نفس قاعدة التصرف التي سار عليها من سبقه من الحكام في عملية الانتقال من حالة التطبيع السري إلى التطبيع العلني، كأن يكون اشتراك في ألعاب أولمبية، أو مسابقة ملكات عهر وجمال... على كل هذا هو زمان إزالة الأقنعة. والنظام السوري هذا (نظام الوالد والولد) بالنسبة للأمة لم يكن في يوم من الأيام موضع شك في أنه عدوٌّ للأمة، بائع للجولان، حامٍ لـ (إسرائيل). والخبر هذا لم يقدم جديدًا.

ابنة رفسنجاني: تدخّلنا بسوريا سبّب قتل نصف مليون إنسان، ووالدي نصح سليماني بعدم التدخل

قالت فائزة رفسنجاني، ابنة الرئيس الإيراني الراحل أكبر هاشمي رفسنجاني (من أبرز الشخصيات الإصلاحية المعارضة للمحافظين في إيران، وهي برلمانية سابقة، حُرمت من ممارسة السياسة ٥ سنوات، وحُكم عليها بالسجن ٦ أشهر مع وقف التنفيذ في ٢٠١١م): إن التدخل الإيراني بسوريا تسبَّبَ في مقتل نصف مليون إنسان. وأوضحت في مقابلة مع موقع «إنصاف نيوز» المحسوب على التيار الإصلاحي أن والدها نصح الجنرال قاسم سليماني، قائد فيلق القدس سابقًا، بألَّا جدوى من التدخل في سوريا، إلا أن الأخير أصرَّ على ذلك مدعومًا من الحرس الثوري. وتابعت: «في ذكرى اغتيال سليماني، لا نسمع أحدًا يتحدَّث حول ما فعله، وتساءلت: «هل التدخل في سوريا حلّ مشاكل بلادنا؟ هل فتح بابًا للتنمية؟ هل يمكننا الافتخار بهذا النوع من المقاومة؟ ومع ذلك فنحن ساعدنا بشار الأسد، فكيف نؤمن بالإنسانية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ونحرص على المسلمين عمومًا، ونعادي إسرائيل؛ ولكن في الوقت ذاته نشارك في خلق المشاكل؟".

الوعي: إن والدها أكبر هاشمي رفسنجاني بذاته، والذي تولّى رئاسة البرلمان ورئاسة الجمهورية ورئاسة مجمع تشخيص مصلحة النظام، ليست سيرته بالحسنة بالنسبة لموقفه

من عموم المسلمين، فهو واحد من المسؤولين الذي ذكَّروا أمريكا أنه لولا إيران لما استطاعت من احتلال أفغانستان... إن الغائب الأكبر في إيران هو الإسلام، والحاضر الأكبر هو عمالتها لأمريكا الذي جعلها محميَّة في كل إجرامها الذي ترتكبه بحق المسلمين حصرًا: في أفغانستان، وفي العراق حيث سلمتها الحكم، وفي سوريا حيث حمت عميلها بشار، وفي لبنان، وفي اليمن، والأمر مفتوح أمريكيًا أمامها... إن الأمر لن يستقيم للأمة الإسلامية، إلا بعد إقامة الخلافة الإسلامية الجامعة التي توحد الأمة الإسلامية جمعاء على صراط ربِّها المستقيم.

رسوم على الصلوات الخمس بمسجد في صنعاء.. وحسومات لاجتذاب المصلين

دفعت الأزمة الاقتصادية في اليمن الحوثيين إلى ابتكار أغرب طريقة لحل ضائقة السيولة المالية؛ وذلك عن طريق فرض رسوم على دخول المسجد لإداء الشعائر الدينية. وقد تداول ناشطون صورة على وسائل التواصل لمنشور مُثبَت على مدخل مسجد في صنعاء يبيِّن الرسوم المفروضة على دخول المسجد حسب أوقات الصلوات الخمس. ويدعو المنشور روَّاد المسجد للمشاركة في ثمن فاتورة الكهرباء الخاصة بالمسجد. الغريب أن القائمين على المسجد لم يفكِّروا بطلب تبرُّعات، بل أسعار دخول للمسجد، الأمر الذي أثار حفيظة كثيرين. إلى جانب أسعار الصلوات، يقدِّم المنشور حسومات وإغراءات لاجتذاب المصلين؛ إذ يرد فيه أن «المبلغ يشمل جميع الخدمات ويسمح لكل أب اصطحاب ابن واحد مجانًا» وأن صلاة الجنازة مجانية «إن كان الميت من أسرة المشترِك الذي يدفع اشتراك شهري قدره ٤ آلاف ريال، والذي يشمل أيام الجمعة والأعياد، ورسوم الماء واستخدام دورات المياه». وقد تداول معمر الإرياني وزير الإعلام اليمني في حكومة الرئيس عبد ربه هادي منصور، الصورة في تغريدة وكتب إلى جانبها «سابقة لم تحدث عبر كل مراحل التاريخ». وعلَّقت وزيرة حقوق الإنسان السابقة في اليمن حورية مشهور على الواقعة بقولها: «أول مرة في التاريخ أسمع عن رسوم لدخول المساجد. هذه بيوت الله يا خلق الله. هي ليست مسارح ولا متاحف ولا دور سينما».

الوعي: واللهِ، الذي لا إله إلا هو، إن موت مسلم ممن يقتله الحوثيون هو أكبر عند الله من هدم الكعبة، ولا يعفي الجهة المقابلة التي تقاتل الحوثيين من نفس المسؤولية أمام الله. نسأل الله أن يريح الأمة من كل هذه الأشكال المنحرفة التي لا تجرُّها المعصية إلا إلى معصية أكبر، كما نرى.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾

لقد حفلت سور القرآن بمئات الآيات التي تدل بشكل صريح وغير صريح إلى الخلافة فذكر الحكم بما أنزل الله، والتحاكم إلى الطاغوت، وتحكيم الشرع، والشريعة، وإظهار الدين، والأنصار والنصر، والفتح، وذكر الخليفة والاستخلاف وخلفاء الأرض، وطاعة أولي الأمر، والمبايعة، وذكر المستضعفين في الأرض والمنِّ عليهم بالنصر وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين في الحكم، وتمكين الدين، والقتال والجهاد وأخذ الجزية، والأسرى، وإتمام الدين... وحكت آيات القرآن عن الأنبياء وصراعهم مع الكفر فتكلمت عن معارك ونصر وعن الملأ الذين هم سادة القوم، وعن حكام الكفر مثل فرعون وهامان... نعم مئات الآيات ومع هذا يتغاضى المسلمون، وخاصة علماؤهم عن تلك الآيات، ولا يدخلونها في فهمهم لدينهم، ويتعاملون معها وكأنها منسوخة، وهي قطعًا ليست كذلك، وهذا مرده إلى مناهج التعليم التي تلتزم المعاهد الشرعية بتعليمها وتخريج طلبة العلم عليها، وهذا مرده إلى الغرب الذي فرض هذه المناهج، والتي يتدخل كلما رأى ضرورة لذلك بتعديلها وطلب تجديدها حتى تبقى ضمن طريقته في فهم الدين، تلك الطريقة القائمة على فصل الدين عن الحياة، وبالتالي عن الدولة. فالرسالات خُتمت مع الرسول ﷺ بالنبوَّة والاستخلاف، واستمرت بعده بالاستخلاف من غير النبوَّة.

ونحن سنبدأ في هذا الباب (مع القرآن الكريم) من هذا العدد الخاص، تناول هذا الموضوع بذكر الآيات المتعلقة بالحكم وننقل تفسيرها من كتب التفسير المعتبرة،

قال تعالى: ﴿يَدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾.

جاء في تفسير ابن كثير: «هذه وصية من الله عزَّ وجلَّ **لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس** بالحقِّ المنزَّل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيَضلُّوا عن سبيله، وقد توعَّد الله تعالى من ضلَّ عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد... قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، حدثنا مروان بن جناح، حدثني إبراهيم أبو زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك قال له: أيحاسَب الخليفة؟ فإنك قد قرأتَ الكتاب الأول، وقرأتَ القرآن وفقهتَ؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، أقول؟ قال: قل في أمان. قلت

يا أمير المؤمنين، أنت أكرم على الله أو داود؟ إن الله عزَّ وجلَّ - جمع له النبوَّة والخلافة ثم توعَّده في كتابه فقال: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾».

• **وجاء في تفسير القرطبي:** «إنا جعلناكَ خليفة في الأرض، أي ملَّكناك لتأمرَ بالمعروف وتنهى عن المنكر، فتخلُف من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين... وقوله تعالى: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي بالعدل، وهو أمر على الوجوب... « وقال: «هذه الآية تمنع من حكم الحاكم بعلمه؛ لأن الحكَّام لو مُكِّنوا أن يحكموا بعلمهم لم يشأْ أحدهم إذا أراد أن يحفظ وليَّه ويُهلك عدوَّه إلا ادَّعى علمه فيما حكم به. ونحو ذلك روي عن جماعة من الصحابة منهم أبو بكر، قال: لو رأيتُ رجلًا على حدٍّ من حدود الله، ما أخذتُه حتى يشهد على ذلك غيري. وروي أن امرأة جاءت إلى عمر فقالت له: احكم لي على فلان بكذا، فإنك تعلم ما لي عنده. فقال لها: إن أردت أن أشهد لكِ فنعم، وأما الحكم فلا. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قضى بيمين وشاهد، وروي عن النبي ﷺ أنه اشترى فرسًا فجحده البائع، فلم يحكمْ عليه بعلمه، وقال: من يشهدُ لي؟ فقام خُزيمة فشهد فحكم. أخرجه أبو داود وغيره»

• **وجاء في تفسير الطبري:** «يقول تعالى ذكره: وقلنا لداود: يا داود إنا استخلفناكَ في الأرض من بعد من كان قبلَك من رسلنا حكمًا ببن أهلها. كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (ملَّكه في الأرض) ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: بالعدل والإنصاف) ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾يقول: ولا تؤثر هواكَ في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحقّ(﴿ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ يقول: فيميل بك اتِّباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحقّ عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله».

• **وجاء في تفسير السعدي:** «﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ تنفِّذ فيها القضايا الدينية والدنيوية، ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: العدل. وهذا لا يتمكن منه إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق.﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ فتميل مع أحد لقرابة أو صداقة أو محبَّة، أو بغض للآخر.﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهوى ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ ويخرجك عن الصراط المستقيم. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ خصوصًا المتعمِّدين منهم.﴿ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن».

• **وجاء في تفسير البغوي:** «قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾تدبر أمور العباد بأمرنا ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾بالعدل». ■

بسم الله الرحمن الرحيم

التجديد وعد من الله لا يخلف، يقوم به اليوم من يحيي الله بهم الدين، ويقيمه في حياة المسلمين

- عن أبي هريرة ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**» رواه أبو داود، وصححه السخاوي في «المقاصد الحسنة» والألباني في "السلسلة الصحيحة».

فالتجديد لغةً: تصيير الشيء جديدًا، وجدَّ الشيءُ؛ أيْ: صار جديدًا، خِلاف القديم. فالتَّجديد على ذلك: جَعْل القديم جديدًا؛ أيْ: إعادة القديم، ورَدُّه إلى ما كان عليه أوَّلَ أمرِه، وليس تعديلَه، أو تبديله، أو تغييره. أمَّا التجديد شرعًا فهو إعادةَ الدِّين إلى النَّحو الذي كان عليه زمن النبِيِّ ﷺ وما استقرَّ عليه في القرون الفاضلة الثَّلاثة الأولى. وهو يقتضي إحياء وبعْث ما اندرَس من الدِّين, وتخليصه من البِدَع والـمُحْدَثات، وتَنْزيله على واقع ومستجدَّات الحياة، وتنقية الإسلام مِمَّا علق به من أرجاس الكفر، واستنباط الأحكام الشَّرعية على الطريقة الشرعية كما كانت زمن الرعيل الأول، وتَنْزيلها على ما جدَّ ويجدُّ من وقائع وأحداث، ومعالَجتُه معالجةً نابعة من هَدْي الوحي حصرًا.

- قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، يَنفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحال المبطِلين، وتأويل الجاهلين**» حديث مشهور صححه ابن عبد البر. وقال عنه أحمد إنه صحيح سمعه من غير واحد. وذكر العلامة ابن القيِّم طرق الحديث في مفتاح دار السعادة.

وقال الإمام النووي في شرحه: «هذا إخبار منه ﷺ بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفِّق له في كل عصر خلَفًا من العُدول يحملونه وينفون عنه التحريف وما بعُدَ فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر»

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فَنَزَلنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصلِح خِبَاءَه، ومِنَّا من يَنْتَضِل (يرمي بالنبل)، ومِنَّا مَن هو في جَشَرِهِ (يرعى دوابه) إِذْ نادى مُنادي

رسول الله ﷺ: «الصَّلاةُ جَامِعَةٌ». فاجْتَمَعنَا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّه لَمْ يَكُن نبيٌّ قبْلِي إلاَّ كَان حَقًّا عليه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَه عَلَى خيرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُم، ويُنذِرَهُم شّرَّ ما يعلمه لهم، وإِنَّ أُمَّتَكُم هذه جَعَل عَافِيَتَهَا في أوَّلِها، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وأُمُورٌ تُنكِرُونَهَا، وتَجِيءُ فِتنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعضًا، وتَجِيءُ الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هَذِه هذِه. فمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عن النار، ويدخل الجنة، فَلْتَأْتِه مَنِيَتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وَلْيَأتِ إلى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إليه، ومَنْ بَايَع إِمَامًا فَأَعْطَاه صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمْرَةَ قلْبِهِ، فَلْيُطِعْه إن اسْتَطَاع، فَإن جَاء آخَرُ يُنَازِعُه فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**».

- قال صلى الله عليه وسلم: «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس**». رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن، وصححه الألباني. وفي حديث آخر عند الترمذي: «**فطوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنَّتي**». وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ونقل النووي في شرح صحيح مسلم عن القاضي عيَّاض أنه قال في معنى الحديث: «إِنَّ الإِسْلام بَدَأَ فِي آحَاد مِنْ النَّاس وَقِلَّة، ثُمَّ اِنْتَشَرَ وَظَهَرَ، ثُمَّ سَيَلْحَقُهُ النَّقْصُ وَالإِخْلال، حَتَّى لا يَبْقَى إِلا فِي آحَادٍ وَقِلَّةٍ أَيْضًا كَمَا بَدَأَ «. وجاء في «فتاوى اللجنة الدائمة": «معنى الحديث أن الإسلام بدأ غريبًا حينما دعا رسول الله ﷺ الناس إليه فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد، فكان حينذاك غريبًا بغربة أهله؛ لقلَّتهم وضعفِهم مع كثرة خصومهم وقوتهم وطغيانهم وتسلطهم على المسلمين، حتى هاجر من هاجر إلى الحبشة فرارًا بدينه من الفتن وبنفسه من الأذى والاضطهاد والظلم والاستبداد، وحتى هاجر رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى إلى المدينة بعد ما ناله من شدة الأذى ما ناله رجاء أن يهيئ الله له من يؤازره في دعوته، ويقوم معه بنصر الإسلام، وقد حقَّق الله رجاءه فأعزَّ جنده ونصر عبده وقامت دولة الإسلام وانتشر بحول الله في أرجاء الأرض، وجعل سبحانه كلمةَ الكفر هي السفلى، وكلمةُ الله هي العليا، والله عزيز حكيم، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، واستمرَّ الأمر على ذلك زمنًا طويلًا، ثم بدأ التفرُّق والوهنُ، ودبَّ بين المسلمين الضعفُ والفشلُ شيئًا فشيئًا حتى عاد الإسلام غريبًا كما بدأ؛ لكن ليس ذلك لقلَّتهم، فإنهم يومئذ كثير، وإنما ذلك لعدم تمسُّكهم بدينهم واعتصامهم بكتاب ربهم، وتنكُّبِهم هديَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من شاء الله، فشغلهم بأنفسهم وبالإقبال على الدنيا، فتنافسوا فيها كما تنافس من كان قبلهم، وتناحروا فيما بينهم على إمارتها وتراثها، فوجد أعداء الإسلام المداخل عليهم، وتمكَّنوا من ديارهم ورقابهم فاستعمروها وأذلُّوا أهلَها وساموهم سوء العذاب، هذه هي غربة الإسلام التي عاد إليها

كما بدأ بها». وقد رأى جماعة – منهم الشيخ محمد رشيد رضا – أن في الحديث بشارة بنصرة الإسلام بعد غربته الثانية، آخذين ذلك من التشبيه في قوله ﷺ «وسيعود غريبًا كما بدأ» فكما كان بعد الغربة الأولى عزٌّ للمسلمين وانتشارٌ للإسلام، فكذا سيكون له بعد الغربة الثانية نصر وانتشار.

- روى البخاري ومسلم عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**» وفي رواية لمسلم «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**». قال شيخ الإسلام رحمه الله: «هذا الحديث حديث ثابت متواتر من جهة استفاضة ثبوته عند الأئمة، ومخرج في الصحيحين من غير وجه وفي غيرهما. وهذا الحديث فيه تقريرٌ لكون الأمة سيدخلها افتراقٌ واختلافٌ في مسائل أصول الدين؛ ولهذا وصف عليه الصلاة والسلام هذه الطائفة بأنها الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، وأنهم على أمر الله ورسوله ﷺ؛ فلا تخلو الأرضُ من قائمٍ لله بحجة، وهذا من رحمة الله تعالى بهذه الأمة. وهذه الطائفة هي التي تقوم بمجموعها أو ببعض أفرادها بأمر تجديد الدين، بإحياء ما اندرس منه، ودعوة الناس إلى العودة إليه والعمل به كاملًا كما أنزل.

وهناك أحاديث أخرى في هذا الباب؛ ولكن هناك أمور لا بد من تسليط الضوء عليها حتى ندرك مدى أهمية هذه الأحاديث، ومن ذلك:

- إن ما ورد من أحاديث التجديد فيها إخبار من الشرع للأمة بأنه يحصل تغيُّر في الدين بين الحين والحين، وهذا التغيُّر أراد الله سبحانه أن يبعده عن الدين فلا يبقى؛ فتفضَّل على المسلمين بأن هدى منهم مَن يُعيد الدينَ إلى ما كان عليه نقيًّا من كل ما يمكن أن يكون قد علق فيه مما ليس منه، صافيًا لا غبش فيه، ويعود بهم في فهم الدين إلى طريقة الأولين، ويجنِّبهم البدع، ويبعد عنهم محدثات الأمور، ويرد الشبُهات، ويدحض التشكيكات... فهو سبحانه كما حفظ الدين بنصوصه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ كذلك حفظه رحمة منه وفضلًا بأن يسَّر له من أهله من يحافظ على فهمه غضًّا طريًّا، صافيًا نقيًّا، تمامًا كما كان زمن الرسول ﷺ وصحابته الكرام؛ حتى يبقى هذا الدين على كماله وتمام نعمته إلى قيام الساعة، وحجَّةَ الله على خلقه أو حجة لهم.

- إن مثل هذه الأحاديث لتشبه إلى حد بعيد ما ذكره القرآن أنه وُجد في الأمم السابقة من كانوا أولي بقية ينهَون عن الفساد في الأرض، وذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن

قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ فالله سبحانه جعل كذلك في أمة الإسلام أولي بقية ممن ينهَون عن الفساد، ولا يضيع الحق عندهم، بل يحيي الله بهم الدين، ويقيمه للمسلمين، وقد ورد في هذا المعنى كلام رائع للإمام أحمد (وينسب كذلك لسيدنا عمر بن الخطاب) يقول: «الحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبِرون على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيَوه، وكم من تائهٍ ضالٍّ قد هدوه، فما أحسنَ أثرَهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متَّفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهَّال الناس بما يشبهونه عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلِّين».

- إن الله سبحانه قد جعل الرسول ﷺ خاتم الأنبياء، وجعل الدين الإسلامي خاتم الأديان، وفي الوقت نفسه جعل الخلفاء يأخذون مهمة الأنبياء في الحكم بما أنزل الله ورعاية شؤون الرعية. ففي الإسلام يستمر الدين في مهمته هداية الناس إلى قيام الساعة بالخلافة الراشدة والخلفاء العدول الشهود على الناس. واليوم نحن نرى أن الاستخلاف الذي كان مهمة الأنبياء، والذي يرثه من بعدهم الخلفاء وراثة تكليف هو معطَّل، ومعطَّلة معه معظم أحكام الإسلام، والمطلوب شرعًا اليوم هو إقامة الدين كله بإقامة الخلافة الراشدة، وحتى تكون راشدة لا بد أن تكون في فهمها وتطبيقها للإسلام على طريقة الرعيل الأول من الأمة، أي زمن النبوة والخلافة الراشدة، حتى إنه ليمكن القول بكل ثقة واطمئنان إن التجديد اليوم محصور بإقامة الخلافة الراشدة.

- إن الله سبحانه قد وصف الأمم السابقة بالقرون وجعل لكل أمة أجلًا، وجعل لمهلكهم موعدًا،

وفي هذا ربط للأمم التي ترسل إليهم الرسالات بالزمن كما رُبط التجديد في الإسلام بالزمن حيث حدد بقرن أو بمئة سنة كما ورد في الحديث. ■

قصة إسلام سلمان الفارسي ﷺ

لقد كان في إسلام كثير من الصحابة ذكرى طيبة، تكشف عن نفوس طيبة تبحث عن الحق من قبل أن يأتيها، كسلمان الفارسي ﷺ، ومنهم من آمن بالحق لما جاءه من غير تردد كما كان حال إسلام أبي بكر الصديق ﷺ حين دعاه الرسول ﷺ فاستجاب مباشرة وما تردَّد أو عكَم، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**ما دعوتُ أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوةٌ، وتردُّدٌ، ونَظرٌ، إلا أبا بكر، ما عَكَم حين دعوته، ولا تردَّد فيه**»، ولنا في الحنفاء قبل بعثة الرسول ﷺ الذين رفضوا عبادة الأصنام وطوافهم حولها وأخذوا يلتمسون الصواب في الدين. وقد حكى ابن هشام عن أربعة منه هم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل، أنهم اجتمعوا في عيد لهم عند صنم من أصنامهم، فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله ما قومكم على شيء، لقد أخطؤوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجَرٌ نُطيف به، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم دينًا، فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرَّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام... هؤلاء كان منهم قبل بعثة النبي، وكان منهم أثناء بعثته كسلمان الفارسي، الذي نخصص له هذا المقال، وسيكون منهم في كل وقت وحين؛ ليعلم المسلمون والناس أجمعون أن الله قد أودع في كل إنسان فطرة تجعله يفتش، نتيجة العجز الطبيعي لديه، عن الإيمان بالله الخالق المدبر الذي ليس كمثله شيء.

فسلمان الفارسي ﷺ كان يُكنَّى بأبي عبد الله، وعايش المجوسية والنصرانية واليهودية قبيل ظهور الإسلام، وظلَّ يبحث عن الدين الحق إلى أن هداه الله إليه، فأسلم ﷺ مقدم النبي ﷺ المدينة، ومنعه الرّقّ من شهود بدر وأحد، وأول غزوة غزاها مع النبي ﷺ الخندق، وهو كان صاحب فكرة حفر الخندق في تلك الغزوة الشهيرة .قال عنه الذهبي في السِّيَر: « كان لبيبًا، من عقلاء الرجال وعُبَّادِهم ونبلائهم» وقال ابن عساكر: هو سلمان ابن الإسلام، أبو عبد الله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام، صحب النبي ﷺ وخدمه وحدَّث عنه.

أما عن قصة إسلامه ﷺ، فقد روى أحمد في مسنده بإسناده حسن، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ قَالَ:

«كُنْتُ رَجُلا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ

(أي رئيسها) وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، أَيْ مُلازِمَ النَّارِ، كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَأَجْهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ (أي خادمها) الَّذِي يُوقِدُهَا لا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ وَكَانَتْ لأَبِي ضَيْعَةٌ (أي بستان) عَظِيمَةٌ، قَالَ فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَال: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ. قَالَ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ! مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللَّهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْس، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ قُلْتُ: كَلا وَاللَّهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا. قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، قَالَ وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ. قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى، قَالَ فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الأَسْقُفُّ فِي الْكَنِيسَةِ. قَالَ فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ. فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا. قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ. قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لا نَدْفِنُهُ أَبَدًا. فَصَلَبُوهُ ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاؤوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَلا أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ

وَلا أَدْأَبُ لَيْلا وَنَهَارًا مِنْهُ. قَالَ فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَاللَّهِ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ. قَالَ فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ! إِنَّ فُلانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ. قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ، إِنَّ فُلانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ اللَّهِ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلا بِنصِّيبِينَ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ. وَقَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نِصِّيبِينَ، فَجِئْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِي وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنَّ فُلانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلا رَجُلا بِعَمُّورِيَّةَ، فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ، قَالَ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلانُ! إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَى فُلانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلانٌ إِلَى فُلانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ! وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ، هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ (الحرة: الأرض ذات الحجارة السود) بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلامَاتٌ لا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ استَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلادِ فَافْعَلْ. قَالَ ثُمَّ مَاتَ وَغُيِّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا، وَبَعَثَ اللَّهُ

رَسُولَهُ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ، لا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ وَسَيِّدِي جَالِسٌ؛ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ فُلانُ: قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ (برد الحمى) حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنْ النَّخْلَةِ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا؟! أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ. قَالَ: قُلْتُ: لا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا قَالَ. وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم لِأَصْحَابِهِ: «**كُلُوا**»، وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَاتَانِ اثْنَتَانِ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اسْتَدَرْتُهُ عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**تَحَوَّلْ**». فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَدْرٌ وَأُحُدٌ، قَالَ ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ**». فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ (حفرة الفسيلة التي تغرس فيها) وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لأَصْحَابِهِ: «**أَعِينُوا أَخَاكُمْ**»، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ، الرَّجُلُ بِثَلاثِينَ وَدِيَّةً (أي صغار النخل) وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا** (أي احفر لها موضع غرسها) **فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ**»، فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعِي

إِلَيْهَا: فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ، مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟**» قَالَ فَدُعِيتُ لَهُ فَقَالَ: «**خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ**» فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ. قَالَ: «**خُذْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ**» قَالَ فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعُتِقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ»

هذا نموذج رائع من نماذج المهتدين إلى دين الله الحق الذين ارتفعت همتهم وبذلوا في سبيل ذلك كل ما يملكون من غالٍ نفيس، حتى صاروا حجة لله على خلقه، ومضرب مثل يؤكد على أن من انطلق باحثًا عن الحق مخلصًا لله تعالى، فإن الله يهديه إليه ويمنُّ عليه به، وأعظِمْ بها من نعمة. وقصَّة إسلام سلمان ﷺ فيها دليل يشهد بصدق نُبُوَّة محمد ﷺ الذي ذكر أنه عَرف صفاته ومناقبه من أحد الرهبان في عَمُّورِيَة، والذي وصف له نبي آخر هذا الزمان قائلًا: «ولكنه قد أظلك زمان نبي، هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حرَّتين بينهما نخل (المدينة المنورة)، فيه علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل» ولما وجد سلمان ﷺ هذه الصفات في النبي ﷺ علم أنه نبيٌّ حقًّا، بل هو خاتم الأنبياء أجمعين ـ صلوات الله وسلامه عليه.

هذا وقد كان لسلمان ولأمثاله شهادة من الرسول ﷺ له، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**السُبَّاق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة**». وعن كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ خطَّ الخندق، وجعل لكل عشرة أربعين ذراعًا، فاحتجَّ المهاجرون والأنصار في سلمان، وكان رجلًا قويًّا، فقال المهاجرون: سلمان منَّا. وقالت الأنصار: لا، بل سلمان منَّا. فقال رسول الله: «**إنما سلمان منا أهل البيت**". ولما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: «عهدٌ عهدَه إلينا رسول الله، قال: «**ليكن بلاغُ أحدكم كزاد الراكب**» قال: فلما مات نظروا في بيته فلم يجدوا إلا إكافًا ووطاءً ومتاعًا قُوِّمَ نَحْوًا من عشرين درهمًا. وقد كان سلمان الفارسي ﷺمن المعمِّرين، توفي بالمدائن في خلافة عثمان ﷺ، قيل: سنة ثنتين وثلاثين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من دارس جديد في صفوف حزب التحرير:
طريقي في البحث والتعرف على حزب التحرير

لا يخفى حال أمتنا الإسلامية من ضعف وهوان وانحطاط وذلّة على أحد من المسلمين وغير المسلمين، وليس ذلك من فقر ولا قلّة عدد وعتاد؛ ولكن لأسباب الفرقة وعدم إدارة مقومات وموارد ومصادر قوة الأمة، فنجد أغنى دول في العالم منها دول من بلاد المسلمين، وأقوى جيوش في العالم منها جيوش من بلاد المسلمين، وأكبر تعداد سكاني في العالم منها دول من بلاد المسلمين. وفي الوقت ذاته تجد أكثر الفئات المستضعفة في العالم هم من المسلمين، وتجد المجاعات في العالم هي في بلاد المسلمين. إن أزمة الأمة هي في إدارة الأمة، وحل مشاكل الأمة هو في حكومة مركزية حكم مركزي تستلم وتوزع وتدير وتحمي الأمة، بحيث يكون للمسلم في النيجر نصيب من نفط السعودية وغاز قطر، وللمسلم في بورما الحق في أن يوجه السلاح النووي الباكستاني لحمايته وردع أعدائه، وللمسلم في اليمن الحق في كرسي في الجامعة في تركيا، وللمسلم في أستراليا الحماية لأن يدعو للإسلام دون خوف من أن تكون الدعوة للإسلام تهمة إرهاب.

ففي نظري، كان الحل الوحيد، والوحيد فقط، هو حكومة واحدة حكم مركزي للأمة وتحت راية خليفة كما أمر الله. دفعني ذلك للبحث عن طريقه للوصول لهذا الحل، وبدأت أبحث وأقرأ في مختلف الجماعات الإسلامية والأحزاب المختلفة، فكانت كل الجماعات تركز فقط على إصلاح الفرد اعتقادًا منها أنه إذا صلح الفرد صلح المجتمع، بالرغم من أن الله تعالى قد بين لنا في القرآن الكريم خطأ هذه الطريقة، فرغم نبلها ظاهريًا إلا أنها مضيعة للوقت وإهدار للجهود كطريقة للتغيير، فالقرآن الكريم يبين لنا أنه إذا صلح الرأس نستطيع أن نصلح الجسد كله. وقد وصلت إلى هذا الفهم من قصتين في نفس البلد ونفس الشعب: مصر. الأولى: مصر موسى وهارون عليهما السلام كان يحكمها فرعون، فقال الله تعالى على لسان رجل من أقصى المدينه (فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ)، فمصر كانت دولة ظلم رأسها فرعون رغم وجود رسول ونبي. والثانية: مصر يوسف

عليه السلام عندما استلم الحكم وأصبح عزيز مصر، قال تعالى على لسانه (ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ). فالشعب هو الشعب، والأرض هي الأرض، لكن إذا تغير الرأس تغير كل شيء.

كان منهجي في حياتي ألا أشتري إلا من مسلم أو منتج صنع في بلاد المسلمين، وألا أقبل في عملي التعامل إلا مع المسلمين؛ لعلي بهذا أضع مالي في يد مسلم يستقوي به ويكبر ليوم نحتاج فيه هذا الرجل. ولكن كان هذا كله عمل فردي لن أصل به إلى نتيجة، فكان القرار أن أبحث عن جماعة أو حزب أعمل من خلاله ويكون متبنيًا لنفس الطريق لحل أزمة الأمة.

وفي يوم من الأيام، ذَكَرَ أمامي اسمَ حزب التحرير زميلٌ لي في العمل من فلسطين - ولا أعتقد أنه من شباب الحزب - لكنه ذكره في سياق مقارنة بين حركات المقاومة في فلسطين. فأخذت الاسم، وكانت تلك أول مرة أسمع عنه، وكان هذا عام ٢٠١٧م. وبدأت أقرأ عن أفكار الحزب وقرأت بعض الكتب التي حصلت عليها من مواقع الإنترنت، مثل كتاب الخلافة والدستور ومنهج حزب التحرير، وكانت هناك إشكالية عندي حول علاقة تنظيم الدولة بحزب التحرير، ولإزالة هذا الإشكال بحثت عن رأي الحزب في تنظيم الدولة ووجدت محاضرة للأستاذ أحمد القصص قد أوضحت لي رأي الحزب وأنه لا علاقة له بتنظيم الدولة.

وفي عام ٢٠١٩م، قررت أن أرسل رسالة إلى صفحة من صفحات حزب التحرير، وكانت رسالة خطيرة من وجهة نظري، لأني لا أعلم هل الصفحة مراقبة أو ربما تكون بالأصل تابعة لجهاز أمني، ولكن بعد فكر واستخارة كان لا مفرَّ من التواصل، فأرسلت الرسالة وجاء الرد بعد يوم أو يومين، وطلبوا مني رقم هاتف للاتصال بي، فازداد قلقي، ولكني أرسلت الرقم لأنه لا مفرَّ من الوصول، وكان رقم جوال أستخدمه للعمل لعلي أجد مخرجًا إذا حدث أمر ما. وبالفعل اتصل بي أحد أعضاء الحزب وطلب أن يلقاني في مكان عملي. كنت في قلق كبير، فأنا لا أعلم من سيأتي، وعمّا سيكون الحديث، فحزمت أمري إما أن أغامر أو أن أنسى أمر الحل إلى الأبد. فقابلت الشاب وتحدثنا، وكان حديثًا شيِّقًا جدًا حيث تكلمت كثيرًا وكأني قد وجدت ما كنت أبحث عنه منذ عشر سنوات. وبعدها بدأت في الحلقات وكان هو مشرفي الأول في الحزب.

قبل التعرف على حزب التحرير، كنت أظن أني أحمل هم الأمة وحدي، وأني وحدي عندي الحل، حتى تعرفت على الحزب، وتعرفت على رجال يصغر أمامهم كل كبير. ولله الحمد أن وفَّقني وساقني إلى حزب أعمل من خلاله لإقامة دولة الخلافة على منهاج النبوة، أظلَّنا الله تعالى تحت حكمها قريبًا إن شاء الله تعالى. ■

أردوغان والإخوان... يخرج عن ودِّه ولا يخرج عن عمالته

وصل الإخوان إلى الحكم في مصر، واستلم مرسي الرئاسة في ٢٠١٢م، وفي عام ٢٠١٣م تمَّ عَزْله وسَجْنه، وفي ٢٠١٤م تم انتخاب السيسي الذي كان مرسي قد عيَّنه وزيرًا للدفاع، وكان ذلك من ضمن مؤامرة دولية على الإخوان اشترك فيها الجيش المصري وأدت إلى قمع الشارع واعتقال مرسي، ومن ثم وفاته بعد إهمال وضعه الصحي في السجن، ولوحقت قيادات الإخوان، وامتلأت الزنازين بهم، وتُوفِّي بعضهم على الطريقة نفسها، وارتكبت بحق أنصارهم في الداخل أبشع أنواع الملاحقة والاعتقال والتعذيب، وتشرَّدت القيادات في الخارج... فرحلت إلى قطر، وكر المؤامرات في المنطقة، فلحقتهم الضغوط المصرية والخليجية والأمريكية القوية عليها؛ فطلبت منهم قطر مغادرة أراضيها فغادروها ولجؤوا إلى تركيا التي صرح أردوغان حينها «إن الشخصيات الإخوانية البارزة ستكون موضع ترحيب في تركيا إذا رغبت في المجيء»... والآن هم يتعرَّضون في تركيا لنفس ما تعرَّضوا له في قطر؛ ولكن ليس بسبب ضغوط عليها، بل بسبب حدوث تقارب مصلحي بين تركيا وبين النظام المصري، ولنقل كذلك بسبب ما يجمعهما من عمالة مشتركة لأمريكا، وعلى أثر ذلك صدر قرار بحق القنوات المصرية المعارضة التي تبثُّ في تركيا إغلاق القنوات بشكل كامل، لكن تمَّ تعديله ليشمل إيقاف البرامج السياسية، والتحوُّل إلى برامج المنوعات... وها هم اليوم أمام تشريد جديد. ونحن أمام هذا الواقع، لنا على الإخوان النصائح والملاحظات التالية:

- إن طريقة فهم الإخوان للإسلام قائمة على اعتبار المصلحة علَّة يقاس عليها في الدين، يحلَّل ويحرَّم على أساسها، بل قد تعطَّل نصوص الشرع عندهم قياسًا عليها، وهذا ما جعلهم يبيحون لأنفسهم التعامل مع أنظمة طاغوتية ومعاداة أخرى، والقبول بالمشاركة في الحكم بغير ما أنزل الله، وقبول التعامل بالربا للضرورة، وبالتالي إباحة الاقتراض من البنك الدولي... هذا الاعتبار للمصلحة يحتاج إلى تراجع عنه لأنه غير شرعي، والمطلوب منهم ضبط أنفسهم بطريقة الفهم الشرعي القائمة على فهم النصوص وعللها الشرعية وليس العلل المصلحية. وهنا نقول جازمين: **إنهم بهذا الفهم لن يوصلوا الإسلام إلى الحكم.**

- إنهم بطريقة الفهم القائمة على تحكم النظرة المصلحية في فهمهم للشرع، أباحوا لأنفسهم التعامل مع الأنظمة الطاغوتية القائمة في بلاد المسلمين والموالية للغرب لكي يستفيدوا منها في الوصول إلى الحكم، وطرحوا أنفسهم في العمل السياسي طرحًا إصلاحيًا وليس تغييريًّا؛ وهذا ما جعلهم جزءًا من هذه الأنظمة: في بعض الأحيان يكونون في الموالاة، وفي أغلب الأحيان في المعارضة، وفي كل الأحيان تحت رحمة الحاكم الذي قد يستغني عنهم كليًا ويوردهم موارد الهلاك تحت أي ذريعة، فهم استعانوا بكل من نظام الأردن والعراق ليحموا أنفسهم ويعملوا ضد الأسد بعد أن شنَّ الحرب عليهم مع أن هذين النظامين لا يختلفان عنه من حيث معاداة إسلام الحكم... ومؤخَّرًا استعانوا بتركيا ليحموا أنفسهم من حاكم مصر وليتخذوها منبرًا لعملهم، مع أن نظام الحكم علماني كما يصرح أردوغان. والناظر إلى الإخوان وإلى هذه الأنظمة التي تستقبلهم ومن ثم تتخلى عنهم فإنهم جميعًا تتحكم فيهم لعبة المصالح. **وعليه، فإنهم بطريقة الفهم هذه**

لن يصلوا إلى الحكم بالإسلام.

- إن أردوغان الذي استعانوا به يعتبر من أخطر الحكام على الإسلام في هذه الفترة، وأدنى مراجعة لتاريخه وأعماله تبيِّن أنه من أبعد الناس عن فهم الإسلام الصحيح، هو يفهم أن الإسلام دين فردي يقوم على العبادات فقط، أما من حيث الحكم فهو يصرح من غير موارية أنه يحكم بنظام علماني واقتصاد حر يتعامل بالربا، وهو كان وما يزال يقيم علاقات ديبلوماسية وسياسية وعسكرية واستخبارية وثيقة مع كيان يهود، وهو سهَّل لأميركا عبر قاعدة إنجرليك العسكرية الجوية احتلال العراق وضربه وضرب أفغانستان، وهو شارك بالقوات المتعددة الجنسيات (إيساف) التي تقودها أمريكا في أفغانستان، والتي ارتكبت أبشع المجازر بحق المسلمين هناك من احتلال وقتل وتعذيب ودمار... وهو الذي أدى سحبه للمقاتلين التابعين له في سوريا من جبهة حلب إلى سقوطها، وبالتالي تعويم نظام بشار الذي كاد أن يسقط حينها، وكان ذلك منعطفًا في بدء سقوط الثورة، وهو الذي ينسِّق مع دولتي الإجرام: روسيا وإيران في سوريا للوصول في النهاية إلى الحل الأمريكي؛ وعليه لا يكون ما صدر منه من تصرف ضد جماعة الإخوان في مصر وغيرها مستغربًا... بل المستغرب هو تصرفهم البعيد عن فهم الشرع بشكل صحيح.

- إنهم لو اتبعوا طريقة الرسول ﷺ في إقامة الدولة والتي منها طلب النصرة من أهل القوة المؤمنين الذين اجتمعوا معه على نصرة الرسول إيمانًا واحتسابًا، وليس كالسيسي الذي ظهر منه ما ظهر من عداء غير مسبوق للإسلام، بل كان المطلوب أن يفتِّشوا عن مثل سعد بن معاذ، لا عن شخص كان يستلم قيادة المخابرات، وما أدراك ما المخابرات، زمن مبارك، وهذا يعني فيما يعنيه ارتباطه بالاستخبارات الأمريكية... إن الإخوان عليهم أن يجروا مراجعة صادقة مع الله، مراجعة تخرجهم من حالة الضياع التي تلفُّ كوادرهم وتهدد وجود الجماعة كليًا، والذي تتدخل فيه وتلعب في مسرحه أنظمة الدول ذاتها التي استعانوا بها من قبل... عليهم أن يسيروا على طريقة الرسول الكريم في إقامة الحكم، وأن تبني شبابها بناء فكريًا على نفس طريقة الأوائل... لا على التأويل والبحث عن أنصاف الحلول وأرباعها...

حتى الآن ما صدر عن الإخوان من ردود فعل تجاه ما صدر من موقف تركي لا توحي بالاعتبار والاتِّعاظ بل بمزيد من السقوط وعدم التعلُّم من الأخطاء، وعدم العودة إلى طريقة الفهم الصحيح، فقد صرَّح مرشد الإخوان إبراهيم منير لقناة الجزيرة في ٢٠٢١/٠٣/٢١م بإمكانية قبول وساطة تركيا لحل الأزمة مع الحكومة المصرية والاستعداد لحوار معها. فإذا صحَّ الخبر، فمعناه أنها مؤامرة بين النظامين التركي والمصري لجرِّ رجل الإخوان إلى أوحال التنازلات والتراجع عن الأهداف التي قاموا عليها لمصلحة البحث بتحسين أوضاع المعتقلين... وعلى الله قصد السبيل. ■

لماذا ترفض فرنسا الكشف عن مكان نفايات نووية دفنتها بالجزائر؟

نشرت صحيفة (إندبندنت) تقريرًا بعنوان «انفجار مسموم من الماضي» أعدَّه سايمون سبيكمان كوردال، وتناول التقرير الذي ترجمته (عربي٢١) التجارب النووية التي أجرتها فرنسا في الأراضي الجزائرية. ومما جاء في التقرير أن فرنسا قد قامت في الفترة ما بين عام (١٩٦٠ – ١٩٦٧)م بـ ١٧ اختبارًا نوويًا. وبعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٢م، تمَّ دفنُ معظم المخلَّفات والنفايات التي لا تزال تحت الرمال. وما تمَّ دفنه يصل إلى ٣,٠٠٠ طن. وحتى اليوم لا تزال السموم المدفونة تتسرب وتلوِّث البيئة والناس والمحاصيل والمواشي. وترفض فرنسا الكشف عن مكان دفنها في الصحراء أو تقديم تفاصيل عنها. وبحسب قناة الجزيرة التي استندت على تقديرات فرنسية وجزائرية، فإن ما بين ٢٧,٠٠٠- ٦٠,٠٠٠ شخص مع أحفادهم لا يزالون يعايشون آثار الاختبارات النووية الفرنسية هذه. ومن المفارقة أن الريح حملت الرمال معها هذا الشهر إلى الأراضي الفرنسية وكشف أنها مشعَّة.

ويتذكر عبد الكريم، وهو أحد الجزائريين الذي عاشوا فترة إجراء الاختبارات النووية فيصف انفجارًا قوته ٧٠ كيلو طنًا (ثلاثة أضعاف القنبلة التي ضربت ناغازاكي)، ووقع على بعد ١٨٠ كلم من بلدته في عام ١٩٦٠م. فقال: «كان عمري ١٧ عامًا، ولم نشاهد أي دخان» و»شعرنا أن الأرض تهتز» ووصف أن الجنود الفرنسيين ووزراء الحكومة والباحثين العلميين الفرنسيين الذين اجتمعوا لمشاهدة الاختبار لم يتوقَّعوا أن يكون مدمرًا بدرجة كبيرة. وقال: «كان هذا أفظع تفجير». ولم يمضِ وقت طويل حتى بدأ سكان المنطقة يلاحظون إصابات وأمراضًا من عدة أنواع من السرطان، مع زيادة في العيوب الخَلقية مع الولادة. وبحسب عبد الكريم فقد أصبحت نتيجة التفجير جزءًا من الحياة اليومية، وقال: «أطفالنا يولدون بعاهات لأن الثمار التي نأكلها تأتي من الأرض المسمومة». وبالإضافة لنقص الأدوية، قالت الطبيبة خيرية حرزاوي لقناة الجزيرة: «هناك الكثير من الأجنَّة المعوَّقين وعمليات الإجهاض الكثيرة والإسقاط». ولأن الوحشية التي طبعت الاحتلال الفرنسي للجزائر لا تزال حاضرة، فالتغلب على إرث البلد السام قد تكون خطوة بعيدة جدًا، وأشار جين ماري- كولين، أحد المؤلفين إلى تقرير الحملة الدولية لحظر الأسلحة النووية إلى تردُّد فرنسا في التوقيع على معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية، والتي قد تفتح الباب أمام قضايا بيئية وتعويضات إنسانية بالجزائر وعلى قاعدة واسعة.

الوعي: هذه هي الحضارة الرأسمالية التي توصف بأنها متوحِّشة ومتغوِّلة ومهلكة للحرث والنسل التي تقدِّس المادة وتجعل الإنسان عبدًا لها، وتقدس القوة لأنها تجعلها تسيطر على الآخرين، وتقدس الأنانية، وتشيع تفوُّق العرق الأبيض على الآخرين، وفرنسا كانت وجهًا من أبشع وجوهها، وتاريخها من أكثرها سوادًا... ومع هذا فهي تهاجم الإسلام دين (الرحمة) الذي ينقل الهداية للناس وليس الاستعمار والدمار... هذه الحضارة الفاسدة المفسدة لا بدَّ من القضاء عليها لإراحة البشرية منها.■